مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

الحموي

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء السادس عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك ونستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ؛ وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

١ – عُمَرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي جَرَادَةَ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْعَدِيمِ *

عمر بن أحمد «ابن العديم»

الْعُقَيْلِيُّ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ ، وَيُلَقَّبُ كَمَالَ الدِّينِ ، مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ حَلَبَ وَأَفَاضِلِهِمْ ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَي بْنِ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ صَاحِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ . وَاسْمُ أَبِي جَرَادَةَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ أَبِي الْقَبِيلَةِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ ابْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ حَفْصَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَبَيْتُ أَبِي جَرَادَةَ بَيْتٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ ، أُدَبَاءُ شُعَرَاءُ فُقَهَاءُ ، عُبَّادٌ زُهَّادٌ قُضَاةٌ ، يَتَوَارَثُونَ الْفَضْلَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ وَتَالِياً عَنْ غَابِرٍ ، وَأَنَا أَذْكُرُ قَبْلَ شُرُوعِي فِي ذِكْرِهِ شَيْئاً مِنْ مَآثِرِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَجَمَاعَةً مِنْ مَشَاهِيرِهِمْ ، ثُمَّ أُتْبِعُهُ بِذِكْرِهِ نَاقِلًا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كِتَابٍ أَلَّفَهُ كَمَالُ الدِّينِ – أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ – ، وَسَمَّاهُ الْأَخْبَارَ الْمُسْتَفَادَةَ فِي ذِكْرِ بَنِي

(*) راجع كتاب فوات الوفيات ج ٨

أَبِي جَرَادَةَ، وَقرأْتُه عليه فأقرَّ بِه . سَأَلْتُهُ أَوَّلاً: لِمَ سُمِّيتُمْ بِبَنِي الْعَدِيمِ ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِي عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ وَقَالَ: هُوَ اسْمٌ مُحْدَثٌ لَمْ يَكُنْ آبَائِي الْقُدَمَاءُ يُعْرَفُونَ بِهَذَا وَلا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّ جَدَّ جَدِّي الْقَاضِيَ أَبَا الْفَضْلِ هِبَةَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ - مَعَ ثَرْوَةٍ وَاسِعَةٍ، وَنِعْمَةٍ شَامِلَةٍ - كَانَ يُكْثِرُ فِي شِعْرِهِ مِنْ ذِكْرِ الْعُدْمِ، وَشَكْوَى الزَّمَانِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا سَبَبَهُ فَلَا أَدْرِي مَا سَبَبُهُ ؟ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَمَالُ الدِّينِ أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ عَمِّي قَالَ: لَمَّا خَتَمْتُ الْقُرْآنَ قَبَّلَ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللهُ - بَيْنَ عَيْنَيَّ وَبَكَى وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا وَلَدِي، هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ فِيكَ. حَدَّثَنِي جَدُّكَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَلَفِهِ: أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَهَذَا مَنْقَبَةٌ جَلِيلَةٌ لَا أَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ شَرْوَاهَا [1]، وَسَأَلْتُ عَنْهَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ حَلَبَ فَصَدَّقُوهَا، وَقَالَ لِي زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ النَّصِيبِيِّ:

(١) شرواها: أي مثلها، يقال: ماله شروى: أي ماله مثل .

دَعِ المَاضِيَ وَاسْتَدِلَّ بِالحَاضِرِ، فَإِنَّنِي أَعُدُّ لَكَ كُلَّ مَنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي وَقْتِنَا هَذَا، وَهُمْ خَلْقٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ خَتَمَ القُرْآنَ، وَجَعَلَ يَتَذَكَّرُهُمْ وَاحِداً وَاحِداً فَلَمْ يَخْرِمْ (١) بِوَاحِدٍ.

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — قَالَ: وَكَانَ عَقِبُ بَنِي أَبِي جَرَادَةَ مِنْ سَاكِنِي البَصْرَةِ فِي مَحَلَّةِ بَنِي عُقَيْلٍ بِهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ انْتَقَلَ مِنْهُمْ عَنْهَا مُوسَى بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ إِلَى حَلَبَ بَعْدَ المِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ وَرَدَهَا تَاجِراً وَحَدَّثَنِي قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ وَالِدِي يَذْكُرُ فِيمَا تَأْثُرُهُ (٢) عَنْ سَلَفِهِ: أَنَّ جَدَّنَا قَدِمَ مِنَ البَصْرَةِ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَوْطَنَ حَلَبَ قَالَ: وَسَمِعْتُ وَالِدِي يَذْكُرُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ وَقَعَ طَاعُونٌ بِالبَصْرَةِ فَخَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَقَدِمُوا الشَّامَ فَاسْتَوْطَنَ جَدُّنَا حَلَبَ قَالَ: وَكَانَ لِمُوسَى مِنَ الوَلَدِ مُحَمَّدٌ وَهَارُونُ وَعَبْدُ اللهِ. فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَلَا أَدْرِي أَعْقَبَ أَمْ لَا؟ وَأَمَّا العَقِبُ (٣) المَوْجُودُ الآنَ فَلِهَارُونَ وَهُوَ جَدُّنَا، وَلِعَبْدِ اللهِ وَهُمْ

---

(١) فلم يخرم بواحد: أى لم ينقص واحدا. (٢) تأثره عن سلفه: أى نقله عنه، وتبع أثره. (٣) العقب: الولد وولد الولد

أَعْمَامُنَا. فَمِنْ وَلَدِ عَبْدِاللهِ: القَاضِى أَبُوطَاهِرٍ عَبْدُ القَاهِرِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ البَاقِى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ هَذَا البَيْتِ وَأَعْيَانِهِمْ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَقَالَ القَاضِى أَبُو الفَضْلِ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ يَرْثِيهِ — وَكَانَتْ قَدْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ وَفَاةِ وَالِدِ القَاضِى أَبِي الفَضْلِ أُخْتُهُ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ، فَتَوَجَّعَ لِلْمَاضِيَيْنِ —:

صَبَرْتُ لَا عَنْ رِضًى مِنِّى وَإِيثَارِ
وَهَلْ يَرُدُّ بُكَائِى حَتْمَ أَقْدَارِ؟

أَرُومُ كَفَّ دُمُوعِى وَهْيَ فِي صَبَبٍ
وَأَبْتَغِى بَرْدَ قَلْبِي وَهْوَ فِي نَارِ

مَا لِلَّيَالِى تُعَرِّى جَانِبِي أَبَدًا
مِنْ أُسْرَتِى وَأَخِلَّائِى وَأَوْزَارِى (١)

تَلَذُّ (٢) طَعْمَ مُصِيبَاتِى فَأَحْسَبُهَا
تَظْمَا فَيُرْوِى صَدَاهَا مَاءُ أَشْفَارِى

(١) أوزارى: جمع وزر، والوزر محركة: الملجأ والمعتصم (٢) فاعل تلذ ضمير يعود على الليالى فى البيت السابق، يقصد الشاعر: أن الليالى مولعة به فهى ترميه دائما بالمصائب حتى حسبها ظامئة لا يروى ظمأها إلا دموع عينه.

مَحَاسِنٌ جَدَّتِ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهَا
وَطَالَمَا صُنْتِهَا عَنْ لَحْظِ أَبْصَارِ

وَوَاضِحٍ كَسَنَا الْإِصْبَاحِ أَنْقُلُهُ
مِنْ رَأْيِ عَيْنِي إِلَى سِرِّي وَإِضْمَارِي

إِنَّ الرَّدَى أَقْصَدَتْنِي غَيْرَ طَائِشَةٍ
سِهَامُهَا فِي فَتًى كَالْكَوْكَبِ الْوَارِي(١)

رَمَتْهُ صَائِبَةُ الْأَقْدَارِ مِنْ كَثَبٍ
وَمَا رَعَتْ(٢) عِظَمَ أَقْدَارٍ وَأَخْطَارِ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ غَرَّاءُ طَوِيلَةٌ. وَمِنْهُمْ أَبُو الْمَجْدِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدٍ، شَيْخٌ فَاضِلٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، سَمِعَ بِحَلَبَ أُسْتَاذَهُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْقِنَّسْرِينِيَّ الْمُقْرِىءَ مُؤَلِّفَ كِتَابِ التَّهْذِيبِ فِي اخْتِلَافِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَسَمِعَهُ وَلَدُهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حِسَانٌ مِنْهَا:

تَوَسْوَسَ عَنْ عَلِيٍّ الزَّمَانُ فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مُعْضِلَهْ
فَلَوْ جَعَلُوا أَمْرَهُ لَيْلَةً إِلَيَّ لَأَصْبَحَ فِي سِلْسِلَهْ

(١) الوارى : المتقد اللامع ، يقال ورت : النار وريا : اتقدت فهى وارية
(٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل « وما ربحت »

وَمَاتَ الشَّيْخُ أَبُو الْمَجْدِ بِحَلَبَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ صَدْرُ زَمَانِهِ ، وَفَرْدُ أَوَانِهِ ، ذُو فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ ، وَخَطُّهُ مَلِيحٌ جِدًّا ، عَلَى غَايَةٍ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالصِّحَّةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ يَكَادُ يَخْتَلِطُ بِالْقَلْبِ ، وَيَسْلُبُ اللُّبَّ لَطَافَةً وَرِقَّةً ، تَصَدَّرَ بِحَلَبَ لِإِفَادَةِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ مُتَفَرِّدًا بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَرَتَّبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِأَبِي عُبَيْدٍ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ ، وَشَرَعَ فِي شَرْحِ أَبْيَاتِهِ شُرُوعًا لَمْ يُقَصِّرْ فِيهِ ، ظَفِرْتُ مِنْهُ بِكَرَارِيسَ مِنْ مُسَوَّدَاتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ . سَمِعَ بِحَلَبَ وَالِدَهُ أَبَا الْمَجْدِ وَأَبَا الْفَتْحِ عَبْدَ اللهِ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيَّ وَأَبَا الْفِتْيَانِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلْطَانَ بْنِ حَيُّوسٍ الشَّاعِرَ وَغَيْرَهُمْ . وَرَحَلَ عَنْ حَلَبَ قَاصِدًا لِلْحَجِّ فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَسَمِعَ بِهَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ الْمُقْرِئَ وَغَيْرَهُ ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْعَامِ حَجٌّ ، فَعَادَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى حَلَبَ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْمَوْصِلِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَمِعَ بِهَا ، وَأَدْرَكَهُ تَاجُ الْإِسْلَامِ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ

السَّمْعَانِيُّ فَسمِعَ مِنْـهُ بِحَلَبَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ وَافِرَةٌ، وَذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ لِتَارِيخِ بَغْدَادَ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي مَوْضِعِهِ بِمَا ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ بِهِ.

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ قَالَ: سَمِعْتُ وَالِدِي — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ: كَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ بِخَطِّهِ ثَلَاثَ خَزَائِنَ مِنَ الْكُتُبِ لِنَفْسِهِ، وَخِزَانَةً لِابْنِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ، وَخِزَانَةً لِابْنِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ «أَنْبَأَنَا بِهِ تَاجُ الدِّينِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ» مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ فِيهَا طُولَ اللَّيْلِ:

فُؤَادٌ بِالْأَحِبَّةِ مُسْتَطَارُ ... وَقَلْبٌ لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ
وَمَا أَنْفَكُّ مِنْ هَجْرٍ وَصَدٍّ ... وَعَتْبٍ لَا يَقُومُ لَهُ اعْتِذَارُ
وَعَيْنٍ دَمْعُهَا جَمٌّ غَزِيرٌ ... وَلَكِنْ نَوْمُهَا نَزْرٌ غِرَارُ
كَأَنَّ جُفُونَهَا عِنْدَ التَّلَاقِي ... تُلَاقِيهَا الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ
وَهَذَا حَالُهَا وَهُمُ حُلُولٌ ... فَكَيْفَ بِهَا إِذَا خَلَتِ الدِّيَارُ؟
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُرْتَقِبًا(١) كَئِيبًا ... لِهَمٍّ فِي الضُّلُوعِ لَهُ أُوَارُ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْفَلَكِ اعْتَرَاهَا ... فُتُورٌ أَوْ تَخَوَّنَهَا الْمَدَارُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «مرتفقا»

وَمِنْهَا :

فَيَا لَكِ لَيْلَةً طَالَتْ وَدَامَتْ فَلَيْسَ لِصُبْحِهَا عَنْهَا انْسِفَارُ
أُسَائِلُهَا لِأَبْلُغَ مُنْتَهَاهَا لَعَلَّ الْهَمَّ يُذْهِبُهُ النَّهَارُ

وَمَاتَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، وَكَانَ فَاضِلاً كَاتِباً شَاعِراً أَدِيباً، يَكْتُبُ النَّسْخَ عَلَى[1] طَرِيقَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ، وَالرِّقَاعَ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ، وَخَطُّهُ حُلْوٌ جَيِّدٌ جِدًّا خَالٍ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ. سَمِعَ أَبَاهُ بِحَلَبَ. وَكَتَبَ عَنْهُ السَّمْعَانِيُّ عِنْدَ قُدُومِهِ حَلَبَ. وَسَارَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَاتَّصَلَ بِالْعَادِلِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَزِيرِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَنِسَ بِهِ، ثُمَّ نَفَقَ بَعْدَهُ عَلَى الصَّالِحِ بْنِ رُزِّيكَ وَخَدَمَهُ فِي دِيوَانِ الْجَيْشِ، وَلَمْ يَزَلْ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْقَاهِرِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

(١) لم تكن كلمة «على» فى الأصل

سَرَى مِنْ أَقَاصِي الشَّامِ يَسْأَلُنِي عَنِّي
خَيَالٌ إِذَا مَا زَادَ يَسْلُبُنِي مِنِّي
تَرَكْتُ لَهُ قَلْبِي وَجِسْمِي كِلَيْهِمَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ يُعَرِّسَ (١) فِي جَفْنِي
وَإِنِّي لَيُؤْذِينِي اشْتِيَاقِي إِلَيْكُمُ
وَوَجْدِي بِكُمْ لَوْ أَنَّ وَجْدَ الْفَتَى يُذْنِي
وَأَبْعَثُ آمَالِي فَتَرْجِعُ حُسَّراً
وُقُوفاً عَلَى ضِنٍّ (٢) مِنَ الْوَصْلِ أَوْ ظَنِّ
فَلَيْتَ الصَّبَا تَسْرِي بِمَكْنُونِ سِرِّنَا
فَتُخْبِرَنِي عَنْكُمْ وَتُخْبِرَكُمْ عَنِّي
وَلَيْتَ اللَّيَالِي الْخَالِيَاتِ عَوَائِدٌ
عَلَيْنَا فَنَعْتَاضَ السُّرُورَ مِنَ الْحُزْنِ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا ضَرَّهُمْ يَوْمَ جَدَّ الْبَيْنُ لَوْ وَقَفُوا
وَزَوَّدُوا كَلِفاً (٣) أَوْدَى بِهِ الْكَلَفُ

---

(١) يعرس : أي ينزل ويقيم　(٢) ضن بكسر الضاد مصدر ضن : أى بخل
(٣) الكلف كفرح : الرجل العاشق المحب ، والكلف بفتح اللام مصدر

تخلفوا عن وداعى ثمت ارتحلوا
وأخلفونى وعوداً ما لها خلف[١]

وأوصلونى بهجر بعد ما وصلوا
حبلى وما أنصفونى لكن انتصفوا

فليتهم عدلوا فى الحكم إذ ملكوا
وليتهم أسعفوا بالطيف من شعفوا[٢]

ما للمحب وللعذال ويحهم ؟
خانوا وما نوا[٣] ولما عنفوا عنفوا

أستودع الله أحباباً ألفتهم
لكن على تلفى يوم النوى ائتلفوا

عمرى لئن نزحت بالبين دارهم
عنى فما نزحوا دمعى وما نزفوا

ياحبذا نظرة منهم على عجل
تكاد تنكرنى طوراً وتعترف

سقت عهودهم غداء[٤] واكفة
تهمى ولو أنها من أدمعى تكف

(١) ما لها خلف : أى إن هذه الوعود لن يخلفها لقاء ووصل يحققانها (٢) شعفه : غشى قلبه وأحرقه (٣) مانوا : كذبوا ، وكانت فى الأصل بالتاء لا بالنون (٤) الغداء : الغادية : وهى السحابة تنشأ غدوة

أَحْبَابَنَا ذَهِلَتْ أَلْبَابُنَا وَمَحَا
عِتَابَنَا لَكُمُ الْإِشْفَاقُ وَالْأَسَفُ
بَعُدْتُمُ فَكَأَنَّ الشَّمْسَ وَاجِبَةٌ (١)
مِنْ بَعْدِكُمْ وَكَأَنَّ الْبَدْرَ مُنْخَسِفُ
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ هَلْ يَحْظَى بِرُؤْيَتِكُمْ
طَرْفِي وَهَلْ يَجْمَعَنْ مَا بَيْنَنَا طَرَفُ (٢) ؟؟
وَمُضْمِرٍ فِي حَشَاهُ مِنْ مَحَاسِنِكُمْ
لَفْظًا هُوَ الدُّرُّ لَا مَا يُضْمِرُ الصَّدَفُ
كُنَّا كَغُصْنَيْنِ حَالَ الدَّهْرُ بَيْنَهُمَا
أَوْ لَفْظَتَيْنِ لِمَعْنًى لَيْسَ يَخْتَلِفُ
فَأَقْصَدَتْنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ نَابِلَةً (٣)
حَتَّى كَأَنَّ فُؤَادَيْنَا لَهَا هَدَفُ
فَهَلْ تَعُودُ لَيَالِي الْوَصْلِ ثَانِيَةً
وَيُصْبِحُ الشَّمْلُ مِنَّا وَهُوَ مُؤْتَلِفُ ؟
وَنَلْتَقِي بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ أَحِبَّتِنَا كَمِثْلِ مَا يَتَلَاقَى اللَّامُ وَالْأَلِفُ

(١) واجبة : وجبت الشمس وجبا ووجوبا : أى غابت . ومنخسف : أى ذاهب الضوء مظلم (٢) الطرف بسكون الراء : العين . والطرف : بالتحريك : الناحية .
(٣) النابل : الحاذق بالنبل ، والنبل : السهام ، ومصدر نبل أى رمي

وَمَا كَـتَبْتُ عَلَى مِقْدَارِ مَا ضَمِنَتْ[(١)]
مِنِّى الضُّلُوعُ وَلَا مَا يَقْتَضِى اللَّهَفُ
فَإِنْ أَتَيْتُ بِمَـكْنُونِى فَمِنْ عَجَبٍ
وَإِنْ عَجَزْتُ فَإِنَّ الْعُذْرَ مُنْصَرِفُ[(٢)]

وَمِنْهُمْ: أَخُوهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، كَانَ ظَرِيفًا لَطِيفًا أَدِيبًا شَاعِرًا كَاتِبًا ، لَهُ الْخَطُّ الرَّائِقُ ، وَالشِّعْرُ الْفَائِقُ، وَالتَّهْذِيبُ الَّذِى تَبَحَّرَ فِى جَوْدَتِهِ وَيَلْتَحِقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَالتَّأَنُّقُ فِى الْخَطِّ الْمُحَرَّرِ الَّذِى يَشْهَدُ بِالتَّقَدُّمِ فِى الْفَضْلِ وَإِنْ تَأَخَّرَ . سَمِعَ بِحَلَبَ أَبَاهُ أَبَا الْحَسَنِ وَغَيْرَهُ ، وَكَتَبَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ أَمِينًا عَلَى خَزَائِنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيِّ وَذَا مَنْزِلَةٍ لَطِيفَةٍ مِنْهُ ، وَمِنْ شِعْرِهِ « وَكَتَبَهُ بِلِيقَةِ ذَهَبٍ » :

مَا اخْتَرْتُ إِلَّا أَشْرَفَ الرُّتَبِ ... خَطًّا أُخَلِّدُهُ فِى الْـكُتُبِ
وَالْخَطُّ كَالْمِرْآةِ نَنْظُرُهَا ... فَنَرَى مَحَاسِنَ صُورَةِ الْأَدَبِ
هُوَ وَحْدَهُ حَسَبٌ يُطَالُ بِهِ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَاهُ[(٣)] مِنْ حَسَبِ

(١) جاء فى لسان العرب : ويقال : ضمن الشيء بمعنى تضمنه ، ومنه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا . (٢) أى منصرف عنى ، يعنى أن عذره فى عجزه عن الاتيان بمكنون ما تضمنته ضلوعه باد لا يسأل عنه (٣) إلاه : أى غيره

مَا زِلْتُ أُنْفِقُ فِيهِ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى جَرَى فَكَتَبْتُ بِالذَّهَبِ

وَقَالَ أَيْضاً وَهُوَ بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

أَمُتُّ بِبَذْلِي خَالِصاً مِنْ مَوَدَّتِي
إِلَى مَنْ سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْمَنْعُ وَالْبَذْلُ
وَتَحْسَبُ نَفْسِي — وَالْأَمَانِيُّ ضِلَّةٌ (١) —
بِأَنِّيَ مِنْ شُغْلِ الَّذِي هُوَ لِي شُغْلُ
أَلَا إِنَّ هَذَا الْحُبَّ دَاءٌ مُوَافِقٌ وَإِنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ مُمْتَنِعٌ سَهْلُ
عَفَى اللّٰهُ عَمَّنْ إِنْ جَنَى فَاحْتَمَلْتُهُ
تَجَنَّى فَعَادَ الذَّنْبُ لِي وَلَهُ الْفَضْلُ
وَمَنْ كُلَّمَا أَجْمَعْتُ عَنْهُ تَسَلِّياً
تَبَيَّنْتُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي غَيْرِهِ جَهْلُ
سَأُعْرِضُ إِلَّا عَنْ هَوَاهُ فَإِنَّهُ
جَمِيلٌ بِمِثْلِي حُبُّ مَنْ مَالَهُ مِثْلُ (٢)
وَأَلْقَى مَقَالَ النَّاصِحِينَ بِمَسْمَعٍ
ضَرَبْتُ عَلَيْهِ بِالْغَوَايَةِ (٣) مِنْ قَبْلُ

(١) الضلة : بكسر الضاد : ضد الهدى ، أي تحسب نفسي أني أشغل من قلب هذا الحبيب مثل ما يشغل من قلبي (٢) قوله : حب من ماله مثل : أي من ليس له نظير (٣) الغواية : الضلال

فَعِنْدِى وَإِنْ أَخفَيْتُ ذَاكَ عَنِ الْعِدَى
عَزِيمَةُ هَمٍّ (١) لَا تَكِلُّ وَلَا تَأْلُو (٢)
وَلِى فِى حَوَاشِى كُلِّ عَذْلٍ تَلَفُّتٌ
إِلَى حُبِّ مَنْ فِى حُبِّهِ قَبُحَ الْعَذْلُ
وَإِنِّى لَأُذْنِى مَا أَكُونُ مِنَ الْهَوَى
إِذَا أَرْجَفَ (٣) الْوَاشُونَ بِى أَنَّنِى أَسْلُو

هَذَا لَعَمْرِى وَاللهِ الْغَايَةُ فِى الْحُسْنِ وَالطَّلَاوَةِ، وَالرَّوْنَقِ وَالْحَلَاوَةِ. وَقَالَ أَيْضاً:

عَادَ قَلْبِى إِلَى الْهَوَى مِنْ قَرِيبٍ ... مَا مُحِبٌّ بِمُنْتَهٍ (٤) عَنْ حَبِيبِ
طَالَ يَا هِمَّتِى تَمَادِيكِ فِى الرُّشْـ ... ـدِ خُذِى مِنْ غَوَايَةٍ بِنَصِيبِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتِ حُسْناً غَرِيباً ... فَاسْتَعِدِّى لَهُ بِوَجْدٍ غَرِيبِ
يَا غَزَالاً مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْعُجْـ ... ـبِ فَهَزَّتْ عِطْفَيْهِ (٥) هَزَّ الْقَضِيبِ

---

(١) الهم : ما هم به الانسان فى نفسه ، وهم بالشىء : نواه وأراده وعزم عليه ، وعندى عزيمةهم الخ : أى عندى عزيمة قوية لا تكل ولا تقصر عن مرادها حين همها بالشىء وعزمها على فعله (٢) لاتألو : أى لاتقصر (٣) أرجف الواشون : أى خاضوا فيه وتحدثوا عنه بما ذكره فى البيت (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « بميته » (٥) عطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركيه ، والجمع أعطاف

بَيْنَ أَلْحَاظِكَ الْمِرَاضِ[1] وَبَيْنِي نَسَبٌ لَوْ رَعَيْتَ حَقَّ النَّسِيبِ
أَنْتَ أَجْرَيْتَ أَعْيُنَ الدَّمْعِ مِنْ عَيْـ ـنِي وَأَوْرَيْتَ زَنْدَ قَلْبِي الْكَئِيبِ
لَا تَقُلْ لَيْسَ لِي بِذَلِكَ عِلْمٌ فَعَلَى مُقْلَتَيْكَ سِيمَا مُرِيبٍ[2]
مَا تَعَدِّيكَ فِي الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؟ ! إِنَّ حَظِّي لَدَيْكَ حَظُّ أَدِيبِ

وَمَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمِنْهُمُ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُاللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ أَبْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، وَكَانَ يُجِيدُ الْكِتَابَةَ وَجَمَعَ مَجَامِيعَ حَسَنَةً ، وَجَمَعَ شِعْرَ وَالِدِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِ ، وَشِعْرَ عَمِّهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ الْقَاهِرِ ، وَلَهُ شِعْرٌ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْهُ :

مَنْ ذَا مُجِيرِي مِنْ يَدَيْ شَادِنٍ مُهَفْهَفِ الْقَدِّ مَلِيحِ الْعِذَارْ
قَدْ كَتَبَ الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ أَسْطُرَ مِسْكٍ طِرْسُهَا جُلَّنَارْ[3]

فَهَؤُلَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى . وَأَمَّا أَخُوهُ هَارُونُ بْنُ مُوسَى ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اشْتَرَى بِحَلَبَ مِلْكًا فِي قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِأَوْرَمَ الْكُبْرَى ، وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ : زُهَيْرٌ وَأَحْمَدُ ،

(١) الألحاظ : العيون — والمراض جمع مريض ، وعين مريضة : أى فيها فتور
(٢) المريب : من يجعلك فى ريبة وشك (٣) الجلنار : معرب كلنار بالفارسية ومعناه : ورد الرمان — واحده جلنارة

وَالْعَقِبُ لِزُهَيْرٍ وَهُوَ الَّذِى اشْتَرَى أَكْثَرَ أَمْلَاكِ بَنِى أَبِى جَرَادَةَ ، مِثْلِ أَوْرَمَ الْكُبْرَى ، وَيَحْمُولَ ، وَأَقْذَارَ وَلُؤْلُؤَةَ وَالسِّنِ وَهِيَ قُرًى ، وَوَقَفَ وَقْفاً عَلَى شِرَا فَرَسٍ[١] يُجَاهَدُ بِهِ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ . وَتُوُفِّىَ فِى حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . فَمِنْ وَلَدِ زُهَيْرٍ : أَبُو الْفَضْلِ وَهُوَ[٢] أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى ، وِلَادَتُهُ فِى حُدُودِ سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . سَمِعَ بِحَلَبَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ السَّبِيعِيَّ وَغَيْرَهُ ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ الْقَاضِى أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ ، وَمُشَرِّقٌ الْعَابِدُ وَجَمَاعَةٌ ، وَلَعَلَّهُ مَاتَ فِى حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ . وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى وَهُوَ الْعَدِيمُ ، إِلَيْهِ يُنْسَبُونَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لِمَ سُمُّوا ذَلِكَ ؟ وَمِنْهُمْ : وَلَدُهُ الْقَاضِى أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ابْنِ زُهَيْرٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِىَ الْقَضَاءَ بِمَدِينَةِ حَلَبَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ عَلَى الْقَاضِى أَبِى جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّمْنَانِىِّ ، وَكَانَ السِّمْنَانِىُّ إِذْ ذَاكَ قَاضِىَ حَلَبَ . أَنْشَدَنِى كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِى

(١) فى القاموس : الفرس للذكر والأنثى ، أوهى فرسة (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « هذا » .

جَرَادَةَ ، أَنْشَدَنِى وَالِدِى لِجَدِّ أَبِيهِ الْقَاضِى هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ يَحْيَى يَذْكُرُ أَبَاهُ وَيَفْتَخِرُ بِهِ :

أَنَا ابْنُ مُسْتَنْبِطِ الْقَضَايَا ... وَمُوضِحِ الْمُشْكِلَاتِ(١) حَلَّا

وَابْنُ الْمَحَارِيبِ لَمْ تُعَطَّلْ ... مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ تُتْلَى

وَفَارِسِ الْمِنْبَرِ اسْتَكَانَتْ ... عِيدَانُهُ مِنْ حِجَاهُ ثِقْلَا

تُوُفِّىَ بَعْدَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْهُمُ ابْنُهُ الْقَاضِى أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ ، كَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ جَمِيلَ الْأَمْرِ ، مُبَجَّلًا عِنْدَ آلِ مِرْدَاسٍ ، لَهُ شِعْرٌ جَزْلٌ فَصِيحٌ ذُو مَعَانٍ دِقَاقٍ ، يَتَرَفَّعُ قَدْرُهُ عَنْهُ(٢) ، وَإِنَّمَا يَقُولُ بِبَلَاغَتِهِ وَبَرَاعَتِهِ . سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِيهِ ، وَلَعَلَّهُ لَقِىَ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعَرِّىَّ وَقَرَأَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَوَلِىَ الْقَضَاءَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا فِى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَبَقِىَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ لِلْقَضَاءِ فِى أَوَائِلِ دَوْلَةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ أَبِى الْمَكَارِمِ مُسْلِمِ بْنِ

---

(١) مستنبط القضايا : أى مستخرج باطنها بفهمه واجتهاده ، وموضح المشكلات حلا : أى الذى يوضح العويص الغامض من المسائل التى أشكل فهمها على غيره ، فيحلها ويفتح مغاليقها . (٢) يقول : إن شعر القاضى أبى الفضل هبة الله بن أحمد هو شعر جزل فصيح الخ ، وإن منزلة القاضى وقدره يترفعان عن قول الشعر ، وإنه إنما كان يقوله مطاوعة لبلاغته وبراعته

قُرَيْشٍ بعْدَ وَفَاةِ حَمِيهِ الْقَاضِي كِسْرَى بنِ عَبْدِالْـكَرِيمِ بنِ كِسْرَى، وَكُتِبَ تَقْلِيدُهُ مِنْ بَغْدَادَ عَنِ الْمُقْتَدِى بِاللهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

لِى بِالْغُوَيْرِ (١) لُبَانَاتٌ ظَفِرْتُ بِهَا
قَدْ سُدَّ مِنْ دُونِهَا لِى أَوْضَحُ الطُّرُقِ
وَبالثَّنِيَّةِ بَدْرٌ لَاحَ فِى غُصُنٍ
أَصْمَى فُؤَادِى لَهَا سَهْمٌ مِنَ الْمَلَقِ (٢)
سَرَّاقَةٌ لِقُلُوبِ النَّاظِرِينَ لَهَا
وَمَا يُقَامُ عَلَيْهَا وَاجِبُ السَّرَقِ (٣)
لَا يُفْلِتُ الْمَرْءُ مِنْ أَشْرَاكِ مُقْلَتِهَا
وَإِنْ تَخَلَّصَ لَمْ يُفْلِتْ مِنَ الْعَقَقِ (٤)
وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ ذَا شُعَلٍ
لَوْلَا بَقَا اللَّيْلِ قُلْنَا غُرَّةُ الْفَلَقِ (٥)
وَلَائِمٍ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ وَاكِفَةٌ
لَا يَسْتَبِينُ لَهَا جَفْنٌ مِنَ الْغَرَقِ

(١) الغوير : ماء لبنى كلب ، ومنه قول الزباء « عسى الغوير أبؤسا » واللبانات جمع لبانة : الحاجة (٢) الثنية : العقبة أو الجبل أو الطريق فيه ، وأصمى فؤادى : أى أصابه إصابة قاتلة ، والملق : مصدر ملق : أى أظهر الود واللطف وليس به (٣) يريد بذلك أنه لاحد عليها (٤) من معانى العقق الانشقاق ، وحفرة عميقة فى الأرض (٥) السجف : الستر ، والفلق : الصبح ، وبقا : مقصور بقاء

يَقُولُ : أَفْنَيْتَهُ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... وَلَمْ تَصُنْهُ لِتَوْدِيعٍ وَمُفْتَرَقِ

وَلَهُ :

رَبْعٌ لِهِنْدٍ بِاللِّوَى مَصْرُومُ ... أَقْوَى فَمَا آوٍ بِهِ مَنْهُومُ (١)

أَخْفَاهُ إِلْحَاحُ الْبِلَى فَضَلَلْتُ فِي
إِنْشَادِهِ (٢) لَوْلَا النَّسِيمُ تَهُومُ

تَضْيَافُ طَرْفِي فِيهِ دَمْعٌ سَاجِمٌ
وَقِرَى (٣) فُؤَادِي فِي ذُرَاهُ هُمُومُ

هَلْ عَاذِرٌ فِي الرَّبْعِ رَأْيَ عِيسِهِمْ
تُحْدَى لَهَا وَخْدٌ بِهِمْ وَرَسِيمُ ؟

وَهَوًى تُبَعِّدُهُ اللَّيَالِي وَالنَّوَى ... إِنْ قَرَّبَتْهُ خَوَاطِرٌ وَرُسُومُ

يَا صَاحِبَيَّ خُذَا الْمَطَايَا وَحْدَهَا
بِدَمِي فَمَا اغْتَالَتْهُ إِلَّا الْكُومُ (٤)

أَمُعَنِّيَّ أَحْكَامَ الْهَوَى وَأَعَنَّهُ ... وَمُسَاعِدُ الْمَرْءِ الظَّلُومِ ظَلُومُ

(١) المنهوم : المولع بالشيء ، وأقوى الربع : خلا من ساكنيه ، واللوى : موضع
(٢) نشد فلان الضالة وأنشدها بمعنى واحد : طلبها واسترشد عنها (٣) القرى : ما يقدم للضيف (٤) الكوم : القطعة من الابل ، والجمع أكوام ، أو جمع أكوم وكوماء : للبعير الضخم السنام ، وكان الأصل « تدمي فما شغلتها »

وَلَهُ :

وَمَا عَسَى يَطْلُبُ الرِّجَالُ مِنْ رَجُلٍ
كَاسٍ مِنَ الْفَضْلِ إِنْ عُرِّىَ مِنَ الْمَالِ

كَالْبَارِدِ الْعَذْبِ يَوْمَ الْوِرْدِ مِنْ ظَمَاٍ
وَالصَّارِمِ الْعَضْبِ فِى رَوْعٍ وَأَوْجَالِ (١)

هُمُومُهُ فِى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فَمَا
يُلْفَى مُصَاحِبَ أَطْمَاحٍ وَآمَالِ

أَلَذُّ مِنْ ثَرْوَةٍ تَأْتِى بِإِذْلَالِ
عِزُّ الْقَنَاعَةِ مَعْ صَوْنٍ وَإِقْلَالِ

وَمَا يَضُرُّ امْرَأً أَثْرَتْ مَنَاقِبُهُ
أَنْ أَكْسَبَتْهُ اللَّيَالِى رِقَّةَ الْحَالِ

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُ أَبَا الْفَضَائِلِ سَابِقَ بْنَ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرِ ابْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ صَاحِبَ حَلَبَ وَيَشْكُرُهُ ، إِذْ لَمْ يَسْمَعْ فِيهِ قَوْلَ حُسَّادٍ وَشَوْا (٢) بِهِ إِلَيْهِ :

خَلِّهَا إِنْ ظَمِئَتْ تَشْكُو الْأُوَامَا (٣)
لَا تُقِلْهَا الْأَيْنَ إِنْ طَالَ وَدَامَا

---

(١) الأوجال جمع وجل : الخوف (٢) كانت فى هذا الأصل : « وشدا » وأصلحت (٣) الأوام : العطش أوحره ، والأين : بمعنى الاعياء ، لايبنى منه فعل ، ولا تقلها الأين : أى لا تخرجها ولا ترحها منه ، من الاقالة

وَٱجْعَلِ ٱلسَّرْجَ إِذَا مَا سَغِبَتْ
كَلَأً وَٱلْمَوْرِدَ ٱلْعَذْبَ ٱللِّجَامَا

أَوْ تَرَاهَا كَٱلْحَنَايَا[١] بِٱلسُّرَى وَبِإِسْرَاعٍ إِلَى ٱلْمَرْمَى سِهَامَا

قَصُرَتْ ظَهْرًا وَرُسْغًا وَعَسِيبًا[٢]
مِثْلَ مَا طَالَتْ عِنَانًا وَحِزَامَا

تَنْصِبُ ٱلْأُذْنَيْنِ حَتَّى خُيِّلَتْ بِهِمَا تُبْصِرُ مَا كَانَ أَمَامَا

وَإِذَا مَا بَارَتِ ٱلرِّيحَ ٱغْتَدَتْ
خَلْفَهَا ٱلنَّكْبَاءُ حَسْرَى[٣] وَٱلنُّعَامَى

كَمْ مُقَامِي بَيْنَ أَحْكَامِ ٱلْعِدَى أَتْبَعُ ٱلْقَائِدَ لَا أَعْصِي ٱلزِّمَامَا

أَكْلَةَ ٱلطَّاعِمِ لَا يَرْهَبُ إِثْمًا
أَوْ أَسِيرَ ٱلْمَنِّ إِنْ كَفَّ ٱحْتِشَامَا[٤]

وَإِلَامَ ٱلْحَظُّ لَا يُنْصِفُنِي
مِنْ زَمَانٍ جَارَ فِي قَصْدِي إِلَامَا ؟

---

(١) الحنايا جمع حنية : وهي القوس ، سميت به لانحنائها ـ وهي فعيل بمعنى مفعول

(٢) العسيب : عظم الذنب ، أو منبت الشعر منه (٣) النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح العوم ، ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال ، والجمع نكب ونكباوات ، والنعامي : ريح الجنوب لأنها أبل الرياح وأرطبها ، أو بينها وبين الصبا ، والجمع نعائم (٤) الطاعم : أى المطعوم ، والمن : الاحسان والصنيعة ، والاحتشام : الانقباض والاستحياء

فَتَرَى الْأَزْجَلَ تَعْلُو فِيهِ هَامًا تَعْتَلِى أَرْؤُسَهُ[1] أَذْنَابُهُ

مِنْهُمْ عَزَّتْ وَلَوْ كَانَتْ لِمَامَا[2] أَتَمَنَّى رَاحَةً تُنْقِذُنِى

وَمِنْهَا :

كَمْ رَمَوْنِى عَامِدًا فِى هُوَّةٍ
نَارُهَا تَعْلُو اشْتِعَالًا وَاضْطِرَامَا
قَاصِدِى حَتْفِى فَكَانَتْ بِكَ لِى
نَارُ إِبْرَاهِيمَ بَرْدًا وَسَلَامَا

وَلَهُ فِى الْمَعْنَى مِنْ قَصِيدَةٍ :

هُنِّئْتِ يَا أَرْضَ الْعَوَاجِمِ[3] دَوْلَةً
رَوَّى ثَرَاكِ بِهَا أَشَمُّ أَرْوَعُ
قَدْ عَادَ فِى الْأَيَّامِ مَاءُ شَبَابِهَا
وَتَسَالَمَتْ حُرَقُ[4] الْأَسَى وَالْأَضْلُعُ
أَشْكُو إِلَيْكَ عِصَابَةً نَبَذُوا الْحَيَا
حَسَدًا وَشَدُّوا فِى أَذَاىَ وَأَوْضَعُوا[5]

---

(١) فى الأصل « رءوسه » وهو لا يستقيم والوزن (٢) كانت فى الأصل « هاما » تحريف (٣) فى هامش الأصل : « لعلها العواصم » ، والأشم : السيد ذو الأنفة الكريم ، والأروع : الشهم الذكى الفؤاد (٤) الحرق جمع حرقة : وهى الحرارة ، والأسى : الحزن وتسالمتا : تصالحتا ، أى ابتعد كل منهما عن الآخر (٥) أوضعت الناقة : أسرعت فى سيرها .

رَامُوا ٱبْتِزَازِي مُورَثِي عَنْ أُسْرَتِي
وَتَآزَرُوا فِي قَبْضِهِ وَتَجَمَّعُوا

يَتَطَلَّبُونَ لِيَ الذُّنُوبَ كَأَنَّنِي
مِمَّنْ عَلَيْهِ بِالشِّنَانِ يُقَعْقَعُ [1]

لَمْ أَخْشَ قَهْرَهُمُ وَنَصْلُكَ [2] مُصْلَتٌ
دُونِي وَلِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ مَرْجِعُ

وَلَهُ :

وَمَا الذُّلُّ إِلَّا أَنْ تَبِيتَ مُؤَمِّلًا
وَقَدْ سَهِرَتْ عَيْنَاكَ وَسْنَانَ هَاجِعَا

أَأَخْشَى ٱمْرَأً أَوْ أَشْتَكِي مِنْهُ جَفْوَةً
إِذَا كُنْتُ بِالْمَيْسُورِ فِي الدَّهْرِ قَانِعَا ؟؟

إِذَا مَا رَآنِي طَالِبًا مِنْهُ حَاجَةً
فَفِي حَرَجٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مَانِعَا

وَكَانَ الْمُنَجِّمُونَ قَدْ حَكَمُوا لَهُ أَنَّهُ يَمُوتُ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ ٱعْتُقِلَ بِالْقَلْعَةِ مُدَّةً لِتُهَمَةٍ ٱتُّهِمَ بِهَا بِالْمُمَالَأَةِ [3]

---

(١) المثل : ما يقعقع له بالشنان ، يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له . (٢) نصلك : سيفك ، وكانت فى الأصل : « نصرك »
(٣) الممالأة : المساعدة

لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ بَعْدَ مُدَّةٍ فَنَزَلَ رَاكِبًا وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ وَجَدَ أَلَمًا فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَمْسِكُونِى أَمْسِكُونِى ، فَأَخَذُوهُ فِى صُدُورِهِمْ مِنْ عَلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَقِيَ عَلَى صُدُورِهِمْ إِلَى أَنْ مَاتَ بِحَلَبَ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الْقَاضِى أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِى أَبِى الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِى أَبِى الْحَسَنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا زَاهِدًا عَفِيفًا ، سَمِعَ أَبَاهُ وَغَيْرَهُ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا وَخَطَابَتَهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ فِى أَيَّامِ تَاجِ الدَّوْلَةِ دُبَيْس فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ قَاضِيًا بِهَا إِلَى أَنْ عَزَلَهُ رِضْوَانُ لَمَّا خَطَبَ لِلْمِصْرِيِّينَ (١) ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ الْقَاضِى الزَّوْزَنِىُّ الْعَجَمِيُّ فِى شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . ثُمَّ عَاوَدَ الْمَلِكُ رِضْوَانُ الْخُطْبَةَ لِبَنِى الْعَبَّاسِ ، فَأَعَادَ الْقَاضِى أَبَا غَانِمٍ إِلَى وِلَايَتِهِ وَجَاءَهُ التَّقْلِيدُ مِنْ بَغْدَادَ بِالْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ عَنِ الْقَاضِى عَلِيِّ بْنِ الدَّامَغَانِيِّ بِأَمْرِ الْمُسْتَظْهِرِ فِى صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَكَانَ مَوْلِدُ الْقَاضِى أَبِى غَانِمٍ فِى رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ

(١) يريد الفاطميين

وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي شَرَعَ فِي عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِحَلَب يُعْرَفُ بِبَنِي الْعَدِيمِ ، وَأَتَمَّهُ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْخِطَابَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَالْإِمَامَةَ بِحَلَبَ ، وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ وَكَانَ يَؤُمُّ بِالنَّاسِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مُتَكَتِّفٌ تَحْتَ ثِيَابِهِ ، وَيُسْبِلُ أَكْمَامَهُ فَارِغَةً خَوْفًا مِنَ الْوُلَاةِ فِي أَيَّامِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِسْمَاعِيلِيِّينَ يَرَوْنَ رَأْيَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَكَانُوا يُفْطِرُونَ قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ وَيَجْتَمِعُ أَكَابِرُ حَلَبَ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ يُهَنِّئُونَهُمْ ، فَصَعِدَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ لِلْهَنَاءِ فِيمَنْ صَعِدَ ، وَقُدِّمَ لِلنَّاسِ سُكَّرٌ وَلَوْزٌ (١) وَأَخَذَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ لَوْزَةً وَوَضَعَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ حَلَبَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، لِمَ لَا تَأْكُلُ مِنَ السُّكَّرِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُ يَذُوبُ وَتَبَسَّمَ ، فَضَحِكَ الْوَالِي وَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : نَزَلَ جَدُّكَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يُصَلِّي بِالْجَامِعِ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ قُرْبَ الْمِنْبَرِ وَكَانَا جَدِيدَيْنِ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَامَ لِلُبْسِهِمَا فَوَجَدَ نَعْلَهُ الْعَتِيقَ مَكَانَهُمَا فَقَالَ لِغُلَامِهِ : أَلَمْ أَنْزِلْ إِلَى الْجَامِعِ

(١) كانتا فى الأصل : سكرا ولوزا

بِالْمَدَاسِ الْجَدِيدِ ؟ فَأَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ : بَلَى وَلَـكِنْ جَاءَنَا السَّاعَةَ رَجُلٌ وَطَرَقَ الْبَابَ وَقَالَ : الْقَاضِي يَقُولُ لَـكُمْ : أَنْفِذُوا إِلَيْهِ مَدَاسَهُ الْعَتِيقَ إِلَى الْجَامِعِ ، فَقَدْ سُرِقَ مَدَاسُهُ الْجَدِيدُ فَضَحِكَ وَقَالَ : هَذَا وَاللهِ لِصٌّ شَفِيقٌ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَهُوَ فِي حِلٍّ مِنْهُ . وَالْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ هَذَا هُوَ الَّذِي نَهَضَ مِنْ حَلَبَ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ حَصَرَهَا الْفِرَنْجُ وَدُبَيْسٌ بَعْدَ قَتْلِ بَلْكٍ عَلَى مَنْبِجَ ، حَتَّى أَقْدَمَ الْبُرْسُقِيَّ مِنَ الْمَوْصِلِ فَاسْتَنْقَذَهَا مِنَ الْحِصَارِ ، وَهَرَبُوا لَمَّا سَمِعُوا بِقُدُومِهِ . وَكَانَ أَهْلُ حَلَبَ لَقُوا شِدَّةً وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَمِيرٌ ، وَإِنَّمَا تَوَلَّوْا حِفْظَ الْبَلَدِ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا حَسُنَتْ بِهِ الْعَاقِبَةُ .

وَمِنْهُمُ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ سُمِّيَ بِاسْمِ جَدِّهِ وَكُنِّيَ بِكُنْيَتِهِ ، وَكَانَ فَقِيهًا مَرْضِيًّا وَرِعًا زَاهِدًا سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ ، وَكُتِبَ لَهُ عَهْدُهُ مِنْ أَتَابَكَ زَنْكِيِّ بْنِ آقْسُنْقُرَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ لَهُ الْعَهْدُ مِنْ بَغْدَادَ مِنْ قَاضِي الْقُضَاةِ الزَّيْنَبِيِّ بِأَمْرِ [1] الْمُقْتَفِي . وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل : « وأمر »

ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

فَلَمَّا قُتِلَ أَتَابَكُ زَنْكِيٌّ وَوَلِّيَ ابْنُهُ نُورُ الدِّينِ ، وَوَلَّى كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّهْرَزُورِيُّ قَضَاءَ الشَّامِ — وَرُزِقَ الْبَسْطَةَ وَالتَّحَكُّمَ فِي الدَّوْلَةِ ، وَقَاوَمَ الْوُزَرَاءَ بَلِ الْمُلُوكَ — الْتَمَسَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هَذَا أَنْ يَكْتُبَ فِي كُتُبِ سِجِلَّاتِهِ ذِكْرَ النِّيَابَةِ عَنْهُ ، فَامْتَنَعَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَلَجَّ ابْنُ الشَّهْرَزُورِيِّ وَسَاعَدَهُ مَجْدُ الدِّينِ بْنُ الدَّايَةِ ، وَهُوَ وَالِي حَلَبَ لِشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ لِأُمُورٍ كَانَ يُخَالِفُهُ فِيهَا فِي أَقْضِيَةٍ يُؤْثِرُ [(١)] فِيهَا جَانِبَ الْحَقِّ عَلَى أَغْرَاضِهِ ، وَتَرَدَّدَتِ [(٢)] الْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَ نُورِ الدِّينِ وَبَيْنَهُ فِي قَبُولِ النِّيَابَةِ وَهُوَ يَأْبَى إِلَى أَنْ قَالَ ابْنُ الدَّايَةِ : هَذَا تَحَكُّمٌ مِنْهُ فِي الدَّوْلَةِ وَفِيكَ ، إِذْ تَأْمُرُهُ بِشَيْءٍ وَلَا يَمْتَثِلُهُ فَاعْزِلْهُ ، وَوَلِّ مُحْيِيَ الدِّينِ ابْنَ كَمَالِ الدِّينِ : فَقَالَ نُورُ الدِّينِ « بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ » يُسْتَنَابُ لَهُ قَاضٍ حَنَفِيٌّ فَعُزِلَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَوُلِّيَ مُحْيِي الدِّينِ قَضَاءَ حَلَبَ ، وَاسْتُنِيبَ لَهُ الْكُودِرِيُّ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَحَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « يوفر » (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « وتردد »

وَكَتَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مُنِيرٍ الطَّرَابُلُسِيُّ لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ كِتَابَ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ لِلْقَاضِي عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ، وَكَانَ قَدْ وَعَدَهُ بِهَا وَدَافَعَهُ:

يَاحَائِزًا غَايَ كُلِّ فَضْلٍ تَضِلُّ فِي كُنْهِهِ الْإِحَاطَهْ
وَمَنْ تَرَقَّى إِلَى مَحَلٍّ أَحْكَمَ فَوْقَ السُّهَا[1] مَنَاطَهْ
إِلَى مَتَى أُسْعَطُ[2] التَّمَنِّي وَلَا تَرَى الْمَنَّ بِالْوَسَاطَهْ

وَمَاتَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَمِنْهُمْ ابْنُ أُخْتِهِ أَبُو الْمَكَارِمِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ، سَمِعَ بِحَلَبَ وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَسَمِعَ بِهَا مُحَمَّدَ ابْنَ نَاصِرٍ السَّلَامِيَّ وَغَيْرَهُ.

وَحَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَيَّدَهُ اللهُ قَالَ: قَالَ لِي شَيْخُنَا أَبُو الْيُمْنِ زَيْدٌ الْكِنْدِيُّ: كَانَ أَبُو الْمَكَارِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ سَمِعَ بِبَغْدَادَ الْحَدِيثَ مَعَنَا عَلَى مَشَايِخِنَا

(١) السها: كوكب خفى من بنات نعش الصغرى، والمناط: موضع التعليق، ومنه قولهم: هو منى مناط الثريا: كناية عن البعد. (٢) أسعطه الدواء وسعطه إياه كمنع ونصر: أدخله فى أنفه

فَسَمِعْتُ بِقِرَاءَتِهِ وَوَرَدَ إِلَيْنَا إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكُنَّا نُلَقِّبُهُ « القَاضِي بِسَعَادَتِكَ » وَذَلِكَ أَنَّ القَلَانِسِيَّ دَعَاهُ فِي وَلِيمَةٍ وَكُنْتُ حَاضِرَهَا ، فَجَعَلَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُ عَنْهُ بِمَا سَرَّ أَوْ سَاءَ إِلَّا وَقَالَ فِي عَقِبِهِ بِسَعَادَتِكَ ، فَإِنْ قَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ قَالَ : مَاتَ بِسَعَادَتِكَ، وَإِنْ قَالَ لَهُ : مَا خَبَرُ الدَّارِ الفُلَانِيَّةِ ؟ يَقُولُ : خَرِبَتْ بِسَعَادَتِكَ ، فَسَمَّيْنَاهُ القَاضِي بِسَعَادَتِكَ ، وَكَانَ يَقُولُهَا لِاعْتِيَادِهِ إِيَّاهَا لَا لِجَهْلٍ كَانَ فِيهِ .
وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَفِقْهٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَقَدْ رَوَى الحَدِيثَ .

وَلِأَبِي المَكَارِمِ شِعْرٌ مِنْهُ :

لَئِنْ تَنَاءَيْتُمُ عَنِّي وَلَمْ تَرَكُمْ
عَيْنِي فَأَنْتُمْ بِقَلْبِي بَعْدُ سُكَّانُ
لَمْ أَخْلُ مِنْكُمْ[1] وَلَمْ أَسْعَدْ بِقُرْبِكُمُ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِوَصْلٍ فِيهِ هِجْرَانُ ؟

وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَاتَ بِحَلَبَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، أَوْ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ . وَمِنْهُمْ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ ابْنُ القَاضِي أَبِي الفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ القَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) يقول لم أنس ذكركم ، فكأنه قد اعتبر ذكره لهم بمنزلة أنه معهم فى وصل ولقاء

القَاضِي أَبِي الفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ القَاضِي أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَي وَهُوَ عَمُّ جَمَالِ الدِّينِ ، أَحَدُ الأَوْلِيَاء العُبَّادِ ، وَأَرْبَابِ الرِّيَاضَةِ وَالاِجْتِهَادِ ، عَامِلٌ كَثِيرُ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ وَهُوَ حَيٌّ يُرْزَقُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا . وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى الْخَطَابَةَ بِجَامِعِ حَلَبَ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ القَضَاءُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيّ بَعْدَ القَاضِي ابْنِ الشَّهْرَزُورِيّ فَامْتَنَعَ مِنْهُ ، فَقُلِّدَ القَضَاءَ أَخُوهُ القَاضِي أَبُو الْحَسَنِ وَالِدُ كَمَالِ الدِّينِ أَيَّدَهُ اللهُ ، وَ كَتَبَ جَمَالُ الدِّينِ هَذَا بِخَطِّهِ الْكَثِيرَ وَشُغِفَ بِتَصَانِيفِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيّ بْنِ الْحَكِيمِ التِّرْمِذِيّ فَجَمَعَ مُعْظَمَ تَصَانِيفِهِ عِنْدَهُ وَكَتَبَ بَعْضَهَا بِخَطِّهِ، وَكَتَبَ مِنْ كُتُبِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ(١) وَالْمَصَاحِفِ كَثِيراً ، وَكَانَ خَطُّهُ فِي صِبَاهُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ الْقَدِيمَةِ ، وَوَهَبَ لِأَهْلِهِ مَصَاحِفَ كَثِيرَةً بِخَطِّهِ، وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَتَبَ مُصْحَفاً أَوْ مُصْحَفَيْنِ ، وَجَمَعَ بُرَاوَاتِ الأَقْلاَمِ فَيَكْتُبُ بِهَا تَعَاوِيذَ لِلْحُمَّى وَعُسْرِ الْوِلاَدَةِ فَيُعْرَفُ بَرَكَتُهَا . قَالَ : وَسَأَلْتُ عَمِّي عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ سَمِعَ

(١) الرقائق : أى الدقائق جمع رقيقة : ولعله يعنى اللطائف الروحانية

أَبَاهُ وَعَمَّهُ أَبَا الْمَجْدِ عَبْدَ اللهِ وَغَيْرَهُمَا ، وَرَوَى الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى الْعَلَاءِ الْغَزْنَوِيِّ ، وَاجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَكُوشِفَ بِأَشْيَاءَ مَشْهُورَةٍ ، وَهُوَ الْآنَ يَحْيَا فِي مُحَرَّمِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ . وَمِنْهُمُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ وُلُّوا قَضَاءَ حَلَبَ ، وَهَذَا هُوَ وَالِدُ كَمَالِ الدِّينِ صَاحِبِ أَصْلِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ ، كَانَ يَخْطُبُ بِالْقَلْعَةِ بِحَلَبَ عَلَى أَيَّامِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ، ثُمَّ وَلِيَ الْخِزَانَةَ فِي أَيَّامِ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى أَنْ عُرِضَ الْقَضَاءُ عَلَى أَخِيهِ كَمَا ذَكَرْنَا ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ فَقَلَّدَهُ الْقَاضِي هَذَا بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ وَالِيًا لِلْقَضَاءِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَمَنْ بَعْدَهُ فِي دَوْلَةِ عِزِّ الدِّينِ ، ثُمَّ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ، وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ إِلَى أَنْ عُزِلَ عَنْ مَنْزِلِي الْخَطَابَةِ وَالْقَضَاءِ وَنُقِلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ عَزْلُهُ عَنِ الْقَضَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَوَلِيَهُ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الزَّكِيِّ قَاضِي دِمَشْقَ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ صُرِفَ أَخُوهُ الْأَصْغَرُ أَبُو الْمَعَالِي عَبْدُ الصَّمَدِ عَنِ الْخَطَابَةِ قَبْلَهُ ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ يَئُولُ إِلَى عَزْلِهِ عَنِ الْقَضَاءِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ شَافِعِيَّةٌ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْحَجِّ وَالْإِعْفَاءِ مِنَ الْقَضَاءِ فَصُرِفَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مُرَاجَعَاتٍ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِيهِ وَأَبِي الْمُظَفَّرِ سَعِيدِ بْنِ سَهْلٍ الْفَلَكِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، هَذَا مَا كَتَبْتُهُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ آنِفًا عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ وَالْإِيجَازِ ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ فَضَائِلِهِمْ . وَأَنَا الْآنَ أَذْكُرُ مَنْ أَنَا بِصَدَدِهِ وَهُوَ كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي سَعِيدٍ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ — كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ آبَائِهِ وَلِيَ قَضَاءَ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا وَهُمْ حَنَفِيُّونَ — وَهُوَ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ حَالِهِ رَكِبْنَا سَنَنَ الْمَقَالِ وَجَدَدَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ شُرُوطِ هَذَا الْكِتَابِ ، لِكِتَابَتِهِ الَّتِي فَاقَتِ ابْنَ هِلَالٍ ، وَبَلَغَتِ الْغَايَةَ فِي الْجَوْدَةِ

وَالْإِتقَانِ ، وَلِتَصَانِيفِهِ فِي الْأَدَبِ الَّتِي تُذْكَرُ آنِفاً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا أَوْصَافُهُ بِالْفَضْلِ فَكَثِيرَةٌ ، وَسِمَاتُهُ بِحُسْنِ الْأَثَرِ أَثِيرَةٌ ، وَإِذَا كَانَ هٰذَا الْكِتَابُ لَا يَتَّسِعُ لِأَوْصَافِهِ جَمِيعاً ، وَكَانَ الْوَقْتُ يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ سَرِيعاً ، وَرَأَيْتُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْإِتْعَابِ التَّصَدِّيَ لِجَمِيعِ فَضَائِلِهِ وَالِاسْتِيعَابَ ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى الْقَوْلِ مُجْمَلًا لَا مُفَصَّلًا ، وَضَرْبَةً⁽¹⁾ لَا مُبَوَّبًا فَأَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُنِيَ بِخِلْقَتِهِ ، فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ وَعَقْلَهُ وَذِهْنَهُ وَذَكَاءَهُ ، وَجَعَلَ هِمَّتَهُ فِي الْعُلُومِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ ، فَقَرَأَ الْأَدَبَ وَأَتْقَنَهُ ، ثُمَّ دَرَسَ الْفِقْهَ فَأَحْسَنَهُ ، وَنَظَمَ الْقَرِيضَ فَجَوَّدَهُ ، وَأَنْشَأَ النَّثْرَ فَزَيَّنَهُ ، وَقَرَأَ حَدِيثَ الرَّسُولِ وَعَرَفَ عِلَلَهُ وَرِجَالَهُ ، وَتَأْوِيلَهُ وَفُرُوعَهُ وَأُصُولَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ قَلِقُ الْبَنَانِ جَوَادٌ بِمَا تَحْوِي الْيَدَانِ ، وَهُوَ كَاسْمِهِ كَمَالٌ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ ، لَمْ يَعْتَنِ بِشَيْءٍ إِلَّا وَكَانَ فِيهِ بَارِزاً ، وَلَا تَعَاطَى أَمْراً إِلَّا وَجَاءَ فِيهِ مُبَرِّزاً ، مَشْهُورٌ ذٰلِكَ عَنْهُ لَا يُخَالِفُ فِيهِ صَدِيقٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ عَدُوٌّ .

---

(١) يريد خلطا من ضرب الشيء بالشيء كضرب به بالتشديد خلطه

وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ لِلْحَدِيثِ فِي سُرْعَتِهِ وَصِحَّةِ إِيرَادِهِ، وَطِيبِ صَوْتِهِ وَفَصَاحَتِهِ، فَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي أَقَرَّ لَهُ بِهَا كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا، فَإِنَّهُ يَقْرَأُ الْخَطَّ الْعَقِدَ(١) كَأَنَّهُ يَقْرَأُ مِنْ حِفْظِهِ. وَأَمَّا خَطُّهُ فِي التَّجْوِيدِ وَالتَّحْرِيرِ وَالضَّبْطِ وَالتَّقْيِيدِ فَسَوَادُ مُقْلَةٍ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ، وَبَدْرٌ ذُو كَمَالٍ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ:

خِلَالُ الْفَضْلِ فِي الْأَمْجَادِ فَوْضَى ... وَلَكِنَّ الْكَمَالَ لَهَا كَمَالُ

وَإِذَا كَانَ التَّمَامُ مِنْ خَصَائِصِ عَالِمِ الْغَيْبِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَيْبٍ، فَعَيْبُهُ لِطَالِبِ الْعَنَتِ وَالشَّيْنِ، أَنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ إِصَابَتِهِ الْعَيْنَ(٢)، هَذَا مَعَ الْعَفَافِ وَالزَّمْتِ، وَالْوَقَارِ وَحُسْنِ السَّمْتِ، وَالْجَلَالِ الْمَشْهُورِ، عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْجُمْهُورِ،

قَادَ الْجُيُوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي إِشْغَالِ

سَأَلْتُهُ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ لِي: وُلِدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. قَالَ: فَلَمَّا بَلَغْتُ سَبْعَةَ أَعْوَامٍ حُمِلْتُ(٣) إِلَى الْمَكْتَبِ فَأُقْعِدْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعَلِّمِ فَأَخَذَ يُمَثِّلُ لِي كَمَا يُمَثِّلُ لِلْأَطْفَالِ، وَيَمُدُّ خَطًّا وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ

---

(١) المتشبث بعضه ببعض كأنه الرمل المنعقد المتراكم (٢) لولا قصده السجع لكان التركيب «يخاف عليه العين من إصابته» فالعين مفعول يخاف، ومن تعليلية.
(٣) في الأصل: «حصلت»

ثَلَاثَ سِنِينَاتٍ ، فَأَخَذْتُ الْقَلَمَ وَكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ كَتَبَ « بِسْمِ » وَمَدَّ مَدَّتَهُ فَفَعَلْتُ كَمَا فَعَلَ ، وَجَاءَ مَا كَتَبْتُهُ قَرِيباً مِنْ خَطِّهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمُعَلِّمُ وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَئِنْ عَاشَ هَذَا الطِّفْلُ لَا يَكُونُ فِي الْعَالَمِ أَكْتَبُ مِنْهُ . وَصَحَّتْ لَعَمْرِي فِرَاسَةُ الْمُعَلِّمِ فِيهِ ، فَهُوَ أَكْتَبُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَهُ بَعْدَ ابْنِ الْبَوَّابِ بِلَا شَكٍّ .

وَقَالَ : وَخَتَمْتُ الْقُرْآنَ ، وَلِي تِسْعُ سِنِينَ ، وَقَرَأْتُ بِالْعَشْرِ وَلِي عَشْرُ سِنِينَ ، وَحُبِّبَ إِلَيَّ الْخَطُّ وَجَعَلَ وَالِدِي يُحَضِّنِي عَلَيْهِ ، فَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ يُوسُفُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الزُّهْرِيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْأَدِيبُ مُعَلِّمُ وَلَدِهِ بِحَضْرَةِ كَمَالِ الدِّينِ قَالَ :

حَدَّثَنِي وَالِدُ هَذَا « وَأَشَارَ إِلَيْهِ » قَالَ : وُلِدَ لِي عِدَّةُ بَنَاتٍ وَكَبِرْنَ وَلَمْ يُولَدْ لِي غَيْرُ وَلَدٍ وَاحِدٍ ذَكَرٍ ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ ، وَحَفِظَ مِنَ الْقُرْآنِ قَدْراً صَالِحًا وَعُمُرُهُ خَمْسُ سِنِينَ ، وَاتَّفَقَ أَنْ كُنْتُ يَوْماً جَالِساً فِي غُرْفَةٍ لَنَا مُشْرِفَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَمَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ فَاطَّلَعَ ذَلِكَ الطِّفْلُ بِبَصَرِهِ نَحْوَهَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا أَبَتِ إِذَا أَنَا مِتُّ بِمَ تُغَشِّي تَابُوتِي ؟ فَزَجَرْتُهُ وَأَدْرَكَنِي فِي الْوَقْتِ اسْتِشْعَارٌ

شَدِيدٌ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى مَرِضَ وَدَرَجَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ وَلَحِقَ بِرَبِّهِ ، فَأَصَابَنِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يُصِبْ وَالِدًا عَلَى وَلَدٍ ، وَامْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَجَلَسْتُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَتَصَبَّرْتُ فَلَمْ أُعْطَ عَلَيْهِ صَبْرًا ، فَحَمَلَنِي شِدَّةُ الْوَلَهِ عَلَى قَصْدِ قَبْرِهِ وَتَوَلَّيْتُ حَفْرَهُ بِنَفْسِي ، وَأَرَدْتُ اسْتِخْرَاجَهُ وَالتَّشَفِّيَ بِرُؤْيَتِهِ ، فَلِمَشِيئَةِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِالطِّفْلِ أَوْ بِي لِئَلَّا أَرَى بِهِ مَا أَكْرَهُ صَادَفْتُ حَجَرًا ضَخْمًا ، وَعَالَجْتُهُ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ قَلْعُهُ مَعَ قُوَّةٍ وَأَيْدٍ كُنْتُ مَعْرُوفًا بِهِمَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ امْتِنَاعَ الْحَجَرِ عَلَيَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ شَفَقَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى الطِّفْلِ أَوْ عَلَيَّ ، فَزَجَرْتُ نَفْسِي وَرَجَعْتُ وَلْهَانَ بَعْدَ أَنْ أَعَدْتُ قَبْرَهُ إِلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، فَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّوْمِ ذَلِكَ الطِّفْلَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَاهُ عَرِّفْ وَالِدَتِي : أَنِّي أُرِيدُ أَجِيءُ إِلَيْكُمْ فَانْتَبَهْتُ مَرْعُوبًا ، وَعَرَّفْتُ وَالِدَتَهُ ذَلِكَ فَبَكَيْنَا وَتَرَحَّمْنَا وَاسْتَرْجَعْنَا ، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ نُورًا خَرَجَ مِنْ ذَكَرِي حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى جَمِيعِ دُورِنَا وَمَحَلَّتِنَا وَعَلَا عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَانْتَبَهْتُ وَأَوَّلْتُ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي : أَبْشِرْ بِمَوْلُودٍ يَعْلُو قَدْرُهُ ، وَيَعْظُمُ أَمْرُهُ ، وَيَشِيعُ بَيْنَ الْأَنَامِ ذِكْرُهُ بِمِقْدَارِ مَا رَأَيْتَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ ،

فابتهلت إلى الله عز وجل ودعوته وشكرته، وقويت نفسي بعد الإياس[1] لأني كنت قد جاوزت الأربعين، فلم تمض إلا هنيهة حتى اشتملت والدة ولدي هذا « وأشار إلى كمال الدين — أيده الله — » على حمل، وجاءت به في التاريخ المقدم ذكره، فلم يكن بقلبي بحلاوة ذلك الأول، لأنه كان نحيفاً جداً، فجعل كلما كبر نبل جسماً وقدراً، ودعوت عدة دعوات، وسألت الله له عدة سؤالات، ورأيت فيه والحمد لله أكثرها.

ولقد قال له رجل يوماً بحضرتي كما يقول الناس: أراكه الله قاضياً كما كان آباؤه. فقال: ما أريد له ذلك، ولكني اشتهيته أن يكون مدرساً، فبلغه الله ذلك بعد موته، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها، وأكثر السماع على الشيخ الشريف افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي. ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة، وفي سنة ثمان وستمائة، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضاً، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن في النوبتين كثيراً من مسموعاته.

---

(١) الاياس : القنوط

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ ـ أَدَامَ اللهُ مَعَالِيَهُ ـ قَالَ: قَالَ لِي وَالِدِي: أُحفَظِ اللُّمَعَ حَتَّى أُعطِيَكَ كَذَا وَكَذَا، فَحَفِظْتُهُ وَقَرَأْتُهُ عَلَى شَيْخِ حَلَب يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ الضِّيَاءُ بْنُ دُهْنِ الْحَصَا، ثُمَّ قَالَ لِي: أُحفَظِ الْقُدُورِيَّ حَتَّى أَهَبَ لَكَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الدَّرَاهِمِ كَثِيرَةً أَيْضاً، فَحَفِظْتُهُ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ وَأَنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ أُجَوِّدُ، وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ يُحَرِّضُنِي عَلَى ذَلِكَ، وَيَتَوَلَّى صَقْلَ الْكَاغَدِ لِي بِنَفْسِهِ، فَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَرَّةً وَقَدْ خَرَجْنَا إِلَى ضَيْعَةٍ لَنَا فَأَمَرَنِي بِالتَّجْوِيدِ. فَقُلْتُ: لَيْسَ هَهُنَا كَاغَدٌ جَيِّدٌ، فَأَخَذَ بِنَفْسِهِ كَاغَداً كَانَ مَعَنَا رَدِيًّا، وَتَنَاوَلَ شَرْبَةَ أُسْفِيذَرَ[1] وَكَانَتْ مَعَنَا، فَجَعَلَ يَصْقُلُ بِهَا الْكَاغَدَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِي: أُكْتُبْ وَلَمْ يَكُنْ خَطُّهُ بِالْجَيِّدِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ أُصُولَ الْخَطِّ، فَكَانَ يَقُولُ لِي: هَذَا جَيِّدٌ وَهَذَا رَدِيٌّ، وَكَانَ عِنْدَهُ خَطُّ ابْنِ الْبَوَّابِ، فَكَانَ يُرِينِي أُصُولَهُ إِلَى أَنْ أَتْقَنْتُ مِنْهُ مَا أَرَدْتُ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَلَى أَحَدٍ مَشْهُورٍ إِلَّا أَنَّ تَاجَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ ابْنِ الْبَرَفْطِيِّ الْبَغْدَادِيَّ، وَرَدَ إِلَيْنَا إِلَى حَلَب فَكَتَبْتُ عَلَيْهِ أَيَّاماً قَلَائِلَ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ فِيهَا طَائِلٌ: ثُمَّ إِنَّ الْوَالِدَ رَحِمَهُ اللهُ

(١) يريد اسفيداج «كذا بهامش الأصل»

خطب لي وزوّجني بقوم من أعيان أهل حلب وساق إليهم ما جرت العادة بتقدمته في مثل ذلك، ثمّ جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيّق صدري منهم، فوهب لهم الوالد جميع ما كان ساقه إليهم وطلّقتهم، ثمّ إنّه وصلني بابنة الشيخ الأجلّ بهاء الدّين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجميّ وهو شيخ أصحاب الشّافعيّ، وأعظم أهل حلب منزلة وقدراً ومالاً وحالاً وجاهاً. وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان، وكان والدي رحمه الله بارّاً بي، لم يكن يلتذّ بشيء من الدّنيا التذاذه بالنّظر في مصالحي وكان يقول: أشتهي أرى لك ولداً ذكراً يمشي فولد أحمد ولدي ورآه، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت، فيوم مات مشى الطّفل حتّى وقع في صدره، ثمّ مات والدي رحمه الله في الوقت الّذي تقدّم ذكره، وكان الملك الظّاهر غازي بن صلاح الدّين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي، وما حضرت مجلسه قطّ فأقبل (١) على أحد إقباله عليّ مع صغر السّنّ، واتّفق أن مرضت في شهور سنة ثماني عشرة وستّمائة

(١) كانت في الأصل: «فما أقبل»

مَرَضاً أُيِسَ مِنِّى فِيهِ ، فَكَانَ يَخْطُرُ بِبَالِى وَأَنَا مَرِيضٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا بُدَّ وَأَنْ (١) يَمُنَّ بِالْعَافِيَةِ لِثِقَتِى بِصِحَّةِ رُؤْيَا الْوَالِدِ وَكُنْتُ أَقُولُ : مَا بَلَغْتُ بَعْدُ مَبْلَغاً يَكُونُ تَفْسِيراً لِتِلْكَ الرُّؤْيَا إِلَى (٢) أَنْ مَنَّ اللهُ بِالْعَافِيَةِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، فَذَهَبَ عَنِّى ذَلِكَ الْخَيَالُ ، وَلَيْسَ يَخْطُرُ مِنْهُ فِى هَذَا الْوَقْتِ بِبَالِى شَىْءٌ ، لِأَنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَىَّ سَابِغَةٌ ، وَأَيَادِيَهُ فِى حَقِّى شَائِعَةٌ . قُلْتُ: وَلَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ (٣) بَقِىَ بَعْدَهُ مُدَّةً ، وَمَاتَ مُدَرِّسُ مَدْرَسَةِ شَادَبَخْتَ ، وَهِىَ مِنْ أَجَلِّ مَدَارِسِ حَلَبَ وَأَعْيَانِهَا ، فَوَلِىَ التَّدْرِيسَ بِهَا فِى ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ ، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . هَذَا ، وَحَلَبُ أَغْمَرُ مَا كَانَتْ بِالْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالْفُضَلَاءِ الرَّوَاسِخِ ، إِلَّا أَنَّهُ رُئِىَ أَهْلًا لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ ، وَتَصَدَّرَ وَأَلْقَى الدَّرْسَ بِجَنَانٍ قَوِىٍّ وَلِسَانٍ لَوْذَعِىٍّ فَأَبْهَرَ الْعَالَمَ ، وَأَعْجَبَ النَّاسَ .

وَصَنَّفَ مَعَ هَذَا السِّنِّ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الدَّرَارِى فِى ذِكْرِ الذَّرَارِى جَمَعَهُ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ

---

(١) وضع الواو بعد لابد ليس من اللغة فى شىء برغم من يقول بأن الواو قد تزاد فى الخبر (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « إلا » (٣) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « والدى »

وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ الَّذِى هُوَ الْيَوْمَ سُلْطَانُ حَلَبَ . كِتَابُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ فِى الْحَثِّ عَلَى السَّمَاحِ صَنَّفَهُ لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، – وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ مِنْ حَرَّانَ يَطْلُبُهُ ، فَإِنَّهُ لَمَا وَقَفَ عَلَى خَطِّهِ اشْتَهَى أَنْ يَرَاهُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَرَّفَهُ – . كِتَابُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفَادَةِ فِى ذِكْرِ بَنِى أَبِى جَرَادَةَ – ، وَأَنَا سَأَلْتُهُ جَمْعَهُ فَجَمَعَهُ لِى ، وَكَتَبَهُ فِى نَحْوِ أُسْبُوعٍ وَهُوَ عَشْرُ كَرَارِيسَ – . كِتَابٌ فِى الْخَطِّ وَعُلُومِهِ ، وَوَصْفِ آدَابِهِ وَأَقْلَامِهِ وَطُرُوسِهِ ، وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْحِكَمِ ، وَهُوَ إِلَى وَقْتِى هَذَا لَمْ يَتِمَّ . كِتَابُ تَارِيخِ حَلَبَ فِى أَخْبَارِ مُلُوكِهَا وَابْتِدَاءِ عِمَارَتِهَا وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ ، وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكُتَّابِ . وَشَاعَ ذِكْرُهُ [1] فِى الْبِلَادِ ، وَعُرِفَ خَطُّهُ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْبَادِ ، فَتَهَادَاهُ الْمُلُوكُ ، وَجُعِلَ مَعَ اللَّآلِئِ فِى السُّلُوكِ ، وَضُرِبَتْ بِهِ فِى حَيَاتِهِ الْأَمْثَالُ ، وَجُعِلَ لِلنَّاسِ فِى زَمَانِهِ حَذْواً وَمِثَالًا ، فَمِمَّا رَغَّبَ فِى خَطِّهِ أَنَّهُ اشْتَرَى وَجْهَةً وَاحِدَةً بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَماً ، وَنَقَلَهَا إِلَى وَرَقَةٍ عَتِيقَةٍ وَوَهَبَهَا

(١) الضمير يعود على صاحب الترجمة

مِنْ حَيْدَرٍ الْكُتْبِيِّ ، فَذَهَبَ بِهَا وَادَّعَى أَنَّهَا بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ وَبَاعَهَا بِسِتِّينَ دِرْهَمًا زِيَادَةً عَلَى الَّتِي بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَنَسَخَ لِي هَذِهِ الرُّقْعَةَ بِخَطِّهِ فَدَفَعَ فِيهَا كُتَّابُ الْوَقْتِ عَلَى أَنَّهَا بِخَطِّهِ دِينَارًا مِصْرِيًّا وَلَمْ يَطِبْ قَلْبِي بِبَيْعِهَا ، وَكَتَبَ لِي أَيْضًا جُزْءًا فِيهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَائِمَةً نَقَلَهَا مِنْ خَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ فَأُعْطِيتُ فِيهَا أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا نَاصِرِيَّةً ، قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ ذَهَبًا فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ ابْنَ الْبَوَّابِ لَمْ يَكُنْ خَطُّهُ فِي أَيَّامِهِ بِهَذَا النَّفَاقِ ، وَلَا بَلَغَ هَذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الثَّمَنِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ . فَمِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَرْفِدُهُ شَيْئًا مِنْ خَطِّهِ سَعْدُ الدِّينِ مَنُوجِهْرُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ مِرَارًا يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْتَبُ مِنِ ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ فِي الْكِتَابَةِ وَيُقِرُّ لِهَذَا — كَمَالِ الدِّينِ — بِالْكَمَالِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ الْقَيْلَوِيِّ وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِصُحْبَةِ السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ يَسْأَلُهُ سُؤَالَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَطِّهِ وَلَوْ قَائِمَةً أَوْ وَجْهَةً ، وَكَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى أَنْ يَنْقُلَ لَهُ الْوَجْهَةَ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهَا . وَمِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَرْفِدُهُ خَطَّهُ أَمِينُ الدِّينِ

يا قُوتُ الْمَعْرُوفُ بِالْعَالِمِ ، وَهُوَ صِهْرُ أَمِينِ الدِّينِ يَاقُوتِ الْكَاتِبِ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي جَوْدَةِ الْخَطِّ ، وَتَخَرَّجَ بِهِ أُلُوفٌ وَتَتَلْمَذَ لَهُ مَنْ لَا يُحْصَى . كَتَبَ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ رُقْعَةً وَمُوهُ حَيٌّ يُرْزَقُ نُسْخَتُهَا : الَّذِي حَضَّ الْخَادِمَ عَلَى عَمَلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَرْبَابِ الصِّنَاعَاتِ: أَنَّ الصَّدْرَ الْكَبِيرَ الْفَاضِلَ عِزَّ الدِّينِ حَرَسَ اللهُ مَجْدَهُ ، لَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ خَلَّدَ اللهُ مُلْكَ مَالِكِهَا ، نَشَرَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي الْعَالِمِيِّ الْفَاضِلِيِّ كَمَالِ الدِّينِ كَمَّلَ اللهُ سَعَادَتَهُ كَمَا كَمَّلَ اللهُ سِيَادَتَهُ ، وَبَلَّغَهُ فِي الدَّارَيْنِ مُنَاهُ وَإِرَادَتَهُ : مَا يَعْجِزُ الْبَلِيغُ عَنْ فَهْمِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُورِدَهُ ، لَكِنَّ فَضَائِلَ الْمَجْلِسِ كَانَتْ تُمْلَى عَلَى لِسَانِهِ وَتَشْغَلُهُ ، فَطَرِبَ الْخَادِمُ مِنَ اسْتِنْشَاقِ رَيَّاهَا . وَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَةِ حَاوِيهَا عِنْدَ اجْتِلَاءِ مُحَيَّاهَا ، فَسَمَحَ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَاطِرُ مَعَ تَبَلُّدِهِ بِأَبْيَاتٍ تُخْبِرُ الْمَجْلِسَ مَحَبَّةَ الْخَادِمِ لَهُ وَتَعَبُّدَهُ وَهِيَ :

حَيَا نَدَاكَ كَمَالَ الدِّينِ أَحْيَانَا … وَنَشْرُ فَضْلِكَ عَنْ مُحْيَاكَ حَيَّانَا (١)

وَحُسْنُ أَخْلَاقِكَ اللَّائِي خُصِصْتَ بِهَا … أَهْدَتْ عَلَى الْبُعْدِ لِي رَوْحًا وَرَيْحَانَا

(١) الحيا : الخصب والمطر ، ويمد ، والندى : العطاء . ومحياك : أصله محياك ، والحيا : جماعة الوجه أو حره ، يقال فلان طلق المحيا ، أي بشوش الوجه ، وحيانا من التحية : أي قال : حياك الله ، وسلام عليك

حَوَيْتَ يَاعُمَرَ الْمَحْمُودُ سِيرَتُهُ خَلْقاً وَخُلْقاً وَأَفْضَالاً وَإِحْسَانَا
إِنْ كَانَ نَجْلُ هِلَالٍ فِي صِنَاعَتِهِ وَنَجْلُ مُقْلَةَ عَيْنَا الدَّهْرِ قَدْ كَانَا
فَأَنْتَ مَوْلَايَ إِنْسَانُ الزَّمَانِ وَقَدْ
غَدَوْتَ فِي الْخَطِّ لِلْعَيْنَيْنِ إِنْسَانَا
قَدْ بَثَّ فَضْلَكَ عِزُّ الدِّينِ مُقْتَصِداً
وَنَثَّ (١) شُكْرَكَ إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا
فَضَاعَ (٢) نَشْرُكَ فِي الْحَدْبَاءِ وَاشْتَهَرَتْ
آيَاتُ فَضْلِكَ أَرْسَالاً وَوِحْدَانَا
أُثْنِي عَلَيْكَ وَآمَالِي مُعَلَّقَةٌ
بِحُسْنِ عَفْوِكَ تَرْجُو مِنْكَ غُفْرَانَا
وَإِنْ تَطَفَّلْتُ فِي صِدْقِ الْوِدَادِ وَلَمْ
يَقْضِ التَّلَاقِي لَنَا عَفْواً وَلَا حَانَا
فَمَا أُلَامُ عَلَى شَيْءٍ أَتَيْتُ بِهِ
فَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ
وَأَرْجَحَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

---

(١) أى أفشاه (٢) أى تضوع

قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

قَدْ هَجَمَ الْكَلَامُ عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِي بِوَجْهٍ وَقَاحٍ ، وَلَمْ يَخْشَ مَعَ عَفْوِ الْمَوْلَى وَصْمَةَ الِافْتِضَاحِ . فَلْيُلْقِ عَلَيْهِ الْمَوْلَى سِتْرَ الْمَعْرُوفِ ، فَهُوَ أَلْيَقُ بِكَرَمِهِ الْمَأْلُوفِ ، وَالسَّلَامُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَمَالُ الدِّينِ بِخَطِّهِ الدُّرِّيِّ ، وَلَفْظِهِ السِّحْرِيِّ ، وَأَنْشَدَنِيهَا لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ أَبَحْتُ حِمَى قَلْبِي مَوَدَّتَهُ
وَمَنْ جَعَلْتُ لَهُ أَحْشَايَ أَوْطَانَا
أَرْسَلْتَ نَحْوِيَ أَبْيَاتاً طَرِبْتُ بِهَا
وَالْفَضْلُ لِلْمُبْتَدِي بِالْفَضْلِ إِحْسَانَا
فَرُحْتُ أَخْتَالُ عُجْباً مِنْ مَحَاسِنِهَا
كَشَارِبٍ ظَلَّ بِالصَّهْبَاءِ نَشْوَانَا !
رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَجَاءَتْ وَهْيَ لَابِسَةٌ
مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالتَّرْصِيعِ أَلْوَانَا
حَكَتْ بِمَنْثُورِهَا وَالنَّظْمِ إِذْ جُمِعَا
بِأَحْرُفٍ حُسِنَتْ ، رَوْضاً وَبُسْتَانَا

جَرَّتْ عَلَى جَرْوَلٍ أَثْوَابَ زِينَتِهَا
إِذْ أَصْبَحَتْ وَهْيَ تَكْسُو الْحُسْنَ حَسَّانَا[1]
أَضْحَتْ تُعَبِّرُ وَجْهَ الْعَنْبَرِيِّ فَمَا
بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
يُمْسِي لَهَا ابْنُ هِلَالٍ حِينَ يَنْظُرُهَا
يَحْكِي أَبَاهُ بِمَا عَانَاهُ نُقْصَانَا
كَذَاكَ أَيْضاً لَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ غَدَا
عَبْداً يَجُرُّ مِنَ التَّقْصِيرِ أَرْدَانَا
أَنْتَ وَعَبْدُكَ مَغْمُورٌ بِعِلَّتِهِ فَغَادَرَتْهُ صَحِيحاً خَيْرَ مَا كَانَا
وَكَيْفَ لَا تَدْفَعُ الْأَسْقَامَ عَنْ جَسَدِي
وَهْيَ الصَّبَا حَمَلَتْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا ؟
فَمَا عَلَى طَيْفِهَا لَوْ عَادَ يَطْرُقُنَا ؟
فَرُبَّمَا زَارَ أَحْيَاناً وَأَحْيَانَا[2]
فَاسْلَمْ وَأَنْتَ أَمِينُ الدِّينِ أَحْسَنُ مَنْ
وَشَّى الطُّرُوسَ بِمَنْظُومٍ وَمَنْ زَانَا

---

(١) جرول وحسان : شاعران معروفان (٢) أحيانا : الأولى جمع الحين : أى أوقاتا ، وأحيانا الثانية : فعل ماض من الحياة

وَلَا تَخطَّتْ إِلَيْكَ الحَادِثَاتُ وَلَا

حَلَّتْ بِرَبْعِكَ يَا أَعْلَى الوَرَى شَانَا

وَأَنْشَدَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَدَامَ اللهُ عَلاءَهُ لِنَفْسِهِ فِي الغَزَلِ فَاعْتَمَدَ فِيهِ مَعْنًى غَرِيباً :

وَأَهْيَفَ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ خِلْتُهُ

وَفِي وَجْنَتَيْهِ لِلْمُدَامَةِ عَاصِرُ

يُسِيلُ إِلَى فِيهِ اللَّذِيذِ مُدَامَةً

رَحِيقاً وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ الأَعَاصِرُ (١)

فَيَسْكَرُ مِنْهُ عِنْدَ ذَاكَ قَوَامُهُ

فَيَهْتَزُّ تِيهاً وَالْعُيُونُ فَوَاتِرُ

كَأَنَّ أَمِيرَ النَّوْمِ يَهْوَى جُفُونَهُ

إِذَا هَمَّ رَفْعاً خَالَفَتْهُ المَحَاجِرُ

خَلَوْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ أَهْلُهُ

وَقَدْ غَارَتِ الجَوْزَاءُ وَاللَّيْلُ سَاتِرُ

فَوَسَّدْتُهُ كَفِّي وَبَاتَ مُعَانِقِي

إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءٌ مِنَ الصُّبْحِ سَافِرُ

---

(١) فاعل يسيل ضمير يعود على عاصر فى البيت السابق ، والأعاصر جمع أعصار جمع عصر

فَقَامَ يَجُرُّ الْبُرْدَ مِنْهُ عَلَى تُقًى
وَقُمْتُ وَلَمْ تُحْلَلْ لِإِثْمٍ مَآزِرُ
كَذَلِكَ أَحْلَى الْحُبِّ مَا كَانَ فَرْجُهُ
عَفِيفًا وَوَصْلٌ لَمْ تَشِنْهُ الْجَرَائِرُ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ بِحَلَبَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ وَإِمْلَائِهِ :

وَسَاحِرَةِ الْأَجْفَانِ مَعْسُولَةِ اللَّمَى
مَرَاشِفُهَا تُهْدِي الشِّفَاءَ مِنَ الظَّمَا
حَنَتْ لِي قَوْسَيْ حَاجِبَيْهَا وَفَوَّقَتْ (١)
إِلَى كَبِدِي مِنْ مُقْلَةِ الْعَيْنِ أَسْهُمَا
فَوَا عَجَبًا مِنْ رِيقِهَا وَهُوَ طَاهِرٌ
حَلَالٌ وَقَدْ أَضْحَى عَلَيَّ مُحَرَّمَا !
فَإِنْ كَانَ خَمْرًا أَيْنَ لِلْخَمْرِ لَوْنُهُ
وَلَذَّتُهُ مَعْ أَنَّنِي لَمْ أَذُقْهُمَا ؟
لَهَا مَنْزِلٌ فِي رَبْعِ قَلْبِي مَحَلُّهُ
مَصُونٌ بِهِ مُذْ أُوطِنَتْهُ لَهَا حِمَى

(١) فوقت : سددت ، يقول : إنها جعلت من حاجبيها قوسا ورمتني بنظراتها القاتلة كالسهام

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى حَيَاتِي تَخَالَطَتْ
مَحَبَّتُهَا رُوحِي وَلَحْمِي وَالدَّمَا

تَقُولُ: إِلَى كَمْ تَرْتَضِي الْعَيْشَ أَنْكَداً
وَتَقْنَعُ أَنْ تُضْحِي صَحِيحاً مُسَلَّمَا؟

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللهِ وَاُطْلُبِ الْغِنَى
تَفُزْ مُنْجِداً إِنْ شِئْتَ أَوْ شِئْتَ مُتْهِمَا

فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْوَرَى
تَكَفَّلَ لِي بِالرِّزْقِ مَنًّا وَأَنْعُمَا

وَمَا ضَرَّنِي أَنْ كُنْتُ رَبَّ فَضَائِلٍ
وَعِلْمٍ عَزِيزَ النَّفْسِ حُرًّا مُعَظَّمَا

إِذَا عَدِمَتْ كَفَّايَ مَالًا وَثَرْوَةً
وَقَدْ صُنْتُ نَفْسِي أَنْ أُذَلَّ وَأُحْرَمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا

لَا يَظُنَّنَّ النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ قَائِلَهَا فَقِيرٌ (١) وَقِيرٌ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِعَكْسِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ ـ وَاللهُ يَحُوطُهُ ـ رَبُّ ضِيَاعٍ وَاسِعَةٍ

(١) فقير وقير: يقال: فقير وقير على الاتباع، أو أن وقيرا بمعنى مثقل بالفقر، فهو فعيل بمعنى مفعول، من وقره: إذا أثقله

وَأَمْلَاكٍ جَمَّةٍ ، وَنِعْمَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَعَبِيدٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِمَاءٍ وَخَيْلٍ وَدَوَابَّ ، وَمَلَابِسَ فَاخِرَةٍ وَثِيَابٍ . وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ اشْتَرَى دَاراً كَانَتْ لِأَجْدَادِهِ قَدِيماً بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَلَكِنَّ نَفْسَهُ وَاسِعَةٌ ، وَهِمَّتَهُ عَالِيَةٌ ، وَالرَّغَبَاتُ فِي الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّاغِبِينَ ، وَالشَّهْوَةُ لَهَا عَلَى قَدْرِ الطَّالِبِينَ. وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي التَّارِيخِ :

إِحْذَرْ مِنَ ابْنِ العَمِّ فَهُوَ مُصَحَّفٌ(١)
وَمِنَ الْقَرِيبِ فَإِنَّمَا هُوَ أَحْرُفُ

الْقَافُ مِنْ قَبْرٍ غَدَا لَكَ حَافِراً
وَالرَّاءُ مِنْهُ رَدًى لِنَفْسِكَ يَخْطَفُ

والْيَاءُ يَأْسٌ دَائِمٌ مِنْ خَيْرِهِ
وَالْبَاءُ بُغْضٌ مِنْهُ لَا يَتَكَيَّفُ

فَاقْبَلْ نَصِيحَتِيَ الَّتِي أَهْدَيْتُهَا
إِنِّي بِأَبْنَاءِ الْعُمُومَةِ أَعْرَفُ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ سَالِكاً طَرِيقَ أَهْلِهِ فِي الِافْتِخَارِ :

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَنْ جَنَى
عَلَيَّ وَأَعْفُو حِسْبَةً وَتَكَرُّمَا

(١) أى غم ، والتصحيف : تغيير فى الكلمة باعجام أو إهمال

وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وِقَايَةً
وَلَوْ لَمْ يُغَادِرْ ذَاكَ عِنْدِي دِرْهَمَا
وَأَسْلُكُ آثَارَ الأُلَى اكْتَسَبُوا الْعُلَا
وَحَازُوا خِلَالَ الْخَيْرِ مِمَّنْ تَقَدَّمَا
أُولَئِكَ قَوْمِي الْمُنْعِمُونَ ذَوُو النُّهَى
بَنُو عَامِرٍ فَاسْأَلْ بِهِمْ كَيْ تَعَلَّمَا
إِذَا مَادُعُوا عِنْدَ النَّوَائِبِ إِنْ دَجَتْ
أَنَارُوا بِكَشْفِ الْخَطْبِ مَا كَانَ أَظْلَمَا
وَإِنْ جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ خِلْتَهُمْ
بُدُورَ ظَلَامٍ وَالْخَلَائِقَ أَنْجُمَا
وَإِنْ هُمْ تَرَقَّوْا مِنْبَرًا لِخِطَابَةٍ
فَأَفْصَحُ مَنْ يَوْمًا بِوَعْظٍ تَكَلَّمَا
وَإِنْ أَخَذُوا أَقْلَامَهُمْ لِكِتَابَةٍ
فَأَحْسَنُ مَنْ وَشَّى الطُّرُوسَ وَنَمْنَمَا
بِأَقْوَالِهِمْ قَدْ أُوضِحَ الدُّرُّ وَاغْتَدَى
بِأَحْكَامِهِمْ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ مُحْكَمَا

دُعَاؤُهُمْ يَجْلُو الشَّدَائِدَ إِنْ عَرَتْ
وَيُنْزِلُ قَطْرَ الْمَاءِ مِنْ أُفْقِ السَّمَا

وَقَائِلَةٍ يَا ابْنَ الْعَدِيمِ إِلَى مَتَى
تَجُودُ بِمَا تَحْوِى سَتُصْبِحُ مُعْدِمَا ؟

فَقُلْتُ لَهَا : عَنِّى إِلَيْكِ فَإِنَّنِى
رَأَيْتُ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ كَانَ مُنْعِمَا

أَبَى اللُّؤْمَ لِى أَصْلٌ كَرِيمٌ وَأُسْرَةٌ
عُقَيْلِيَّةٌ[1] سَنُّوا النَّدَى وَالتَّكَرُّمَا

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ وَقَدْ رَأَى فِى عَارِضِهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ وَعُمْرُهُ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ سَنَةً :

أَلَيْسَ بَيَاضُ الْأُفْقِ فِى اللَّيْلِ مُؤْذِنًا
بِآخِرِ عُمْرِ اللَّيْلِ إِذْ هُوَ أَسْفَرَا ؟

كَذَاكَ سَوَادُ[2] النَّبْتِ يَقْرُبُ يُبْسُهُ
إِذَا مَا بَدَا وَسْطَ الرِّيَاضِ مُنَوَّرًا

وَدَخَلْتُ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ يَوْمًا فَقَالَ لِى : أَلَا تَرَى ،

(١) نسبة إلى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة أبى القبيلة (٢) سواد النبت أى أكثره

أَنَا فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِي، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي لِحْيَتِي شَعَرَاتٍ بِيضاً فَقُلْتُ أَنَا فِيهِ :

هَنِيئاً كَمَالَ الدِّينِ فَضْلاً حُبِيتَهُ
وَنُعْمَاءَ لَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلُ
لِدَاتُكَ فِي شُغْلٍ بِدَاعِيَةِ الصِّبَا
وَأَنْتَ بِتَحْصِيلِ الْمَعَالِي لَكَ الشُّغْلُ
بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مِنْ سِنِينِكَ (١) رُتْبَةً
مِنَ الْمَجْدِ لَا يَسْطِيعُهَا الْكَامِلُ الْكَهْلُ
وَلَمَّا أَتَاكَ الْحُكْمُ وَالْفَهْمُ نَاشِئاً
أَشَابَكَ طِفْلاً كَيْ يَتِمَّ لَكَ الْفَضْلُ

﴿ ٢ — عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ * ﴾

عمر بن ثابت الثمانيني

أَبُو الْقَاسِمِ الثَّمَانِينِيُّ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ . إِمَامٌ فَاضِلٌ، وَأَدِيبٌ كَامِلٌ، أَخَذَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّي، وَكَانَ خَوَاصُّ (٢) النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقْرَءُونَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ بُرْهَانٍ

---

(١) أجراه على لغة من يعربه بالحركات على النون (٢) فى الأصل : « وكان من خواص الناس » الخ

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان، وفى كتاب بغية الوعاة

الْأَسدِيّ ، وَعُمُومُهُمْ يَقْرَءُونَ عَلَى الثَّمَانِينِيِّ . مَاتَ الثَّمَانِينِيُّ فِي سَنَةِ اُثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوقِ ثَمَانِينَ بُلَيْدٍ صَغِيرٍ بِأَرْضِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ مِنْ نَاحِيَةِ قَرْدَى. يُقَالُ : إِنَّهَا أَوَّلُ مَدِينَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ السَّفِينَةِ كَانُوا ثَمَانِينَ آدَمِيًّا .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ ، كِتَابُ الْمُفِيدِ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ التَّصْرِيفِ الْمُلُوكِيِّ . وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ أَوَّلَ قَرْيَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَمَانِينَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ ، لِأَنَّ ثَمَانِينَ نَفَرًا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ وَبَنَوْهَا ، وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ نَزَلُوا قَرْدَى وَبَازَبْدَى بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ وَهِيَ قَرْيَةُ الثَّمَانِينَ ثُمَّ وَقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ [1] فَمَاتُوا إِلَّا نُوحًا وَسَامَ بْنَ نُوحٍ وَحَامًا وَيَافِثًا وَنِسَاءَهُمْ وَطَبَّقَتِ [2] الدُّنْيَا مِنْهُمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ » .

---

(١) الوبا بالقصر : الطاعون ، أو كل مرض عام — ويمد فيقال « الوباء » وجمع الأول أوباء ، وجمع الثاني أوبئة . (٢) أي عمرت وامتلأت

٣ – عُمَرُ بْنُ جعفرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِىُّ *

عمر بن جعفر الزعفرانى

أَبُو القَاسِمِ يُلَقَّبُ دُومَى ، أَحَدُ أَعْيَانِ أَهْلِ الأَدَبِ الْمُخْتَصِّينَ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ الشِّعْرِ مِنَ الْقَوَافِى وَالْعَرُوضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ (١) وَكَانَ فِى عَصْرِهِ ، وَلَه : كِتَابُ الْعَرُوضِ فِى خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةٍ ، رَأَيْتُهَا بِخَطِّهِ فِى وَقْفِ جَامِعِ حَلَبَ ، وَلَهُ كِتَابُ الْقَوَافِى ، وَكِتَابُ اللُّغَاتِ « ذَكَرَهُمَا ابْنُ النَّدِيمِ » .

٤ – عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَطَّاطُ غُلَامُ ابْنِ خِرنِقَا *

عمر بن الحسين الخطاط

كَانَ كَاتِباً مَلِيحَ الْخَطِّ مَحْظُوظاً مِنْهُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِىِّ بْنِ هِلَالٍ الْبَوَّابِ وَيُجِيدُ فِى ذَلِكَ ، وَخَطُّهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ كُتَّابِ الْآفَاقِ مَعْرُوفٌ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ صَدَقَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَيَّارُ فِى حَادِىَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ ، وَدُفِنَ فِى دَارِهِ بِدَرْبِ الدَّوَابِّ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ آلَةِ الْكِتَابَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَذَلِكَ

(١) باسم عبد الله بن جعفر

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

أَنَّهُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْبَرَفْطِيِّ الْكَاتِبُ قَالَ :

حَدَّثَنِي أَبُو الْيَمَنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ : أَنَّهُ بِيعَ لَهُ فِي تَرِكَتِهِ آلَةُ الْكِتَابَةِ بِتِسْعِمِائَةِ دِينَارٍ إِمَامِيَّةٍ ، مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ : دَوَاةٌ بِأَزْهَرَ اشْتَرَاهَا بَعْضُ وَلَدِ زَعِيمِ الدِّينِ بْنِ جَعْفَرٍ صَاحِبِ الْمَخْزَنِ بِتِسْعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَبِيعَ لَهُ بِالْبَاقِي سَكَاكِينُ وَأَقْلَامٌ وَبَرَاكِرُ[1] وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ .

﴿ ٥ — عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ رَيْطَةَ الْبَصْرِيُّ * ﴾

أَبُو زَيْدٍ مَوْلَى بَنِي نُمَيْرٍ ، وَاسْمُ شَبَّةَ زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ شَبَّةَ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ[2] تُرَقِّصُهُ وَتَقُولُ : عمر بن شبة البصرى

يَا بِأَبِي[3] وَشَبَّا وَعَاشَ حَتَّى دَبَّا شَيْخاً كَبِيراً خَبَّا

مَاتَ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ بِسَامَرَّا ، وَبَلَغَ مِنَ السِّنِّ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ عَالِماً بِالْآثَارِ ، أَدِيباً فَقِيهاً صَدُوقاً . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَهُوَ الْقَائِلُ لِلْحَسَنِ بْنِ مَخْلَدٍ :

---

(١) براكر جمع بركار : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر « برجل » وتعرف بالبيكار أيضا ، معربها بيكار (٢) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل (٣) يا ، حرف نداء ، والمنادى وهو ولدها محذوف ، وبأبى جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره ، أفديك ، ودب : مشى على هينته ، والخب بالفتح ويكسر : ذو الخداع

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ، وفى كتاب بغية الوعاة

ضاعتْ لديكَ حقوقٌ واستُهنْتَ بها
والحُرُّ يألمُ من هذا ويمتعضُ

إنّى سأشكرُ نعمى منكَ سالفةً
وإنْ تخوّنها من حادثٍ عرضُ

ولهُ :

أصبحتُ كلاًّ على أناسٍ قدْ كنتُ عنْ مثلِهِمْ عزُوفا

قالَ محمّدُ بنُ إسحاقَ: ولهُ من التّصانيفِ: كتابُ الكوفةِ، كتابُ البصْرةِ، كتابُ أمراءِ المدينةِ، كتابُ أمراءِ مكّةَ، كتابُ السُّلطانِ، كتابُ مقتلِ عثمانَ رضىَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ، كتابُ الكُتّابِ، كتابُ الشّعرِ والشُّعراءِ، كتابُ الأغانى، كتابُ التّاريخِ، كتابُ أخبارِ المنصورِ، كتابُ أخبارِ محمّدٍ وإبراهيمَ ابنَى عبدِ اللهِ بنِ حسنِ بنِ حسنٍ، كتابُ أشعارِ الشُّراةِ، كتابُ النّسبِ، كتابُ أخبارِ بنى نُميرٍ، كتابُ ما يستعجمُ النّاسُ فيهِ منَ القرآنِ، كتابُ الاستعانةِ بالشّعرِ وما جاءَ فى اللُّغاتِ، كتابُ الاستعظامِ، كتابُ النّحوِ ومنْ كانَ يلحنُ منَ النّحويّينَ[1]، كتابُ طبقاتِ الشُّعراءِ.

(١) فى بعض النسخ المطبوعة ، كتاب الاستعظام للنحو ومن كان يلحن من النحويين

وَكَانَ لِأَبِي زَيْدٍ ابْنٌ اسْمُهُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ، وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً، اعْتُبِطَ[1] قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَبْلَغَ الْمَشْهُورِينَ، مَاتَ بَعْدَ أَبِيهِ بِعَشْرِ سِنِينَ. وَمِنْ شِعْرِ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ:

وَقَائِلَةٍ لَمْ يَبْقَ لِلنَّاسِ سَيِّدٌ
فَقُلْتُ: بَلَى عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ جَعْفَرِ

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِهِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ:

نَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ فِي الْعَسْكَرِ ... كَشُؤْمِي وَشُؤْمِ أَبِي جَعْفَرِ
غَدَا النَّاسُ لِلْعِيدِ فِي زِينَةٍ ... مِنَ الْيَوْمِ فِي مَنْظَرٍ أَزْهَرِ
وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ بِلَا أُهْبَةٍ ... فِرَاراً مِنَ الْمَنْزِلِ الْمُقْفِرِ
فَنَقْعُدُ لِلشُّؤْمِ فِي عُزْلَةٍ ... مِنَ النَّاسِ نَنْظُرُ فِي دَفْتَرِ

﴿ ٦ — عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ شُعَيْبٍ الْجَنْزِيُّ* ﴾

أَبُو حَفْصٍ، مِنْ أَهْلِ ثَغْرِ جَنْزَةَ[2]، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ السَّمْعَانِيُّ فَقَالَ: هُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْأَدَبِ، وَلَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الشِّعْرِ وَالنَّحْوِ، وَرَدَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَصَحِبَ الْأَئِمَّةَ وَاقْتَبَسَ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُ مَاقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي الْمُظَفَّرِ الْأَبِيوَرْدِيِّ عمر بن عثمان الجنزى

(١) اعتبط: أى مات شابا صحيحا ليست به علة (٢) أعظم مدينة بأرّان وهى بين شروان وأذربيجان

(*) ترجم له فى كتابى أنباه الرواة وبغية الوعاة

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ وَعَادَ ثَانِيًا إِلَى بَغْدَادَ، وَذَاكَرَ الْفُضَلَاءَ بِهَا وَبِالْبَصْرَةِ وَخُوزِسْتَانَ، وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ حَتَّى صَارَ عَلَّامَةَ زَمَانِهِ، وَأَوْحَدَ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ، وَكَانَ غَزِيرَ الْفَضْلِ وَافِرَ الْعَقْلِ، حَسَنَ السِّيرَةِ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، مُتَوَدِّدًا سَخِيَّ النَّفْسِ، صَنَّفَ التَّصَانِيفَ وَجَمَعَ الْمَجْمُوعَ، وَشَرَعَ فِي إِمْلَاءِ تَفْسِيرِهِ — لَوْ تَمَّ لَمْ يُوجَدْ مِثْلُهُ — سَمِعَ بِهَمَذَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدُّونِيَّ، كَتَبْتُ عَنْهُ بِمَرْوَ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَحَادِيَ عِيسِي إِنْ بَلَغْتَ مُقَامِي
فَبَلِّغْ صِحَابِي لَاعَدِمْتَ سَلَامِي

وَخَبِّرْهُمُ عَمَّا أُعَانِي مِنَ الْجَوَى
وَمِنْ لَوْعَتِي فِي هَجْرِهِمْ وَسَقَامِي

وَقُلْ لَهُمُ : إِنِّي مَتَى مَاذَ كَرْتُكُمْ
غَصِصْتُ لِذِكْرَا كُمْ بِكُلِّ طَعَامِ

وَإِنَّ دُمُوعِي كُلَّمَا لَاحَ كَوْكَبٌ
تَرَقْرَقُ فِي خَدِّي كَصَوْبِ غَمَامِ

وَإِنْ هَبَّ مِنْ أَرْضِ الْحَبِيبِ نَسِيمُهُ
تَقَلْقَلَ أَحْشَائِي وَهَاجَ غَرَامِي

وَإِنْ غرَّدَتْ وَهناً (١) حمامةُ أَيـكةٍ
أَحنَّتْ بِنوْحِى لَحنَ كُلِّ حَمامِ (٢)

وَلَهُ :

قَالَتْ وَخطَتْك شَيْبَةٌ كَالْعَيْنِ
كَمْ تَذرِفُ عَيناكَ ذُرُوفَ الْعَيْنِ ؟
قَدْ قُلْتُ لَها : أَيَاسوَادَا الْعَيْنِ يَزْدَادُ مِنَ الثُّلُوجِ ماءُ الْعَيْنِ ؟

الْعَيْنُ الأُولَى : الطَّلِيعَةُ (٣) ، وَمَاتَ الْجَنْزِىُّ فِى رَابِعَ عشَرَ رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمائَةٍ لِلْهِجْرَةِ بِمَرْوَ ، وَقَدْ جاوَزَ السَّبْعِينَ . وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِى الْقَاسِمِ الْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : هُوَ إِمَامٌ فِى النَّحْوِ وَالأَدَبِ لَا يُشَقُّ فِيهِمَا غُبَارُهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَحلَّى بِالْوَرَعِ وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ ، لَـكِنَّ الزَّمَانَ عَانَدَهُ ، وَمَا بَسَطَ فِى أَسْبَابِ مَعَاشِهِ يَدَهُ ، جَاسَ خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَالَ : أَدْرَكْتُ زَمَانَ الأَشَجِّ ، وَرَأَيْتُ مُصَلَّاهُ فِى

(١) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه (٢) أى هاجته بسبب نوحى لتغريدها بجملته يحن ويستطرب (٣) طليعة الجيش : من يبعث ليطلع طلع العدو والعين الثانية : عين الماء تنبع فى جبل ونحوه ، والعين الثالثة : جارحة البصر التى يبصر بها ، وأراد بقوله : يزداد ماء العين من الثلوج : أن الثلوج إذا تراكمت ثم طلعت الشمس فأذابتها سال الماء فزادت به مياه العيون ، فجعل ذلك تشبيها ضمنيا للشعرات التى شابت ، وأنها هى التى زادت فى بكائه ، كما أن الثلج وهو أبيض كالشيب زاد فى ماء العيون المجاورة له .

طَنْجَةِ الْمَغْرِبِ، إِلَّا أَنِّى لَمْ أَمْكُثْ حَتَّى أَرَاهُ، وَأَدَّبَ بِنَيْسَابُورَ أَوْلَادَ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ نَيْسَابُورَ فِى شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا، وَقَضَى نَحْبَهُ بَعْدَ انْتِقَالِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ، وَأَنْشَدَ لَهُ قَصِيدَةً وَاحِدَةً فِى مَدْحِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمُّوَيْهِ مِنْهَا:

أَلَمْ تَذْكُرَا رَبْعًا بِعُسْفَانَ عَامِرًا وَبِيضًا يُوَدِّعْنَ الْأَحِبَّةَ خُرَّدَا

يُشَعِّثْنَ بِالْعُنَّابِ ضِغْثَ بَنَفْسَجٍ
وَيَضْرِبْنَ بِالْأُسْرُوعِ خَدًّا مُوَرَّدَا (١)

كَأَنَّ النَّوَى لَمْ تَلْقَ غَيْرَ جَوَانِحِي
وَمُقْلَتِيَ الْعَبْرَى مَرَادًا وَمَوْرِدَا (٢)

وَتَذْرِى عَلَى الْوَرْدِ الْجُمَانَ بِنَرْجِسٍ
حَمَتْهُ بَنَانٌ تَتْرُكُ الصَّبَّ مُقْصَدَا (٣)

(١) يشعثن الخ : أى يحلان ضفائرهن التى شبه كل واحدة منها بالضغث من البنفسج فى لونه وهيئته : والضغث : العود والفنن من الشجرة — فهن فى موقف التوديع شعث الرءوس محلولات الغدائر يلطمن ورد خدودهن بأساريع لأصابع. والأسروع : دود أبيض البدن أحمر الرءوس تشبه به الأصابع فى بياضها وحمرة أطرافها بالخضاب — قال امرؤ القيس فى معلقته :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل

(٢) المراد : مكان ارتياد الابل ، أى اختلافها فى المرعى مقبلة ومدبرة ، والمورد : مكان ورود الماء (٣) المقصد : من أصابه السهم فقتله مكانه

حَكَى خدُّهَا دمْعِي (١) وَ قَلْبِي قُلْبَهَا (٢)
وَحَاجِبُهَا قَدِّي لِمَا قَدْ تَأَوَّدَا
وَإِنْ بَخِلَتْ عَيْنِي وَضَنَّتْ بِمَائِهَا
إِذَا جَادَ قَلْبِي بِالدِّمَاءِ وَأَنْجَدَا (٣)
وَأَبْدَعُ مِنْـهُ أَنَّ حَرَّ أَضَالِعِي
وَلَوْعَاتِهَا تُغْلِي التُّرَابَ الْمُبَرَّدَا
وَشَابَهْتُهَا إِذْ عَرَّضَتْ فِي ثَلَاثَةٍ
تَزِيدُ لَهَا حُسْناً وَتُورِثُنَا الرَّدَى
وَتَصْعَدُ مِنْ صَدْرِي رِيَاحٌ بَوَارِدٌ
إِذَا أَنَا ذُكِّرْتُ اللِّوَى (٤) مُتَنَهِّدَا

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْجَنْزِيُّ لِنَفْسِهِ يُعَزِّي الْكَمَالَ الْمُسْتَوْفِي بِزَوْجَتِهِ :

إِذَا جَلَّ قَدْرُ الْمَرْءِ جَلَّ مُصَابُهُ ... وَكُلُّ جَلِيلٍ بِالْجَلِيلِ يُصَابُ
يَرُوحُ الْفَتَى فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَآلِهِ ... وَيَشْغَلُهُ عَنْهُ هَوًى وَشَبَابُ

---

(١) حكى خدها دمعي : أي في الحمرة ، فهو يبكي دما . (٢) وقلبي قلبها : أي وحكى قلبي قلبها : والقلب بالضم : سوار ففي مفتول أوغير مفتول — يريد أن قلبه نضب دمه وجف ، فهو في يبس قلبها — وحكى قده وقوامه حاجبها : لانه انحنى وتأود

(٣) أنجد : ساعد ، من النجدة . (٤) أي إذا ذكرت اللوى وهومكان مجتمعنا ، تنفست رياحا باردة لارتياحي إلى الذكرى .

فَلَمْ يَتَفَكَّرْ أَنَّ مَنْ عَاشَ مَيِّتٌ
وَأَنَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَأَنَّ ثَرَاءً يَقْتَنِيهِ مُشَتَّتٌ وَأَنَّ بِنَاءً يَبْتَنِيهِ خَرَابُ
وَنِعْمَةُ ذِي الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَمِحْنَةٌ وَمَاذِيُّهَا [1] سُمٌّ يَضُرُّ وَصَابُ
وَفَرْحَتُهَا عِنْدَ الْأَكَايِسِ تَرْحَةٌ وَسَلْسَالُهَا لِلْأَوْلِيَاءِ سَرَابُ
فَلَا يَخْدَعَنَّ الْمَرْءَ نُعْمَى حَلَالُهَا حِسَابٌ عَلَيْهِ وَالْحَرَامُ عِقَابُ
وَلِلدَّهْرِ مُسْتَوْفٍ عَلَيْهِمْ مُنَاقِشٌ
لَهُ مَعَ أَهْلِ الْخَافِقَيْنِ خِطَابُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مُشْرِفَانِ لِرَبِّهِ غَدًا لَهُمَا فِيمَا أَتَتْهُ كِتَابُ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

﴿ ٧ — عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابِ بْنِ بَشِيرٍ التَّمِيمِيُّ * ﴾

عمر بن عثمان التميمي

أَبُو حَفْصٍ النَّحْوِيُّ ، مَغْرِبِيٌّ ، لَهُ كِتَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَيُعْرَفُ بِكِتَابِ الْمُكْتَفِي .

﴿ ٨ — عُمَرُ بْنُ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ * ﴾

عمر بن محمد القاضي

ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ دِرْهَمٍ الْقَاضِي . حَدَّثَ

---

(١) الماذى : العسل ، والصاب . شجر مر ، أو عصارته .

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ عَيَّاشٍ الْقَاضِي قَالَ : لَمَّا قَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا الْحُسَيْنِ (١) بْنَ أَبِي عُمَرَ الْقَاضِي الْمَدِينَةَ رِيَاسَةً فِي حَيَاةِ أَبِيهِ أَبِي عُمَرَ خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ الْخَلْقُ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْجُنْدِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ حَتَّى خَرَجَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَعَلَيْهِ الْخِلَعُ ، فَسَارُوا مَعَهُ قَالَ : وَكُنْتُ فِيهِمْ « لِلصِّهْرِ (٢) الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَلِأَنَّهُ كَانَ أَحَدَ شُهُودِهِمْ » فَصَارَ عَمِّي وَأَنَا مَعَهُ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ وَالْمَوْكِبِ خَوْفًا مِنَ الزِّحَامِ ، وَمَعَنَا شَيْخٌ أَسَنُّ أَسْمَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ وَأُنْسِيتُهُ أَنَا ، فَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بِمَوْضِعٍ إِلَّا سَمِعْنَا ثَلْبَ النَّاسِ لِأَبِي الْحُسَيْنِ وَتَعَجُّبَهُمْ مِنْ تَقَلُّدِهِ رِيَاسَةً . فَقَالَ عَمِّي لِلشَّيْخِ يَا أَبَا فُلَانٍ : أَمَا تَرَى كَثْرَةَ تَعَجُّبِ النَّاسِ مِنْ تَقَلُّدِ هَذَا الصَّبِيِّ مَعَ فَضْلِهِ وَنَفَاسَتِهِ وَعِلْمِهِ وَجَلَالَةِ سَلَفِهِ ؟! فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَا تَعْجَبْ مِنْ هَذَا ، فَلَعَهْدِي وَقَدْ رَكِبْتُ مَعَ أَبِي عُمَرَ يَوْمَ خُلِعَ عَلَيْهِ بِالْحَضْرَةِ وَقَدِ اجْتَزْنَا بِالنَّاسِ وَهُمْ مُعْجَبُونَ مِنْ تَقَلُّدِهِ أَضْعَافَ هَذَا الْعَجَبِ حَتَّى خِفْنَا أَنْ

---

(١) أبو الحسين هذا : كنية صاحب الترجمة (٢) ما بين القوسين من كلام التنوخي ينبه به على العلاقة بين ابن عياش وصاحب الترجمة

يَثِبُوا عَلَيْنَا ، وَهٰذَا أَبُو عُمَرَ الْآنَ وَقَدْرُهُ فِى الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ يُسْرِعُونَ إِلَى الْعَجَبِ مِمَّا لَمْ يَأْلَفُوهُ .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ كَبِيرٌ لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ لَطِيفٌ ، وَهُوَ فِيمَا أَحْسَبُ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِى ذٰلِكَ .

حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ وَالْخَطِيبُ عَنْ أَبِى الطَّيِّبِ بْنِ زِنْجِىٍّ الْمُؤَدِّبِ قَالَ : كَانَ بَيْنَ أَبِى أَحْمَدَ بْنِ وَرْقَاءَ وَبَيْنَ الْقَاضِى أَبِى عُمَرَ وَوَلَدِهِ أَبِى الْحُسَيْنِ مَوَدَّةٌ وَكِيدَةٌ ، فَعَنَّ لِأَبِى أَحْمَدَ سَفْرَةٌ لَمْ يُوَدِّعْ فِيهَا الْقَاضِيَيْنِ ، فَلَمَّا عَادَ مِنْ سَفْرَتِهِ لَمْ يَقْصِدَاهُ وَلَمْ يَعْرِفَا خَبَرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا :

أَأَسْتَجْفِى أَبَا عُمَرٍ وَأَشْكُو ... أَمِ اسْتَجْفِى فَتَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ ؟؟
بِأَىِّ قَضِيَّةٍ وَبِأَىِّ حُكْمٍ ... أَلَحَّا فِى قَطِيعَةِ وَاصِلَيْنِ[1] ؟؟
فَمَا جَاءَا وَلَا بَعَثَا رَسُولًا ... وَلَا كَانَا لِحَقٍّ قَاضِيَيْنِ
وَإِنَّ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَكُونَا ... لِمَنْ وَالَاهُمَا مُتَوَالِيَيْنِ
فَإِنْ نَعْتِبْ فَحَقًّا غَيْرَ أَنَّا ... نُجِلُّ عَلَى الْعِتَابِ الْقَاضِيَيْنِ

وَأَنْفَذَ الرُّقْعَةَ إِلَى أَبِى عُمَرَ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَلْقَاهَا إِلَى

(١) عبر بواصلين وهو مثنى عن نفسه ، أو لعل آخر كان معه فى سفره .

وَلَدِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَقَالَ : أَجِبْهُ ، فَأَنْتَ أَقْوَمُ بِجَوَابِ هَـذَا الْـكَلَامِ ، فَـكَتَبَ إِلَيْهِ :

تَجَنَّ وَاظْلِمْ فَلَسْتَ مُنْتَقِلًا ... عَنْ خَالِصِ الْوُدِّ أَيُّهَا الظَّالِمْ
كَـتَبْتَ تَشْكُو قَطِيعَةً سَلَفَتْ ... وَخِلْتَ أَنِّى لِحَبْلِـكُمْ صَارِمْ
تَرَكْتَ حَقَّ الْوَدَاعِ مُنْصَرِفًا ... وَجِئْتَ تَبْغِى زِيَارَةَ الْقَادِمْ
كَأَنَّ حَقِّى عَلَيْكَ مُطَّرَحٌ ... وَحَقَّ مَا تَبْتَغِيـهِ بِى لَازِمْ
أَمْرَانِ لَمْ يَذْهَبَا عَلَى فَطِنٍ ... وَأَنْتَ بِالْحُـكْمِ فِيهِمَا عَالِمْ
وَبَعْدَ ذَا فَالْعِتَـابُ مِنْ ثِقَةٍ ... وَصَدْرُهُ مِنْ حَفِيظَةٍ سَالِمْ

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا رَكِبَ إِلَيْهِمَا وَعَادَ مَعَهُمَا إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُصَافَاةِ .

٩ — عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسَفِىُّ الْحَافِظُ *

عمر بن محمد النسفى

وَنَسَفُ هِيَ نَخْشَبُ وَبِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ . كُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ ، وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْقَنْدِ[1] فِى عُلَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ ، ذَكَرَ فِيهَا وَقَالَ : وَمُوسَى بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَغْمَاتِىُّ[2] قَدِمَ عَلَيْنَا سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ شَابٌّ فَاضِلٌ ، وَبَقِىَ عِنْدِى أَيَّامًا

(١) أى العسل (٢) أغمات : ضاحية بالأندلس بها حصن أغمات الذى سجن فيه ابن عباد فى نكبته .

(*) راجع الفوائد البهية

وَكَتَبَ عَنِّي الْكَثِيرَ ، وَلِأَجْلِهِ جَمَعْتُ كِتَاباً سَمَّيْتُهُ مُجَالَةَ النَّخْشَبِيِّ لِضَيْفِهِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَفِيهِ قُلْتُ :

لَقَدْ طَلَعَ الشَّمْسُ مِنْ غَرْبِهَا عَلَى خَافِقَيْهَا وَأَوْسَاطِهَا
فَقُلْنَا : الْقِيَامَةُ قَدْ أَقْبَلَتْ وَقَدْ جَاءَ أَوَّلُ أَشْرَاطِهَا

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي مُوسَى الْأَغْمَاتِيُّ لِنَفْسِهِ :

لَعَمْرُ الْهَوَى إِنِّي وَإِنْ شَطَّتِ النَّوَى
لَذُو كَبِدٍ حَرَّى وَذُو مَدْمَعٍ سَكْبِ
فَإِنْ كُنْتُ فِي أَقْصَى خُرَاسَانَ نَازِحاً
فَجِسْمِيَ فِي شَرْقٍ وَقَلْبِيَ فِي غَرْبِ

﴿ ١٠ عُمَرُ بْنُ مُطَرِّفٍ الْكَاتِبُ * ﴾

عمر بن مطرف الكاتب

يُكْنَى أَبَا الْوَزِيرِ ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، وَكَانَ يَتَقَلَّدُ دِيوَانَ الْمَشْرِقِ لِلْمَهْدِيِّ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، ثُمَّ كَتَبَ لَهُ فِي خِلَافَتِهِ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْمَنْصُورِ وَلِلْمَهْدِيِّ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ فَحَزِنَ عَلَيْهِ وَصَلَّى هُوَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللهُ ، مَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

لِلّٰهِ وَالْآخَرُ لَكَ ، إِلَّا اُخْتَرْتَ مَا هُوَ لِلّٰهِ عَلَى هَوَاكَ[(١)] .

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ مُفَاخَرَةِ الْعَرَبِ وَمُنَافَرَةِ الْقَبَائِلِ فِى النَّسَبِ ، كِتَابُ مَنَازِلِ الْعَرَبِ وَحُدُودِهَا وَأَيْنَ كَانَتْ مَحِلَّةُ كُلِّ قَوْمٍ ؟ وَإِلَى أَيْنَ انْتَقَلَ مِنْهَا ؟ . كِتَابُ رَسَائِلِهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ : وَكَانَ الرَّشِيدُ أَمَرَ بِإِبْطَالِ دَوَاوِينِ الْأَزِمَّةِ فِى سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، فَأُبْطِلَتْ شَهْرَيْنِ ثُمَّ أُعِيدَتْ ، وَوَلِيَهَا أَبُو الْوَزِيرِ عُمَرُ بْنُ الْمُطَرِّفِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَبْدِيُّ ، مَنْسُوبٌ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ لِأَنَّهُ كَانَ مَوْلَاهُمْ ، وَكَانَ مُطَرِّفُ[(٢)] بْنُ مُحَمَّدٍ أَحَدَ كُتَّابِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَقَلَّدَ لَهُ دِيوَانَ الْخَرَاجِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِالرَّىِّ ، وَتُوُفِّىَ مُطَرِّفُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِى قَوْلٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ بَعْدَ هَذَا . وَكَانَ أَبُو الْوَزِيرِ عَفِيفًا مُتَصَوِّنًا وَكَانَ يُبَخَّلُ .

وَحُكِيَ أَنَّهُ كَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ فِى رَجُلٍ فَوَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَدَخَلَ أَبُو الْوَزِيرِ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عُمَرُ خَائِنٌ ، كَلَّمْتُهُ فِى رَجُلٍ كَانَتْ هِبَتُهُ أَلْفَىْ

(١) فى هامش الأصل : عند الجهشيارى ص ٣٣٦ : على ماهو لك (٢) فى هامش الأصل : يريد مطرف بن محمد والد المترجم له ج ٢ ص ٢٣٣

دِرْهَمٍ (١)، فَوَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَلَمْ يَضِرْهُ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّشِيدِ لِعِلْمِهِ بِبُخْلِ أَبِي الْوَزِيرِ، وَلَمَّا انْصَرَفَ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ إِلَى حَضْرَةِ أَبِي الْوَزِيرِ أَغْلَظَ لَهُ وَشَدَّدَ مُعَاتَبَتَهُ لِأَجْلِ مَا وَهَبَ لِلرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ كَانَ يُجْزِئُهُ إِذَا أَسْرَفْتَ أَنْ تَهَبَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ: فَاعْمَلْ عَلَى أَنِّى أَعْطَيْتُهُ بِكِتَابِكَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَعْطَيْتُهُ لِنَفْسِى خَمْسَةً وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وَفِى أَبِى الْوَزِيرِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

لَبِسَ الرِّثَاءَ وَرَاحَ فِى أَثْوَابِهِ نَحْوَ الْخَلِيفَةِ كَاسِرًا لَمْ يَطْرِفِ (٢)
يُبْدِى خِلَافَ ضَمِيرِهِ لِيَغُرَّهُ لِلَّهِ دَرُّ رِثَائِكَ ابْنَ مُطَرِّفِ

وَكَانَ حَجُّ الرَّشِيدِ فِى سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ حَجَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا فِى سَنَةِ ثَمَانٍ، وَلَا أَدْرِى فِى أَيَّةِ حَجَّتَيْهِ هَاتَيْنِ مَاتَ أَبُو الْوَزِيرِ.

﴿ ١١ – عَمْرُو بْنُ أَبِى عَمْرٍو إِسْحَاقَ بْنِ مِرَارٍ الشَّيْبَانِىُّ * ﴾

عمرو بن إسحاق الشيبانى

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَسَبِهِ وَوَلَائِهِ عِنْدَ ذِكْرِ أَبِيهِ، وَكَانَ عَمْرٌو هَذَا قَدْ أَخَذَ عِلْمَ أَبِيهِ وَتَصَدَّرَ لِلْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ وَأَبُوهُ حَىٌّ،

---

(١) فى الأصل: «كانت همته ألفا درهم» (٢) الكاسر اسم فاعل من كسر من طرفه: غض. ولم يطرف: لم يحرك طرفه

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

﴿ ١٢ — عَمْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ مَحْبُوبٍ * ﴾

عمرو بن بحر الجاحظ

أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ مَوْلَى أَبِي الْقَلَمَّسِ عَمْرِو بْنِ قَلَعٍ الْكِنَانِيِّ ثُمَّ الْفُقَمِيِّ (١) أَحَدِ النَّسَّابِينَ ، قَالَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ : الْجَاحِظُ خَالُ أُمِّي ، وَكَانَ جَدُّ الْجَاحِظِ أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ فَزَارَةُ ، وَكَانَ جَمَّالًا لِعَمْرِو بْنِ قَلَعٍ الْكِنَانِيِّ . وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ : الْجَاحِظُ كِنَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ الْجَاحِظُ مِنَ الذَّكَاءِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ وَالْحِفْظِ بِحَيْثُ شَاعَ ذِكْرُهُ ، وَعَلَا قَدْرُهُ ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْوَصْفِ :

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : حَدَّثَ الْمَادِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى الْجَاحِظَ يَبِيعُ الْخُبْزَ وَالسَّمَكَ بِسَيْحَانَ (٢) . قَالَ الْجَاحِظُ : أَنَا أَسَنُّ مِنْ أَبِي نُوَاسٍ بِسَنَةٍ ، وُلِدْتُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَوُلِدَ فِي آخِرِهَا . مَاتَ الْجَاحِظُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَزِّ وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ ، سَمِعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ

---

(١) كانت فى الأصل : « الفقيمى » ، وجاء بالقاموس المحيط : النسبة إلى فقيم كنانة : فقمى ، والنسبه إلى فقيم دارم : فقيمى (٢) سيحان : نهر بالبصرة

(*) ترجم له فى طبقات الأطباء بترجمة ضافية ، وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

وَالْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الْأَخْفَشِ أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ صَدِيقَهُ ، وَأَخَذَ الْكَلَامَ عَنِ النَّظَّامِ ، وَتَلَقَّفَ الْفَصَاحَةَ مِنَ الْعَرَبِ شِفَاهًا بِالْمِرْبَدِ . وَحُدِّثْتُ أَنَّ الْجَاحِظَ قَالَ : نَسِيتُ كُنْيَتِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ : بِمَ أُكْنَى ؟ فَقَالُوا : بِأَبِي عُثْمَانَ .

وَحَدَّثَ أَبُو هِفَّانَ قَالَ : لَمْ أَرَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ مَنْ أَحَبَّ الْكُتُبَ وَالْعُلُومَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَاحِظِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعْ بِيَدِهِ كِتَابٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَوْفَى قِرَاءَتَهُ كَائِنًا مَا كَانَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَكْتَرِي دَكَاكِينَ الْوَرَّاقِينَ وَيَبِيتُ فِيهَا لِلنَّظَرِ . وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ لِمُجَالَسَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ أَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ كُمِّهِ أَوْ خُفِّهِ وَقَرَأَهُ فِي مَجْلِسِ الْمُتَوَكِّلِ إِلَى حِينِ عَوْدِهِ إِلَيْهِ حَتَّى فِي الْخَلَاءِ . وَإِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي فَإِنِّي مَا دَخَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، أَوْ يُقَلِّبُ كُتُبًا أَوْ يَنْفُضُهَا[1] .

وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ : كَانَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ مِنْ أَصْحَابِ النَّظَّامِ ، وَكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ بِالْكَلَامِ ،

---

(١) يقال : نفض الثوب : حركه لينتفض . ويقال نفض فلان المكان : نظر جميع ما فيه ليعرفه ، وكلا المعنيين يصلح

كَثِيرَ التبحُّرِ فيهِ شديدَ الضبْطِ لِحُدُودِهِ، ومِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِ وبِغَيْرِهِ مِنْ عُلومِ الدِّينِ والدُّنْيا، ولَهُ كُتُبٌ كثِيرةٌ مشْهُورةٌ جليلةٌ في نُصْرةِ الدِّينِ، وفي حِكايةِ مذْهَبِ المُخالِفِينَ، وفي الآدابِ والأَخْلاقِ، وفي ضُرُوبٍ مِنَ الجِدِّ والهزْلِ، وقدْ تداوَلَها النَّاسُ وقرَءُوها وعرَفُوا فضْلَها. وإِذا تدبَّرَ العاقِلُ المُميِّزُ أَمْرَ كُتُبِهِ علِمَ أَنَّهُ ليْسَ في تلْقِيحِ العُقُولِ وشحْذِ الأَذْهانِ، ومعْرِفَةِ أُصُولِ الكَلامِ وجواهِرِهِ، وإِيصالِ خِلافِ الإِسْلامِ ومذاهِبِ الاعْتِزالِ إِلى القُلُوبِ — كُتُبٌ تُشْبِهُها، والجاحِظُ عظِيمُ القدْرِ في المُعْتزِلةِ وغيْرِ المُعْتزِلةِ مِنَ العُلَماءِ الَّذِينَ يعْرِفُونَ الرِّجالَ ويُميِّزُونَ الأُمُورَ.

قالَ المرْزُبانِيُّ: وكانَ الجاحِظُ مُلازِماً لِمُحَمَّدِ بْنِ عبْدِ المَلِكِ خاصًّا بِهِ، وكانَ مُنْحرِفاً عنْ أَحْمدَ بْنِ أَبِي دُؤادٍ لِلعداوةِ بيْنَ أَحْمدَ ومُحَمَّدٍ. ولَمَّا قُبِضَ على مُحَمَّدٍ هرَبَ الجاحِظُ فقِيلَ لَهُ: لِمَ هرَبْتَ؟ فقالَ: خِفْتُ أَنْ أَكُونَ ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما في التَّنُّورِ، يُرِيدُ ما صُنِعَ بِمُحَمَّدٍ، وإِدْخالَهُ تَنُّورَ حدِيدٍ فِيهِ مسامِيرُ كانَ هُوَ صنَعَهُ لِيُعذِّبَ النَّاسَ فِيهِ، فعُذِّبَ هُوَ فِيهِ حَتَّى ماتَ «يعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الزَّيَّاتِ».

وَحَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ : مِنْ كِتَابِ الْجَاحِظِ إِلَى ابْنِ الزَّيَّاتِ : لَا وَاللهِ ، مَا عَالَجَ النَّاسُ دَاءً قَطُّ أَدْوَى [1] مِنَ الْغَيْظِ ، وَلَا رَأَيْتُ شَيْئًا هُوَ أَنْفَذُ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَلَا أَعْلَمُ بَابًا أَجْمَعَ لِخِصَالِ الْمَكْرُوهِ مِنَ الذُّلِّ ، وَلَكِنَّ الْمَظْلُومَ مَا دَامَ يَجِدُ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَالْمُبْتَلَى مَا دَامَ يَجِدُ مَنْ يَرْثِي لَهُ ، فَهُوَ عَلَى سَبَبِ دَرْكٍ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، فَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ فَادِحَةٍ ، وَضِيقَةٍ مُصْمَتَةٍ قَدْ فَتَحْتَ أَقْفَالَهَا وَفَكَكْتَ أَغْلَالَهَا ، وَمَهْمَا قَصَّرْتُ فِيهِ فَلَمْ أُقَصِّرْ فِي الْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِكَ ، وَفِي حُسْنِ النِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، لَا مُشَتَّتَ الْهَوَى ، وَلَا مُقَسَّمَ الْأَمَلِ ، عَلَى تَقْصِيرٍ قَدِ احْتَمَلْتَهُ ، وَتَفْرِيطٍ قَدِ اغْتَفَرْتَهُ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ دُيُونِ الْإِدْلَالِ وَجَرَائِمِ الْإِغْفَالِ ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَلَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ الْإِسَاءَةِ وَالْإِنْكَارِ ، وَإِنْ كُنْتُ كَمَا تَصِفُ مِنَ التَّقْصِيرِ وَكَمَا تَعْرِفُ مِنَ التَّفْرِيطِ ، فَإِنِّي مِنْ شَاكِرِي أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ ، وَحَسَنُ الْحَالِ مُتَوَسِّطُ الْمَذْهَبِ ، وَأَنَا أَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنْ كَانَتْ مَرْتَبَتُكَ مِنَ الْمُنْعِمِينَ فَوْقَ مَرْتَبَتِي فِي الشَّاكِرِينَ ،

(١) أدوى : أشد وأكثر إعضالا

وَقَدْ كَانَتْ عَلَيَّ بِكَ نِعْمَةٌ أَذَاقَتْنِي طَعْمَ الْعِزِّ، وَعَوَّدَتْنِي رُوحَ الْكِفَايَةِ، وَلَوَتْ [1] هٰذَا الدَّهْرَ وَجَهْدَهُ، وَلَمَّا مَسَخَ اللهُ الْإِنْسَانَ قِرْدًا وَخِنْزِيرًا تَرَكَ فِيهِمَا مَشَابِهَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَمَّا مَسَخَ زَمَانَنَا لَمْ يَتْرُكْ فِيهِ مَشَابِهَ مِنَ الْأَزْمَانِ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: لَيْسَ جَهْدُ الْبَلَاءِ مَدَّ الْأَعْنَاقِ وَانْتِظَارَ وَقْعِ السَّيْفِ، لِأَنَّ الْوَقْتَ قَصِيرٌ، وَالْحَيْنَ مَغْمُورٌ، وَلٰكِنَّ جَهْدَ الْبَلَاءِ أَنْ تَظْهَرَ الْخَلَّةُ وَتَطُولَ الْمُدَّةُ، وَتَعْجِزَ الْحِيلَةُ، ثُمَّ لَا تَعْدَمَ صَدِيقًا مُؤَنِّبًا، وَابْنَ عَمٍّ شَامِتًا، وَجَارًا حَاسِدًا، وَوَلِيًّا قَدْ تَحَوَّلَ عَدُوًّا، وَزَوْجَةً مُخْتَلِعَةً [2]، وَجَارِيَةً مُسْبِعَةً [3]، وَعَبْدًا يَحْقِرُكَ، وَوَلَدًا يَنْتَهِرُكَ.

وَقَالَ الْجَاحِظُ: إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: مَا تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئًا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْلِحَ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ التَّقْرِيظِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ:

وَحَدَّثَنَا أَبُو دُلَفَ الْكَاتِبُ قَالَ: صُدِّرَ الْجَاحِظُ فِي دِيوَانِ

---

(١) كانت فى الأصل: «والموت هذا الدهر وجهد هذا قردا وخنزيرا الخ» وقد أشار فى هامش الأصل إلى أن بهذه الجملة تحريفا وسقطا وأظنه كذلك، غير أنه بهذا الاصلاح أصبح الكلام منسجما فى غاية الدقة والبلاغة (٢) مختلعة: شبقة، ولعله يقصد أن الزوجة تصبح كثيرة الطلب للأشياء التى حرمت منها بسبب الفقر والعسر. (٣) أى كالسبع خبثا وعدوانا

الرَّسائِلِ أَيَّامَ الْمأْمُونِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَعْفَى فَأُعْفِيَ . وَكانَ سَهْلُ بْنُ هارُونَ يَقُولُ : إِنْ ثَبَتَ الْجاحِظُ فِي هٰذا الدِّيوانِ أَفَلَ نَجْمُ الْكُتَّابِ . قالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبانِيُّ : حَدَّثَ إِسْحاقُ الْمَوْصِلِيُّ وَأَبُو الْعَيْناءِ قالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤادٍ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزَّيّاتِ فَجِيءَ بِالْجاحِظِ مُقَيَّدًا وَكانَ مِنْ أَصْحابِ ابْنِ الزَّيّاتِ وَفِي ناحِيَتِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قالَ : وَاللهِ ما عَلِمْتُكَ إِلَّا مُتَناسِيًا لِلنِّعْمَةِ ، كَفُورًا لِلصَّنِيعَةِ ، مُعَدِّدًا لِلْمَساوِي ، وَما فَتَّنِي بِاسْتِصْلاحِي لَكَ ، وَلٰكِنَّ الْأَيّامَ لا تُصْلِحُ مِنْكَ لِفَسادِ (١) طَوِيَّتِكَ ، وَرَداءَةِ داخِلَتِكَ ، وَسُوءِ اخْتِيارِكَ ، وَتَغالُبِ طَبْعِكَ . فَقالَ لَهُ الْجاحِظُ : خَفِّضْ عَلَيْكَ ، – أَيَّدَكَ اللهُ – ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَكُونَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي عَلَيْكَ ، وَلَأَنْ أُسِيءَ وَتُحْسِنَ ، أَحْسَنُ عَنْكَ مِنْ أَنْ أُحْسِنَ فَتُسِيءَ ، وَأَنْ تَعْفُوَ عَنِّي فِي حالِ قُدْرَتِكَ أَجْمَلُ مِنَ الانْتِقامِ مِنِّي . فَقالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُؤادٍ : قَبَّحَكَ اللهُ ، ما عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ تَزْوِيقِ الْكَلامِ ، وَقَدْ جَعَلْتَ ثِيابَكَ أَمامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اصْطَفَيْتَ فِيهِ النِّفاقَ وَالْكُفْرَ ، ما تَأْوِيلُ

(١) كانت في الأصل : إلا لفساد

هَذِهِ الْآيَةِ ؟ « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ؟ قَالَ : تِلَاوَتُهَا تَأْوِيلُهَا — أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ — . فَقَالَ : جِيئُوا بِحَدَّادٍ . فَقَالَ : — أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ — لِيَفُكَّ عَنِّي أَوْ لِيَزِيدَنِي ؟ فَقَالَ : بَلْ لِيَفُكَّ عَنْكَ . فَجِيءَ بِالْحَدَّادِ فَغَمَزَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَنْ يَعْنُفَ بِسَاقِ الْجَاحِظِ ، وَيُطِيلَ أَمْرَهُ قَلِيلًا ، فَلَطَمَهُ الْجَاحِظُ وَقَالَ : اُعْمَلْ عَمَلَ شَهْرٍ فِي يَوْمٍ ، وَعَمَلَ يَوْمٍ فِي سَاعَةٍ ، وَعَمَلَ سَاعَةٍ فِي لَحْظَةٍ ، فَإِنَّ الضَّرَرَ عَلَى سَاقِي ، وَلَيْسَ بِجِذْعٍ وَلَا سَاجَةٍ (١) . فَضَحِكَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ مِنْهُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَكَانَ حَاضِرًا : أَنَا أَثِقُ بِظَرْفِهِ وَلَا أَثِقُ بِدِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ : صِرْ بِهِ إِلَى الْحَمَّامِ وَأَمِطْ (٢) عَنْهُ الْأَذَى ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ تَخْتَ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةً (٣) وَخُفًّا ، فَلَبِسَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ فَتَصَدَّرَ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عُثْمَانَ .

وَمِنْ شِعْرِ الْجَاحِظِ فِي ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ :

وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بَهِيمٍ　　غَامِضِ الشَّخْصِ مُظْلِمٍ مَسْتُورِ

(١) الساج : يطلق لغة على الخشب مطلقا ، والساجة : الخشبة المنحوتة المهيأة

(٢) فى الأصل أومط　(٣) تخت الثياب : خزانتها ، والطويلة : ثياب بعينها مفتوحة من الأمام تشبه العباءة .

قَدْ تَسَنَّمْتَ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ ... بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ
مِثْلُ وَشْيِ الْبُرُودِ هَلَّلَهُ النَّسْـ ... ـجُ وَعِنْدَ الْحِجَاجِ دُرٌّ نَثِيرُ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا ... نَصَتَ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ تُورِثُ الْيُسْـ ... ـرَ وَعِرْضٌ مُهَذَّبٌ مَوْفُورُ

وَكَتَبَ الْجَاحِظُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ :

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَاوَلْتُ عَمْداً ... بَيْنَ صَفَّيْهِمْ وَأَنْتَ تَسِيرُ
كُلُّهُمْ فَاضِلٌ عَلَيَّ بِمَالٍ ... وَلِسَانِي يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ
فَإِذَا ضَمَّنَا الْحَدِيثُ وَبَيْتٌ ... وَكَأَنِّي عَلَى الْجَمِيعِ أَمِيرُ
رُبَّ خَصْمٍ أَرَقَّ مِنْ كُلِّ رُوحٍ ... وَلِفَرْطِ الذَّكَا يَكَادُ يَطِيرُ
فَإِذَا رَامَ غَايَتِي فَهُوَ كَابٍ ... وَعَلَى الْبُعْدِ كَوْكَبٌ مَبْهُورُ (١)

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : أَتَانِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَدَحَنِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَجْزِيهِ عَلَيْهَا :

بَدَا حِينَ أَثْرَى بِإِخْوَانِهِ ... فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَاةَ الْعَدَمْ (٢)
وَذَكَّرَهُ الدَّهْرُ صَرْفَ الزَّمَانِ ... فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمْ
فَتًى خَصَّهُ اللهُ بِالْمَكْرُمَاتِ ... فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَا بِالْكَرَمْ

(١) الكابي : الساقط ، والمبهور : المغلوب بضوء غيره من الكواكب .

(٢) بدا : مخففة من بدأ ، والمعنى أنه حين أثرى وأيسر بدأ بإخوانه فحا عنهم العدم ، والعدم : فقدان المال .

وَلَا يَنْكُتُ(١) الْأَرْضَ عِنْدَ السُّؤَالِ
لِيَقْطَعَ زُوَّارَهُ عَنْ نَعَمْ

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجَاحِظَ مَدَحَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ رَبَاحٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْجَهْمِ.

وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَبَاحٍ قَالَ: مَدَحَنِي حَمْدَانُ بْنُ أَبَانَ اللَّاحِقِيُّ وَذَكَرَ مِثْلَ مَا مَضَى وَقَالَ فِي آخِرِهِ فَقَالَ: إِنَّ مَادِحَكَ — أَعَزَّكَ اللهُ — يَجِدُ مَقَالًا، وَالْجَاحِظُ يَمْلَأُ عَيْنَيْهِ مِنِّي وَلَا يَسْتَحِي(٢). قَالَ: وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ قَالَ: هَجَا خَالِي أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ الْجَمَّازَ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا:

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُو رٌ(٣) إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
تَنْتَهِي الْأَحْسَابُ بِالنَّا سِ وَلَا تَعْدُو قَفَاهُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْجَمَّازُ:

يَا فَتًى نَفْسُهُ إِلَى الْـ ـكُفْرِ بِاللهِ تَائِقَهْ
لَكَ فِي الْفَضْلِ وَالتَّزَهْـ ـهُدِ وَالنُّسْكِ سَابِقَهْ

وَمِنْ هِجَاءِ الْجَمَّازِ لِلْجَاحِظِ قَوْلُهُ:

---

(١) لاينكت الأرض عند السؤال: نكت الأرض: عادة يفعلها الناس عند التفكر فى الأمر، والنكت: الضرب فى الأرض بقضيب فيؤثر فيها، يقول الشاعر: إن هذا الممدوح لايلجأ إلى نكت الأرض بقصد الانصراف عن الزوار والتخلص منهم (٢) يملأ عينيه منى الخ: أى ينظر إلى متأملا بدون خجل مع أنه مدحنى بهذه الأبيات من قبل. (٣) أى ينتهى نسبه باسمه هو، فلا يتعدى إلى ذكر الآباء والأجداد ومعرفتهم

قَالَ عَمْرٌو مُفاخِراً نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ
قُلْتُ فِي طَاعَةٍ لِرَبْـ ـبِكَ أَبْلَيْتَ ذَا النَّسَبِ[1] ؟

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ فَجَاءَنِي يَوْماً فَقَالَ لِي : أُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى فُلَانٍ الْعَامِلِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مَعِي إِلَيْهِ وَسِيلَةٌ وَقَدْ سَأَلْتُ : مَنْ صَدِيقُهُ ؟. فَقِيلَ لِي : أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ وَهُوَ صَدِيقُكَ ، وَأُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ لِي كِتَابَهُ إِلَيْهِ بِالْعِنَايَةِ . قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى الْجَاحِظِ فَقُلْتُ لَهُ : جِئْتُكَ مُسَلِّماً وَقَاضِياً لِلْحَقِّ ، وَلِي حَاجَةٌ لِبَعْضِ أَصْدِقَائِي وَهِيَ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : لَا تَشْغَلْنَا السَّاعَةَ عَنِ الْمُحَادَثَةِ وَتَعَرُّفِ أَخْبَارِنَا ، إِذَا كَانَ فِي غَدٍ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِالْكِتَابِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ وَجَّهَ إِلَيَّ بِالْكِتَابِ . فَقُلْتُ لِابْنِي : وَجِّهْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى فُلَانٍ فَفِيهِ حَاجَتُهُ . فَقَالَ لِي : إِنَّ أَبَا عُثْمَانَ بَعِيدُ الْغَوْرِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَفُضَّهُ وَنَنْظُرَ مَا فِيهِ ، فَفَعَلَ فَإِذَا فِي الْكِتَابِ : « هَذَا الْكِتَابُ مَعَ مَنْ لَا أَعْرِفُهُ ، وَقَدْ كَلَّمَنِي فِيهِ مَنْ لَا أُوجِبُ حَقَّهُ ، فَإِنْ قَضَيْتَ حَاجَتَهُ لَمْ أَحْمَدْكَ ، وَإِنْ رَدَدْتَهُ لَمْ أَذُمَّكَ » . فَلَمَّا قَرَأْتُ الْكِتَابَ مَضَيْتُ إِلَى الْجَاحِظِ مِنْ فَوْرِي فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ

(١) قوله : فى طاعة لربك إلى آخر البيت : لعله على تقدير الاستفهام الانكارى ، لأن المقام هجاء وذم ، والمعنى لم تبله فى طاعة ربك بل فى معصيته .

مَافِى الكِتَابِ . فَقُلْتُ : أَوَلَيس مَوْضِعَ نَكِرَةٍ ؟ فقالَ : لا، هَذِهِ عَلَامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجلِ فِيمَنْ أَعْتَنِي بِهِ . فقُلْتُ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ما رَأَيْتُ أَحَداً بِطَبْعِكَ وَلَا مَا جُبِلْتَ عَلَيْهِ [1] . مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ الكِتَابَ قَالَ : أُمُّ الجَاحِظِ عَشَرَةُ آلَافٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ قَحْبَةٍ ، وَأُمُّ مَنْ يَسْأَلُهُ حَاجَةً . فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ تَشْتُمُ صَدِيقَنَا ، فَقَالَ : هَذِهِ عَلَامَتِي فِيمَنْ أَشْكُرُهُ ، فَضَحِكَ الجَاحِظُ ، وَحَدَّثَ الفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ ، وَحَدَّثَ الفَتْحُ المُتَوَكِّلَ : فَذَلِكَ كَانَ سَبَبَ اتِّصَالِي بِهِ وَإِحْضَارِي إِلَى مَجْلِسِهِ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الكَاتِبُ قَالَ : كَانَ الجَاحِظُ يَتَقَلَّدُ خِلَافَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ الصُّولِيِّ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الدِّيوَانِ جَاءَهُ أَبُو العَيْنَاءِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ تَقَدَّمَ [2] الجَاحِظُ إِلَى حَاجِبِهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَى الدِّهْلِيزِ أَلَّا يَدَعَهُ يَخْرُجُ ، وَلَا يُمَكِّنَهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ أَبُو العَيْنَاءِ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَبَا عُثْمَانَ : قَدْ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ . وَمِنْ كَلَامِ الجَاحِظِ : احْذَرْ مَنْ تَأْمَنُ كَأَنَّكَ [3] حَذِرٌ مِمَّنْ تَخَافُ . وَقَالَ : أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعٍ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي

---

(١) كان الكلام فى الأصل : « ولا جبلت عليه » الخ (٢) أى تقدم إلى حاجبه وأمره . (٣) فى الأصل : « فانك »

الدُّنْيَا أَثْقَلُ مِنْ أَعْمَى، وَلَا أَبْغَضُ مِنْ أَعْوَرَ، وَلَا أَخَفُّ رُوحاً مِنْ أَحْوَلَ، وَلَا أَقْوَدُ مِنْ أَحْدَبَ. قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ الْجَاحِظَ صَارَ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ إِخْوَانِهِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ غُلَامٌ مُجَمِيٌّ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ الْجَاحِظُ: فَدَخَلَ الْغُلَامُ إِلَى صَاحِبِ الدَّارِ فَقَالَ: الْجَاحِدُ عَلَى الْبَابِ وَسَمِعَهَا الْجَاحِظُ، فَقَالَ صَاحِبُ الدَّارِ لِلْغُلَامِ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَنِ الرَّجُلُ؟ فَخَرَجَ يَسْتَخْبِرُ عَنِ اسْمِهِ فَقَالَ: أَنَا الْحَدَقِيُّ.(١) فَدَخَلَ الْغُلَامُ فَقَالَ: الْحَلَقِيُّ وَسَمِعَهَا الْجَاحِظُ فَصَاحَ بِهِ فِي الْبَابِ « رُدَّنَا إِلَى الْأَوَّلِ » يُرِيدُ أَنَّ قَوْلَهُ الْجَاحِدُ مَكَانَ الْجَاحِظِ أَسْهَلُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلَقِيِّ مَكَانَ الْحَدَقِيِّ، فَعَرَفَهُ الرَّجُلُ فَأَوْصَلَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ. وَقَالَ الْجَاحِظُ: أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ مَمْسُوخَةٌ: أَكْلُ الْأُرْزِ الْبَارِدِ، وَالنَّيْكُ فِي الْمَاءِ، وَالْقُبَلُ عَلَى النِّقَابِ، وَالْغِنَاءُ مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ.

وَحَدَّثَ قَالَ الْجَاحِظُ مَرَّةً بِحَضْرَةِ السِّدْرِيِّ: إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ عَاقِلَةً ظَرِيفَةً كَامِلَةً كَانَتْ قَحْبَةً، فَقَالَ لَهُ السِّدْرِيُّ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: لِأَنَّهَا تَأْخُذُ الدَّرَاهِمَ وَتَمَتَّعُ (٢) بِالنَّاسِ وَالطِّيبِ، وَتَخْتَارُ عَلَى عَيْنِهَا مَنْ تُرِيدُ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ لَهَا مَتَى شَاءَتْ. فَقَالَ لَهُ

(١) الحدقي نسبة إلى الحدقة: وكانت حدقة الجاحظ ناتئة بارزة عن محجر العين، ومن ذلك سمي الجاحظ (٢) تمتع: أصله تتمتع فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً

السِّنْدِيُّ: فَكَيْفَ عَقْلُ الْعَجُوزِ حَفِظَهَا اللهُ؟ قَالَ: هِيَ أَحْمَقُ النَّاسِ وَأَقَلُّهُمْ عَقْلًا.

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: قَالَ الْجَاحِظُ: أَتَيْتُ أَبَا الرَّبِيعِ الْغَنَوِيَّ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَقَالَ: خَرَجَ إِلَيْكُمْ رَجُلٌ كَرِيمٌ وَاللهِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ خَيْرُ الْخَلْقِ يَا أَبَا الرَّبِيعِ؟ فَقَالَ: النَّاسُ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ الْعَرَبُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ الْعَرَبِ؟ قَالَ: مُضَرُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ مُضَرَ؟. قَالَ: قَيْسٌ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَنْ خَيْرُ قَيْسٍ؟. قَالَ أَعْصُرُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ أَعْصُرَ؟ قَالَ غَنِيٌّ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ غَنِيٍّ؟ قَالَ: أَنَا وَاللهِ. قُلْتُ: فَأَنْتَ خَيْرُ الْخَلْقِ؟ قَالَ: إِي وَاللهِ. قُلْتُ: أَيَسُرُّكَ لَوْ أَنَّكَ[1] تَزَوَّجْتَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ؟ قَالَ: وَاللهِ لَا أُدَنِّسُ كَرَمِي بِلُؤْمِهَا. قُلْتُ: عَلَى أَنَّ لَكَ الْجَنَّةَ، فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: عَلَى أَلَّا تَلِدَ مِنِّي وَأَنْشَدَ:

تَأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ
مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ
فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ
فَاذْكُرْ حُذَيْفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَّاءِ

(١) فى الأصل: «أنك لو»

حُذَيْفَةَ بْنَ بَكْرٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَشْرَافِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَباً ، لِأَنَّ أَعْصُرَ ابْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَحُذَيْفَةَ ابْنُ بَدْرٍ (١) بْنِ عَمْرِو بْنِ جُوَيَّةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ .

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنِي الْجَاحِظُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ تَشَيَّعَ وَكَانَ ظَرِيفاً ، فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَبْغُضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَرِدَنَّ عَلَيْهِ الْحَوْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَسْقِيكَ . قَالَ : وَالْحَوْضُ فِي يَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا لِهَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ يَقْتُلُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِالسَّيْفِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَطَشِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ هَذَا مَعَ تَشَيُّعِكَ وَدِينِكَ ؟ . قَالَ : وَاللهِ لَا تَرَكْتُ النَّادِرَةَ وَلَوْ قَتَلَنِي فِي الدُّنْيَا وَأَدْخَلَنِي النَّارَ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ الْجَاحِظُ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ حَوَاشِي اللِّسَانِ ، عَذْبَ يَنَابِيعِ الْبَيَانِ ، إِذَا حَاوَرَ سَدَّدَ سَهْمَ الصَّوَابِ إِلَى غَرَضِ الْمَعْنَى ، لَا يُكَلِّمُ الْعَامَّةَ بِكَلَامِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْخَاصَّةَ بِكَلَامِ الْعَامَّةِ .

---

(١) ابن بعد أعصر وحذيفة بألف لأنه خبر

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ: كُلُّ عِشْقٍ يُسَمَّى حُبًّا، وَلَيْسَ كُلُّ حُبٍّ يُسَمَّى عِشْقًا، لِأَنَّ الْعِشْقَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّ السَّرَفَ اسْمٌ لِمَا جَاوَزَ الْجُودَ، وَالْبُخْلَ اسْمٌ لِمَا قَصَرَ عَنْ الِاقْتِصَادِ، وَالْجُبْنَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنْ شِدَّةِ الِاحْتِرَاسِ، وَالْهَوَجَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الشَّجَاعَةِ.

وَحَدَّثَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ الْكَاتِبُ عَنِ الْجَاحِظِ قَالَ: ذَمَّ رَجُلٌ النَّبِيذَ فَقَالَ: مِنْ مَثَالِبِهِ أَنَّ صَاحِبَهُ يَتَكَرَّهُهُ قَبْلَ شُرْبِهِ، وَيُكَلِّحُ وَجْهَهُ عِنْدَ شَمِّهِ، وَيَسْتَنْقِصُ السَّاقِيَ مِنْ قَدْرِهِ، وَيَعْتَبِرُ عَلَيْهِ مِكْيَالَهُ، وَيَمْزُجُهُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ لِيُخْرِجَهُ عَنْ مَعْنَاهُ وَحَدِّهِ، ثُمَّ يَكْرَعُهُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَيَعُبُّهُ، وَيَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، لِيَقِلَّ مُكْثُهُ فِي فِيهِ، وَيَسْرُعَ عَلَى اللَّهَوَاتِ اجْتِيَازُهُ، ثُمَّ لَا يَسْتَوْفِي كَاْيِتَهُ وَيَرَى أَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ الشَّرَابِ فَضْلَةً فِي قَدَحِهِ، وَيُشَاحُّ (١) السَّاقِيَ فِي الْمُنَاظَرَةِ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْهُ عِنْدَ رَدِّهِ، لِيَصْرِفَ عَنْ نَفْسِهِ عَادِيَةَ شُرْبِهِ، وَيَذْهَبَ بِسَاعَتِهِ، وَيَمْنَعَ مِنْ تَهَوُّعِهِ (٢)، كَمَا يَفْعَلُ بِطَبِيخِ الْغَارِيقُونِ عِنْدَ شُرْبِهِ وَحَبِّ الْإِسْطِيخُمُولِ. وَكَانَ الْجَاحِظُ يَقُولُ: إِنْ تَهَيَّأَ لَكَ فِي الشَّاعِرِ أَنْ تَبَرَّهُ وَتُرْضِيَهُ وَإِلَّا فَاقْتُلْهُ.

(١) أى يرميه بالشح ويعنته (٢) أى تقيئه

وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاء : أَنْشَدَنِى الْجَاحِظُ لِنَفْسِهِ :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى حَلِيمًا غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالرَّأْىُ الْمُصِيبُ
لِيَكْشِفَ عَنْكَ حِيلَةَ كُلِّ رَيْبٍ وَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ الْأَرِيبُ
سَقَامُ الْحِرْصِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ وَدَاءُ الْبُخْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

وَأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ لِلْجَاحِظِ :

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ لَوْنِهِ فَفِى خِضَابِ الرَّأْسِ مُسْتَمْتَعُ
هَبْ مَنْ لَهُ شَيْبٌ لَهُ حِيلَةٌ فَمَا الَّذِى يَحْتَالُهُ الْأَصْلَعُ ؟

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاء قَالَ : قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ الْأَصْمَعِىُّ مَانَوِيًّا[1]، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ رُسْتُمٍ : لَا وَاللهِ، وَلَكِنْ تَذْكُرُ حِينَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ تَسْأَلُهُ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَهِىَ مَخْصُوفَةٌ بِحَدِيدٍ وَيَقُولُ : نِعْمَ قِنَاعُ الْقَدَرِىِّ[2]، فَعَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْنِيكَ فَقُمْتَ[3].

وَحَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَلِىِّ بْنِ الْمُنَجِّمِ قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاحِظِ : مِثْلُكَ فِى عِلْمِكَ وَمِقْدَارِكَ فِى الْأَدَبِ يَقُولُ فِى كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ:

---

(١) فى الأصل « منانيا » ورأينا أنها محرفة عن « مانويا » نسبة إلى مانى الثنوى رأس المانوية (٢) القدرى : نسبة إلى القدرية، وهم فرقة من المعتزلة تكلموا فى القدر وخلق القرآن (٣) فى الأصل : « فتمت » تحريف وأصلح فى هامش الأصل

وَيُكْرَهُ لِلْجَارِيَةِ أَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ فِي فَصَاحَتِهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ الْفَزَارِيِّ :

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فَتَرَاهُ مِنْ لَحْنِ الْإِعْرَابِ، وَإِنَّمَا وَصَفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَإِنَّمَا تَلْحَنُ أَيْ تُورِي فِي لَفْظِهَا عَنْ أَشْيَاءَ وَتَتَنَكَّبُ مَا قَصَدَتْ لَهُ، فَقَالَ: فَطِنْتُ لِذَلِكَ. قُلْتُ: فَغَيِّرْهُ. قَالَ: فَكَيْفَ لِي بِمَا سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ؟ فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطَئِهِ.

قَالَ أَبُو مُحَلِّمٍ: أَرَادَ الْفَزَارِيُّ بِقَوْلِهِ هَذَا، أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيَّ بِهِ، وَوَرَّتْ عَنِ الْإِفْصَاحِ بِهِ لِئَلَّا يَعْلَمَهُ غَيْرُنَا، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْكِلَابِيِّ :

لَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أَيْ فِيمَا يَتَوَحَّوْنَهُ بَيْنَهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالطَّعْنِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَقَدِ انْتَصَرَ أَبُو حَيَّانَ لِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي اعْتَرَفَ الْجَاحِظُ بِخَطَئِهِ فِيهِ فَقَالَ: وَعِنْدِي أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مُحْتَمِلَةٌ لِلْكَلَامِ، لِأَنَّ مُقَابِلَ الْمَنْطِقِ الصَّائِبِ الْمَنْطِقُ الْمَلْحُونُ، وَاللَّحْنُ مِنَ الْغَوَانِي وَالْفَتَيَاتِ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَلَا مَكْرُوهٍ بَلْ

يُسْتَحَبُّ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ بِالتَّأْنِيثِ أَشْبَهُ، وَلِلشَّهْوَةِ أَدْعَى، وَمَعَ الْغَزَلِ أَجْرَى، وَالْإِعْرَابُ جِدٌّ، وَلَيْسَ الْجِدُّ مِنَ التَّغَزُّلِ وَالتَّعَشُّقِ وَالتَّشَاجِي (١) فِي شَيْءٍ، وَعَلَى مَذْهَبِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى أَنَّ الْمَنْطِقَ الصَّائِبَ هُوَ الْكَلَامُ الصَّرِيحُ، وَأَنَّ اللَّحْنَ هُوَ التَّعْرِيضُ، وَأَنَّهَا تَعْرِفُ هَذَا وَهَذَا، فَهَبْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مَقْبُولٌ، لِمَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْآخَرُ لَهُوجًا (٢) وَمَرْدُودًا؟ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ الشَّاعِرِ ذَاكَ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَشْعُرُ بِهَذَا كَمَا يَشْعُرُ بِهَذَا، قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ: أَنْشَدَنِي الْجَاحِظُ لِنَفْسِهِ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ:

وَعَهْدِي بِهِ وَاللهُ يُصْلِحُ أَمْرَهُ
رَحِيبُ مَجَالِ الرَّأْيِ مُنْبَلِجُ الصَّدْرِ
فَلَا جَعَلَ اللهُ الْوِلَايَةَ سُبَّةً
عَلَيْهِ فَإِنِّي بِالْوِلَايَةِ ذُو خُبْرِ
فَقَدْ جَهَدُوهُ بِالسُّؤَالِ وَقَدْ أَبَى
بِهِ الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ يَلِجَّ وَيَسْتَشْرِي (٣)

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَخْبَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي

---

(١) التشاجي مصدر تشاجت المرأة على زوجها تشاجياً: تمنعت وتحازنت.

(٢) أي غير ناضج (٣) جهدوه: أتعبوه وحملوه المشقة، ويلج: يتمادى في الشيء، ويستشري: معناه يلج أيضا. ومعنى البيت أن الناس أكثروا عليه في الطلب والطمع فبالغ في عطائهم والاحسان اليهم

الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مِهْرَوَيْهِ قَالَ: حدَّثني عَبْدُ اللهِ بْنُ جعفرٍ الْوَكِيلُ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رُقْعَةً يُرَدِّدُ النَّظَرَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ؟ كَأَنَّهُ اسْتَعْجَمَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْهُ؟ فَقَالَ. هَذِهِ رُقْعَةُ أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ، وَكَلامُهُ يُعْجِبُنِي وَأَنَا أُرَدِّدُهُ عَلَى نَفْسِي لِشِدَّةِ إِعْجَابِي. فَقُلْتُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ أَقْرَأَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَلْقَاهَا إِلَيَّ فَإِذَا فِيهَا: مَا ضَاءَ لِي نَهَارٌ وَلَا دَجَا لَيْلٌ مُذْ فَارَقْتُكَ، إِلَّا وَجَدْتُ الشَّوْقَ إِلَيْكَ قَدْ حَزَّ فِي كَبِدِي، وَالْأَسَفَ عَلَيْكَ قَدْ أَسْقَطَ فِي يَدِي، وَالنِّزَاعَ نَحْوَكَ قَدْ خَانَ جَلَدِي، فَأَنَا بَيْنَ حَشًا خَافِقَةٍ وَدَمْعَةٍ مُهْرَاقَةٍ، وَنَفْسٍ قَدْ ذَبَلَتْ بِمَا تُجَاهِدُ، وَجَوَانِحَ قَدْ أُبْلِيَتْ بِمَا تُكَابِدُ، وَذَكَرْتُ وَأَنَا عَلَى فِرَاشِ الارْتِمَاضِ مَمْنُوعٌ مِنْ لَذَّةِ الْإِغْمَاضِ قَوْلَ بَشَّارٍ:

إِذَا هَتَفَ الْقُمْرِيُّ نَازَعَنِي الْهَوَى
بِشَوْقٍ فَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي مِنَ الْوَجْدِ

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا
وَكُنَّا كَمَاءِ الْمُزْنِ شِيبَ مَعَ الشَّهْدِ

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا
كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

فانتظمَ وصفُ ما كُنّا نتعاشرُ عليهِ، ونجرى فى مودّتِنا إليهِ فى شعرِهِ هذا، وذكرتُ أيضاً ما رمانى بهِ الدّهرُ من فُرقةِ أعزّائى من إخوانى الّذينَ أنتَ أعزُّهمْ، ويمتحِنُنى بمن نأى من أحبّائى وخُلصانى (١) الّذينَ أنتَ أحبُّهمْ وأخلصُهمْ، ويُجرّعُنيهِ من مرارةِ نأيِهمْ وبُعدِ لقائِهِمْ، وسألتُ اللهَ أنْ يقرِنَ آياتِ سُرورى بالقُرْبِ منكَ، ولينَ عيشى بسُرْعةِ أوْبتِكَ، وقلتُ أبياتاً تقصُرُ عنْ صِفةِ وجْدى، وكُنهِ ما يتضمّنُهُ قلبى، وهى :

بخدّى منْ قطرِ الدُّموعِ ندوبُ
وبالقلبِ منّى مذْ نأيتَ وجيبُ

ولى نفسٌ حتّى الدُّجى يصْدعُ الحشا
ورجْعُ حنينٍ للفُؤادِ مُذيبُ

ولى شاهدٌ منْ ضرِّ نفْسى وسُقمِهِ
يُخبّرُ عنّى أنّنى لكئيبُ

كأنّى لمْ أُفجعْ بفُرْقةِ صاحبٍ
ولا غابَ عنْ عيْنى سِواكَ حبيبُ

فقلتُ لابنِ المُدبّرِ : هذهِ رُقعةُ عاشقٍ لا رُقعةُ خادمٍ، ورُقعةُ غائبٍ لا رُقعةُ حاضرٍ. فضحكَ وقالَ : نحنُ ننبسطُ مع

(١) الخلصان بضم الخاء : الخالص من الأخدان والأصحاب يستوى فيه الواحد والجماعة .

أَبِي عُثْمَانَ إِلَى مَاهُوَ أَرَقُّ مِنْ هٰذَا وَأَلْطَفُ ، فَأَمَّا الْغَيْبَةُ فَإِنَّنَا نَجْتَمِعُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَتَأَخَّرَ ذَلِكَ لِشُغْلٍ عَرَضَ لِي نَخَاطَبِنِي مُخَاطَبَةَ الْغَائِبِ ، وَأَقَامَ انْقِطَاعَ الْعَادَةِ مَقَامَ الْغَيْبَةِ .

قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ يَأْتِينِي رَجُلٌ فَصِيحٌ مِنَ الْعَجَمِ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : هٰذِهِ الْفَصَاحَةُ وَهٰذَا الْبَيَانُ لَو ادَّعَيْتَ فِي قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ لَـكُنْتَ لَا تُنَازَعُ فِيهَا . قَالَ : فَأَجَابَنِي إِلَى ذَلِكَ ، فَجَعَلْتُ أُحَفِّظُهُ نَسَبًا حَتَّى حَفِظَهُ وَهَذَّهُ هَذًّا [1] . فَقُلْتُ لَهُ : الْآنَ لَاتَتِهْ عَلَيْنَا . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ . إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا إِذًا دَعِيٌّ .

وَمِنْ كَلَامِ الْجَاحِظِ يَصِفُ الْبَلَاغَةَ : وَمَتَى شَاكَلَ - أَبْقَاكَ اللهُ - اللَّفْظُ مَعْنَاهُ وَكَانَ لِذَلِكَ الْحَالِ وَفْقًا وَلِذَلِكَ الْقَدْرِ لِفْقًا [2] وَخَرَجَ مِنْ سَمَاجَةِ الِاسْتِكْرَاهِ وَسَلِمَ مِنْ فَسَادِ التَّكَلُّفِ ، كَانَ قَمِنًا بِحُسْنِ الْمَوْقِعِ ، وَحَقِيقًا بِانْتِفَاعِ الْمُسْتَمِعِ ، وَجَدِيرًا أَنْ يَمْنَعَ جَانِبَهُ مِنْ تَأَوُّلِ الطَّاعِنِينَ ، وَيَحْمِيَ عِرْضَهُ مِنْ اعْتِرَاضِ الْعَائِبِينَ ، وَلَا يَزَالُ الْقُلُوبُ بِهِ مَعْمُورَةً ، وَالصُّدُورُ بِهِ مَأْهُولَةً ، وَمَتَى كَانَ اللَّفْظُ أَيْضًا كَرِيمًا فِي نَفْسِهِ مُتَخَيَّرًا مِنْ جِنْسِهِ ، وَكَانَ سَلِيمًا مِنَ الْفُضُولِ بَرِيئًا مِنَ التَّعْقِيدِ حُبِّبَ إِلَى النُّفُوسِ ، وَاتَّصَلَ بِالْأَذْهَانِ وَالْتَحَمَ بِالْعُقُولِ ،

(١) هذ الحديث هذا : سرده سردا مع الاسراع (٢) اللفق : أحد شقي الملاءة ، والمراد : مساواة اللفظ لمعناه وملاءمته له

وَهَشَّتْ لَهُ الْأَسْمَاعُ ، وَارْتَاحَتْ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَخَفَّ عَلَى أَلْسُنِ الرُّوَاةِ ، وَشَاعَ فِي الْآفَاقِ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَ فِي النَّاسِ خَطَرُهُ ، وَصَارَ ذَلِكَ مَادَّةً لِلْعَالِمِ الرَّئِيسِ ، وَرِيَاضَةً لِلْمُتَعَلِّمِ الرَّيِّضِ وَمَنْ أَعَارَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ نَصِيبًا ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذَنُوبًا ، حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِي وَسَلَسَ لَهُ نِظَامُ اللَّفْظِ ، وَكَانَ قَدْ أَغْنَى الْمُسْتَمِعَ عَنْ كَدِّ التَّكَلُّفِ ، وَأَرَاحَ قَارِئَ الْكِتَابِ مِنْ عِلَاجِ التَّفَهُّمِ . وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي تَقْرِيظِ الْجَاحِظِ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ — وَهَمُّكَ مِنْ رَجُلٍ ، وَنَاهِيكَ مِنْ عَالِمٍ ، وَشَرْعُكَ مِنْ صَدُوقٍ (١) — قَالَ : حَدَّثَنَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّابِئِينَ الْكُتَّابِ : أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ قَالَ : مَا أَحْسُدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ فَإِنَّهُ :

عَقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

فَقِيلَ لَهُ : أَحْصِ لَنَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ . قَالَ : أَوَّلُهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي سِيَاسَتِهِ وَيَقَظَتِهِ وَحَذَرِهِ ، وَتَحَفُّظِهِ وَدِينِهِ وَتَقِيَّتِهِ ، وَجَزَالَتِهِ وَبَذَالَتِهِ وَصَرَامَتِهِ وَشَهَامَتِهِ ، وَقِيَامَتِهِ فِي صَغِيرِ أَمْرِهِ وَكَبِيرِهِ بِنَفْسِهِ ، مَعَ قَرِيحَةٍ صَافِيَةٍ ، وَعَقْلٍ وَافِرٍ ، وَلِسَانٍ

(١) همك من رجل ، وناهيك ، وشرعك ، كلها بمعنى حسبك

عَضْبٍ وَقَلْبٍ شَدِيدٍ ، وَطَوِيَّةٍ مَأْمُونَةٍ ، وَعَزِيمَةٍ مَأْمُومَةٍ ، وَصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ ، وَبَالٍ مُنْفَسِحٍ ، وَبَدِيهَةٍ نَضُوحٍ (١) وَرَوِيَّةٍ لَقُوحٍ (٢) ، وَسِرٍّ طَاهِرٍ ، وَتَوْفِيقٍ حَاضِرٍ ، وَرَأْيٍ مُصِيبٍ ، وَأَمْرٍ عَجِيبٍ ، وَشَأْنٍ غَرِيبٍ ، دَعَمَ الدِّينَ وَشَيَّدَ بُنْيَانَهُ ، وَأَحْكَمَ أَسَاسَهُ وَرَفَعَ أَرْكَانَهُ ، وَأَوْضَحَ حُجَّتَهُ وَأَنَارَ بُرْهَانَهُ ، مَلِكٌ فِي زِيِّ مِسْكِينٍ ، مَا جَنَحَ فِي أَمْرٍ إِلَى وَنًى ، وَلَا غَضَّ طَرْفَهُ عَلَى خَنًا ، ظَهَارَتُهُ كَالْبِطَانَةِ ، وَبِطَانَتُهُ كَالظِّهَارَةِ ، جَرَحَ وَأَسَا ، وَلَانَ وَقَسَا ، وَمَنَعَ وَأَعْطَى ، وَاسْتَخْذَى وَسَطَا ، كُلُّ ذَلِكَ فِي اللهِ وَلِلّٰهِ ، لَقَدْ كَانَ مِنْ نَوَادِرِ الرِّجَالِ . قَالَ : وَالثَّانِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ دَرَارِيِّ النُّجُومِ عِلْمًا وَتَقْوَى وَزُهْدًا وَوَرَعًا وَعِفَّةً وَرِقَّةً وَتَأَلُّهًا وَتَنَزُّهًا وَفِقْهًا وَمَعْرِفَةً وَفَصَاحَةً وَنَصَاحَةً (٣) ، مَوَاعِظُهُ تَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَأَلْفَاظُهُ تَلْتَبِسُ بِالْعُقُولِ ، وَمَا أَعْرِفُ لَهُ ثَانِيًا ، لَا قَرِيبًا وَلَا مُدَانِيًا ، كَانَ مَنْظَرُهُ وَفْقَ مَخْبَرِهِ ، وَعَلَانِيَتُهُ فِي وَزْنِ سَرِيرَتِهِ ، عَاشَ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يُقْرَفْ (٤) بِمَقَالَةٍ شَنْعَاءَ ، وَلَمْ يُزَنَّ (٥) بِرِيبَةٍ وَلَا فَحْشَاءَ ، سَلِيمُ الدِّينِ ، نَقِيُّ الْأَدِيمِ ،

---

(١) بديهة نضوح ، النضوح : كثير النضح وهو رشاش الماء ، والماء يسقى به الزرع (٢) ناقة لقوح : حلوب (٣) النصاحة : الوعظ وإخلاص المودة .

(٤) لم يقرف : بالبناء للمجهول : لم يعبه أحد ولم يتهمه . (٥) ولم يزن بريبة ولا فحشاء : مجهول أيضا : أى لم يتهم بريبة الخ .

مَحْرُوسُ الْحَرِيمِ ، يَجْمَعُ مَجْلِسُهُ ضُرُوبَ النَّاسِ وَأَصْنَافَ اللِّبَاسِ لِمَا يُوسِعُهُمْ مِنْ بَيَانِهِ ، وَيُفِيضُ عَلَيْهِمْ بِافْتِنَانِهِ ، هَذَا يَأْخُذُ عَنْهُ الْحَدِيثَ ، وَهَذَا يَلْقَنُ مِنْهُ التَّأْوِيلَ ، وَهَذَا يَسْمَعُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَهَذَا يَتْبَعُ فِي كَلَامِهِ الْعَرَبِيَّةَ ، وَهَذَا يُجَرِّدُ لَهُ الْمَقَالَةَ ، وَهَذَا يَحْكِي الْفُتْيَا ، وَهَذَا يَتَعَلَّمُ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءَ ، وَهَذَا يَسْمَعُ الْمَوْعِظَةَ ، وَهُوَ جَمِيعُ هَذَا ، كَالْبَحْرِ الْعَجَّاجِ تَدَفُّقًا ، وَكَالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ تَأَلُّقًا ، وَلَا تَنْسَ مُوَافَقَةَ وَمُشَاهَدَهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَأَشْبَاهِ الْأُمَرَاءِ بِالْكَلَامِ الْفَصْلِ ، وَاللَّفْظِ الْجَزْلِ ، وَالصَّدْرِ الرَّحْبِ ، وَالْوَجْهِ الصُّلْبِ ، وَاللِّسَانِ الْعَضْبِ ، كَالْحَجَّاجِ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ مَعَ شَارَةِ الدِّينِ ، وَبَهْجَةِ الْعِلْمِ وَرَحْمَةِ التُّقَى ، لَا تَثْنِيهِ لَائِمَةٌ(١) فِي اللَّهِ ، وَلَا تُذْهِلُهُ رَائِحَةٌ(٢) عَنِ اللَّهِ ، يَجْلِسُ تَحْتَ كُرْسِيِّهِ قَتَادَةُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، وَعَمْرٌو وَوَاصِلٌ صَاحِبَا الْكَلَامِ ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ صَاحِبُ النَّحْوِ ، وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ صَاحِبُ الدَّقَائِقِ ، وَأَشْبَاهُ هَؤُلَاءِ وَنُظَرَاؤُهُمْ ، فَمَنْ ذَا مِثْلُهُ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُ ؟. وَالثَّالِثُ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ ، خَطِيبُ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَيْخُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِدْرَهُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، إِنْ تَكَلَّمَ حَكَى سَحْبَانَ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَإِنْ

(١) اللائمة : اللوم ، وفى الله متعلق بتثنيه . (٢) الرائحة : العشى ، أو من الزوال إلى الليل . والمعنى : لا ينسيه مرور الأوقات أن يذكر الله فى جميع أعماله

نَاظَرَ ضَارَعَ النَّظَّامَ فِي الْجِدَالِ ، وَإِنْ جَدَّ خَرَجَ فِي مِسْكِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَإِنْ هَزَلَ زَادَ عَلَى مَزْيَدٍ حَبِيبِ الْقُلُوبِ وَمِزَاجِ الْأَرْوَاحِ ، وَشَيْخِ الْأَدَبِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ . كُتُبُهُ رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ ، وَرَسَائِلُهُ أَفْنَانٌ مُثْمِرَةٌ ، مَا نَازَعَهُ مُنَازِعٌ إِلَّا رَشَاهُ آنِفاً ، وَلَا تَعَرَّضَ لَهُ مَنْقُوصٌ إِلَّا قَدَّمَ لَهُ التَّوَاضُعَ اسْتِبْقَاءً . الْخُلَفَاءُ تَعْرِفُهُ ، وَالْأُمَرَاءُ تُصَافِيهِ (١) وَتُنَادِمُهُ ، وَالْعُلَمَاءُ تَأْخُذُ عَنْهُ ، وَالْخَاصَّةُ تُسَلِّمُ لَهُ ، وَالْعَامَّةُ تُحِبُّهُ ، جَمَعَ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ ، وَبَيْنَ الْفِطْنَةِ وَالْعِلْمِ ، وَبَيْنَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، وَبَيْنَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ، وَبَيْنَ الذَّكَاءِ وَالْفَهْمِ ، طَالَ عُمُرُهُ ، وَفَشَتْ حِكْمَتُهُ ، وَظَهَرَتْ خَلَّتُهُ ، وَوَطِئَ (٢) الرِّجَالُ عَقِبَهُ ، وَتَهَادَوْا أَدَبَهُ (٣) ، وَافْتَخَرُوا بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ ، وَنَجَحُوا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ ، لَقَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ . هَذَا قَوْلُ ثَابِتٍ ، وَهُوَ قَوْلُ صَابِئٍ لَا يَرَى لِلْإِسْلَامِ حُرْمَةً وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ حَقّاً ، وَلَا يُوجِبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ذِمَاماً ، قَدِ انْتَقَدَ هَذَا الِانْتِقَادَ ، وَنَظَرَ هَذَا النَّظَرَ ، وَحَكَمَ هَذَا الْحُكْمَ ، وَأَبْصَرَ الْحَقَّ بِعَيْنٍ لَا غِشَاوَةَ عَلَيْهَا مِنَ الْهَوَلِ (٤) ، وَنَفْسٍ لَا لَطْخَ (٥) بِهَا مِنَ التَّقْلِيدِ ، وَعَقْلٍ مَا تَخَيَّلَ بِالْعَصَبِيَّةِ ، وَلَسْنَا نَجْهَلُ مَعَ ذَلِكَ فَضْلَ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنَ السَّلَفِ

---

(١) في الأصل : « تصفه » (٢) وطىء الرجال عقبه : أي اتبعوه واقتفوا أثره
(٣) في هذا الأصل : « إربه » (٤) أي خوف النقد (٥) أي لا لوث

الطَّاهِرِ، وَالخَلَفِ الصَّالِحِ، ولَكِنَّا مُحِبُّنَا فَضْلَ مُحِبٍّ مِنْ رَجُلٍ لَيْسَ مِنَّا وَلَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَلُغَتِنَا، — وَلَعَلَّهُ مَا خَبَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كُلَّ الْخِبْرَةِ، وَلَا اسْتَوْعَبَ كُلَّ مَا لِلْحَسَنِ مِنَ الْمَنْقَبَةِ، وَلَا وَقَفَ عَلَى جَمِيعِ مَا لِأَبِي عُثْمَانَ مِنَ الْبَيَانِ وَالْحِكْمَةِ — يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَيَتَعَجَّبُ هَذَا الْعَجَبَ، وَيَحْسُدُ أُمَّتَنَا بِهِمْ هَذَا الْحَسَدَ، وَيَخْتِمُ كَلَامَهُ بِأَبِي عُثْمَانَ، وَيَصِفُهُ بِمَا يَأْبَى الطَّاعِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ، وَيَغْضَبُ إِذَا ادُّعِيَ ذَلِكَ لَهُ لِمَوْفِزٍ (١) عَلَيْهِ، هَلْ هَذَا إِلَّا الْجَهْلُ الَّذِي يُرْحَمُ الْمُبْتَلَى بِهِ؟.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ مِقْسَمٍ — وَقَدْ طَالَ ذِكْرُ الْجَاحِظِ لِأَبِي هِفَّانَ: — قِيلَ (٢) لِأَبِي هِفَّانَ لِمَ لَا تَهْجُو الْجَاحِظَ وَقَدْ نَدَّدَ بِكَ وَأَخَذَ بِمُخَنَّقِكَ (٣)؟ فَقَالَ: أَمِثْلِي يُخْدَعُ عَنْ عَقْلِهِ، وَاللهِ لَوْ وَضَعَ رِسَالَةً فِي أَرْنَبَةِ أَنْفِي لَمَا أَمْسَتْ إِلَّا بِالصِّينِ شُهْرَةً، وَلَوْ قُلْتُ فِيهِ أَلْفَ بَيْتٍ لَمَا طَنَّ (٤) مِنْهَا بَيْتٌ فِي أَلْفِ سَنَةٍ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْكَاتِبَ فِي دِيوَانِ بَادُورِيَا، قَالَ: كَتَبَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ إِلَى الْجَاحِظِ كِتَابًا يَقُولُ فِي فَصْلٍ مِنْهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ بِكَ، وَيَهَشُّ عِنْدَ ذِكْرِكَ، وَلَوْلَا

(١) أى لحقد يحمله يغز عليه (٢) نسبه الأصل إلى سقوط جملة هنا معناها: قيل لأبى هفان (٣) المخنق: موضع حبل الخنق من العنق، أو هو العنق، وأخذه بمخنقه: ضيق عليه وشدد (٤) أى ما سمع لها صوت ولا اشتهرت

عَظَمَتَكَ فِى نفسه لِعِلْمِكَ ومَعْرِفَتِكَ ، لِحَالِ بينكَ وبينَ بُعْدِكَ عَنْ مجلسه ، ولِغَضَبِكَ رأيَكَ وتدبيرَكَ فِيمَا أَنْتَ مشغولٌ بهِ ومتوفّرٌ عليهِ ، وقدْ كانَ أَلقى إِلَىَّ مِنْ هذا عُنوانُهُ(١) ، فزِدْتُكَ فِى نفسِهِ زيادةً كفَّ بِهَا عنْ تجشيمكَ(٢) ، فاعرفْ لِى هذهِ الحالَ ، واعتقدْ هذهِ المِنَّةَ على كتابِ الرَّدِّ على النصارى ، وافرُغْ مِنهُ وعجِّلْ بِهِ إِلَىَّ ، وكُنْ مَنْ جدا(٣) بِهِ على نفسِهِ ، تنالُ مشاهرتكَ وقدِ استطلقتهُ(٤) لِمَا مضى ، واستسلفتُ(٥) لكَ لسنةٍ كاملةٍ مستقبلةٍ ، وهذا مِمَّا لمْ تحتكِمْ(٦) بِهِ نفسُكَ ، وقدْ قرأتُ رسالتَكَ فِى بصيرةِ غنامٍ ، ولولا أَنِّى أَزيدُ فِى مُخيِّلتِكَ لعرَّفتُكَ ما يعترينى عندَ قراءتِهَا والسَّلامُ .

قالَ الجاحظُ(٧) : قلتُ لِلحزامىِّ : قدْ رضيتَ بقولِ النَّاسِ فيكَ : إِنَّكَ بخيلٌ . قالَ : لا أَعدمنِى اللهُ هذا الاسمَ . قالَ : لأَنَّهُ لا يُقالُ : فلانٌ بخيلٌ إِلَّا وهوَ ذو مالٍ ، فإذا سلِمَ المالُ فادْعُنِى بأىِّ اسمٍ شئتَ . قلتُ : ولا يُقالُ سخىٌّ إِلَّا وهوَ ذو مالٍ ، فقدْ جمعَ هذا الاسمُ المالَ والحمدَ ، وجمعَ ذاكَ الاسمُ المالَ

---

(١) أى ما يشير إلى ذلك (٢) أى تكليفك ما فيه مشقة (٣) جدا عليه : أعطاه الجدوى أى النفع ، والمعنى : أعط نفسك النفع من وراء هذا الكتاب (٤) استطلقته لما مضى : أى طلبت إليه تطليق ما مضى . (٥) استسلفت لك الخ : قدمت لك ماينفعك من صالح المال والعمل (٦) لم تحتكم به نفسك : لم تتصرف فيه كما تريد (٧) بكتاب البخلاء طبع ليدن ص ٦٥ « هكذا فى الأصل »

وَالذمُّ . قالَ : بينهما فرقٌ . قلتُ : هاتِهِ . قالَ : في قولِهِم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامةِ المالِ في ملكِهِ ، وَاسمُ البخيلِ اسمٌ فيه حزمٌ وذمٌّ ، وَاسمُ السخاءِ فيه تضييعٌ وحمدٌ ، وَالمالُ نافعٌ مكرمٌ لأهلِهِ معزٌّ ، وَالحمدُ ريحٌ (١) وسخريةٌ ، وَاستماعُهُ ضعفٌ وفسولةٌ (٢) . وما أقلَّ واللهِ غناءَ الحمدِ عنهُ إذا جاعَ بطنُهُ ، وعرِيَ جسدُهُ ، وشمِتَ عدوُّهُ .

قالَ أبو حيّانَ : ومِنْ عجيبِ الحديثِ في كُتُبِهِ ما حدَّثنا بِهِ عليُّ بنُ عيسى النحويُّ الشيخُ الصالحُ قالَ : سمعتُ ابنَ الأخشادِ شيخَنا أبا بكرٍ يقولُ : ذكرَ أبو عثمانَ في أوّلِ كتابِ الحيوانِ أسماءَ كُتُبِهِ ليكونَ ذلكَ كالفهرستِ ، ومرَّ بي في جملتِها الفرقُ بينَ النبيِّ (٣) والمتنبّئِ ، وكتابُ دلائلِ النبوّةِ وقدْ ذكرَهُما هكذا على التفرقةِ ، وأعادَ ذكرَ الفرقِ في الجزءِ الرابعِ (٤) لشيءٍ دعاهُ إليهِ ، فأحببتُ أنْ أرى الكتابينِ ولمْ أقدرْ إلاّ على واحدٍ منهما وهو كتابُ دلائلِ النبوّةِ ، وربّما لُقِّبَ بالفرقِ خطأً ، فهمَّني ذلكَ وساءَني في سوءِ ظفرِي بِهِ ، فلمّا شخصتُ مِنْ مصرَ

(١) أى كالريح لا ثبات له (٢) الفسولة : الخساسة ، والفسل : الرذل الذى لا مروءة له (٣) النبي : المخبر عن الله ، والمتنبي : مدعي النبوة باطلا (٤) طبع مصر سنة ١٣٢٤ ص ١٢٢

وَدَخَلْتُ مَكَّةَ – حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى – حَاجًّا أَقَمْتُ مُنَادِيًا بِعَرَفَاتٍ يُنَادِي – وَالنَّاسُ حُضُورٌ مِنَ الْآفَاقِ عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ وَتَنَازُحِ أَوْطَانِهِمْ، وَتَبَايُنِ قَبَائِلِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنْ مَهَبِّ الشَّمَالِ إِلَى مَهَبِّ الْجَنُوبِ، وَهُوَ الْمَنْظَرُ الَّذِي لَا يُشَابِهُهُ مَنْظَرٌ – : «رَحِمَ اللهُ مَنْ دَلَّنَا عَلَى كِتَابِ الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّىءِ لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ». قَالَ: فَطَافَ الْمُنَادِي فِي تَرَابِيعِ[1] عَرَفَاتٍ وَعَادَ بِالْخَيْبَةِ وَقَالَ: حَجَبَ النَّاسَ مِنًى وَلَمْ يَعْرِفُوا هٰذَا الْكِتَابَ وَلَا اعْتَرَفُوا بِهِ.

قَالَ ابْنُ أَخْشَادٍ: وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهٰذَا أَنْ أُبْلِغَ نَفْسِي عُذْرَهَا. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَحَسْبُكَ بِهَا فَضِيلَةً لِأَبِي عُثْمَانَ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ ابْنِ الْأَخْشَادِ – وَهُوَ هُوَ[2] فِي مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ رَأْسٌ عَظِيمٌ مِنْ رُءُوسِ الْمُعْتَزِلَةِ – يَسْتَهَامُ بِكُتُبِ الْجَاحِظِ حَتَّى يُنَادِيَ عَلَيْهَا بِعَرَفَاتٍ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهٰذَا الْكِتَابُ مَوْجُودٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يَكَادُ تَخْلُو خِزَانَةٌ مِنْهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا مِنْهُ نَحْوَ مِائَةِ نُسْخَةٍ أَوْ أَكْثَرَ.

وَمِنْ كِتَابِ هِلَالٍ قَالَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ: ثَلَاثَةٌ

---

(١) ترابيع عرفات: منازلها التي ينزل فيها أيام الربيع (٢) وهو هو الخ: أي المعروف في علوم الحكمة

عُلُومِ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِيَالٌ(١) فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ: أَمَّا الْفِقْهُ فَعَلَى أَبِي حَنِيفَةَ، لِأَنَّهُ دَوَّنَ وَخَلَّدَ مَا جَعَلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بَعْدَهُ مُشِيرًا إِلَيْهِ وَمُخْبِرًا عَنْهُ. وَأَمَّا الْكَلَامُ فَعَلَى أَبِي الْهُذَيْلِ، وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ وَاللَّسَنُ وَالْعَارِضَةُ(٢)، فَعَلَى أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ. وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ السِّيرَافِيُّ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ فَقَصَّرَ رَجُلٌ بِالْجَاحِظِ(٣) وَأَزْرَى عَلَيْهِ وَحَلُمَ الْأُسْتَاذُ عَنْهُ. فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ: سَكَتَّ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ عَنْ هَذَا الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ الَّذِي(٤) قَالَ مَعَ عَادَتِكَ بِالرَّدِّ عَلَى أَمْثَالِهِ. فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِي مُقَابَلَتِهِ أَبْلَغَ مِنْ تَرْكِهِ عَلَى جَهْلِهِ، وَلَوْ وَاقَفْتُهُ(٥) وَبَيَّنْتُ لَهُ النَّظَرَ فِي كُتُبِهِ، صَارَ إِنْسَانًا. يَا أَبَا الْقَاسِمِ كُتُبُ الْجَاحِظِ تُعَلِّمُ الْعَقْلَ أَوَّلًا وَالْأَدَبَ ثَانِيًا.

وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِيُّ عَنْ أَبِي مُعَاذٍ عَبْدَانَ الْخُوْلِيِّ(٦) الْمُتَطَبِّبِ(٧) قَالَ: دَخَلْنَا يَوْمًا بِسُرَّ مَنْ رَأَى عَلَى عَمْرِو

(١) العيال: أهل بيت الرجل الذين يتكفل بهم ويعولهم من أولاد وأزواج وأتباع والمراد: أنهم مفتقرون إليهم افتقار العيال إلى من يعولهم (٢) العارضة: البيان واللسن وقوة البديهة (٣) أى قلل من منزلته وحط من قدره (٤) لم تكن كلمة «الذى» فى الأصل (٥) الموافقة: أن تقف مع إنسان ويقف معك فى حرب أو خصومة، ووافقته على كذا: سألته الوقوف (٦) كانت فى الأصل «الخوى» وبالرجوع إلى الأمالى المنقول عنه ج ١ ص ٥١ طبع مصر سنة ١٣٢٤ وجدتها «الخولى» وهى الصحيحة وتلك تحريف (٧) المتطبب: متعاطى علم الطب

ابْنِ بَحْرٍ الْجَاحِظِ نَعُودُهُ وَقَدْ فُلِجَ (١) ، فَلَمَّا أَخَذْنَا مَجَالِسَنَا أَتَى رَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشِقٍّ مَائِلٍ وَلُعَابٍ سَائِلٍ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ لَهُ شِقَّانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ غُرِزَ بِالْمَسَالِّ مَا أَحَسَّ ، وَالشِّقُّ الْآخَرُ يَمُرُّ بِهِ الذُّبَابُ فَيُغَوِّثُ (٢) ، وَأَكْثَرُ مَا أَشْكُوهُ الثَّمَانُونَ (٣) .

حَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَذْوَةِ (٤) : قَرَأْتُ عَلَى الْأَمِينِ ابْنِ أَبِي عَلِيٍّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شُجَاعٍ الْمُتَكَلِّمُ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو النَّجِيرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَنْدَلُسِ فَقِيلَ لِي : إِنَّ هَاهُنَا تِلْمِيذًا لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ يُعْرَفُ بِسَلَّامِ بْنِ يَزِيدَ (٥) وَيُكْنَى أَبَا خَلَفٍ ، فَأَتَيْتُهُ فَرَأَيْتُ شَيْخًا هِمًّا (٦) فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ اجْتِمَاعِهِ مَعَ أَبِي عُثْمَانَ وَلَمْ يَقَعْ أَبُو عُثْمَانَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَقَالَ : كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ بِالْمَشْرِقِ يَشْرُفُ عِنْدَ مُلُوكِنَا بِلِقَاءِ أَبِي عُثْمَانَ ، فَوَقَعَ إِلَيْنَا كِتَابُ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ لَهُ

(١) فلج الرجل : بالبناء للمجهول : أصابه الفالج : وهو داء يحدث فى أحد شق البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته (٢) أى قال واغوثاه (٣) فى الأصل « الثمانين » وهو خطأ ظاهر (٤) بهامش الأصل « راجع الجزء ٨ من نشوار المحاضرة » (٥) فى الأصل « زيد » ولكن ذكر سلام عن نفسه أنه ابن يزيد فى الحديث بعد

(٦) لهم بالكسر : الشيخ الفانى

فَأَشَارُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ أَرْدَفَهُ عِنْدَنَا كِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ لَهُ فَبَلَغَ الرَّجُلَ الصُّكَاكَ (١) بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ لَا أُعَرِّجُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى قَصَدْتُ بَغْدَادَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هُوَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، فَأَصْعَدْتُ (٢) إِلَيْهَا فَقِيلَ لِي: قَدِ انْحَدَرَ (٣) إِلَى الْبَصْرَةِ، فَانْحَدَرْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُ عَنْ مَنْزِلِهِ فَأُرْشِدْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحَوَالَيْهِ عِشْرُونَ صَبِيًّا لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرُهُ، فَدَهِشْتُ فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ أَبُو عُثْمَانَ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ وَحَرَّكَهَا فِي وَجْهِي وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ قُلْتُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، فَقَالَ: طِينَةٌ حَمْقَاءُ (٤)، فَمَا الاِسْمُ؟ قُلْتُ سَلَّامٌ. قَالَ: اسْمُ كَلْبِ الْقَرَّادِ، ابْنُ مَنْ؟ قُلْتُ ابْنُ يَزِيدَ. قَالَ: بِحَقٍّ مَا صِرْتَ أَبُو مَنْ؟ قُلْتُ: أَبُو خَلَفٍ. قَالَ: كُنْيَةُ قِرْدِ زُبَيْدَةَ، مَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟ قُلْتُ: الْعِلْمَ. قَالَ: ارْجِعْ بِوَقْتٍ (٥) فَإِنَّكَ لَا تُفْلِحُ. قُلْتُ لَهُ مَا أَنْصَفْتَنِي، فَقَدِ اشْتَمَلْتَ عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعٍ: جَفَاءِ الْبَلَدِيَّةِ، وَبُعْدِ الشُّقَّةِ (٦)، وَغِرَّةِ الْحَدَاثَةِ (٧)، وَدَهْشَةِ الدَّاخِلِ. قَالَ: فَتَرَى حَوْلِي عِشْرِينَ صَبِيًّا لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرِي، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَنِي بِهَا؟ قَالَ: فَأَقَمْتُ

(١) الصكاك والسكاك: الهواء كناية عن علو قدره ورفعة شأنه
(٢) أصعدت: مضيت مرتفعاً (٣) انحدر: هبط ونزل (٤) أي لاتنبت ثمرا طيبا، والمعنى: أصل خبيث (٥) ارجع بوقت: أي حالا (٦) أي المسافة
(٧) أي الغفلة وقلة التجارب التي يتصف بها الصغير

عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً . وَهَذَا فِهْرِسْتُ كُتُبِ الْجَاحِظِ : كِتَابُ الْحَيَوَانِ وَهُوَ سَبْعَةُ أَجْزَاءٍ وَأَضَافَ إِلَيْهِ كِتَاباً آخَرَ سَمَّاهُ كِتَابَ النِّسَاءِ وَهُوَ الْفَرْقُ فِيمَا بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَكِتَاباً آخَرَ سَمَّاهُ : كِتَابَ النَّعْلِ . قَالَ ابْنُ النَّدِيمِ . وَرَأَيْتُ أَنَا هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ بِخَطِّ زَكَرِيَّاءَ بْنِ يَحْيَى - وَيُكْنَى أَبَا يَحْيَى - وَرَّاقِ الْجَاحِظِ ، وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ كِتَابٌ سَمَّوْهُ كِتَابَ الْإِبِلِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْجَاحِظِ وَلَا يُقَارِبُهُ ، وَكِتَابُ الْحَيَوَانِ أَلَّفَهُ بِاسْمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ.قَالَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ : قُلْتُ لِلْجَاحِظِ أَلَكَ بِالْبَصْرَةِ ضَيْعَةٌ ؟ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا وَجَارِيَةٌ ، وَجَارِيَةٌ تَخْدُمُهَا وَخَادِمٌ وَحِمَارٌ ، أَهْدَيْتُ كِتَابَ الْحَيَوَانِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَهْدَيْتُ كِتَابَ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ إِلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَهْدَيْتُ كِتَابَ الزَّرْعِ وَالنَّخْلِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعِي ضَيْعَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدٍ وَلَا تَسْمِيدٍ (١) ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ نُسْخَتَانِ : أُولَى وَثَانِيَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ أَصَحُّ وَأَجْوَدُ ، كِتَابُ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ ، كِتَابُ الْمَعْرِفَةِ

(١) التسميد : مصدر سمد الأرض : جعل فيها السماد . وهو السرقين برماد .

كِتَابُ جَوَابَاتِ كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ ، كِتَابُ مَسَائِلِ كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْإِلْهَامِ ، كِتَابُ نَظْمِ الْقُرْآنِ ثَلَاثُ نُسَخٍ ، كِتَابُ مَسَائِلِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ فَضِيلَةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ ، كِتَابُ الْإِمَامَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشِّيعَةِ ، كِتَابُ حِكَايَةِ قَوْلِ أَصْنَافِ الزَّيْدِيَّةِ ، كِتَابُ الْعُثْمَانِيَّةِ . كِتَابُ الْأَخْبَارِ وَكَيْفَ تَصِحُّ ؟ كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى ، كِتَابُ عِصَامِ الْمُرِيدِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْعُثْمَانِيَّةِ ، كِتَابُ إِمَامَةِ مُعَاوِيَةَ ، كِتَابُ إِمَامَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، كِتَابُ الْفِتْيَانِ ، كِتَابُ الْقُوَّادِ ، كِتَابُ اللُّصُوصِ ، كِتَابُ ذِكْرِ مَا بَيْنَ الزَّيْدِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ ، كِتَابُ صِيَاغَةِ الْكَلَامِ ، كِتَابُ الْمُخَاطَبَاتِ فِي التَّوْحِيدِ ، كِتَابُ تَصْوِيبِ عَلِيٍّ فِي تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ ، كِتَابُ وُجُوبِ الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْأَصْنَامِ ، كِتَابُ الْوُكَلَاءِ وَالْمُوَكِّلِينَ ، كِتَابُ الشَّارِبِ وَالْمَشْرُوبِ ، كِتَابُ افْتِخَارِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، كِتَابُ الْمُعَلِّمِينَ ، كِتَابُ الْجَوَارِي ، كِتَابُ نَوَادِرِ الْحَسَنِ ، كِتَابُ الْبُخَلَاءِ ، كِتَابُ الْفَخْرِ مَا بَيْنَ عَبْدِ شَمْسٍ وَمَخْزُومٍ ، كِتَابُ الْعُرْجَانِ وَالْبُرْصَانِ ، كِتَابُ فَخْرِ الْقَحْطَانِيَّةِ وَالْعَدْنَانِيَّةِ ، كِتَابُ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ ، كِتَابُ الطُّفَيْلِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ ، كِتَابُ الْفُتْيَا ، كِتَابُ مَنَاقِبِ جُنْدِ

الْخِلَافَةِ وَفَضَائِلِ الْأَتْرَاكِ ، كِتَابُ الْحَاسِدِ وَالْمَحْسُودِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ ، كِتَابُ الصُّرَحَاءِ وَالْهُجَنَاءِ ، كِتَابُ السُّودَانِ وَالْبِيضَانِ ، كِتَابُ الْمَعَادِ وَالْمَعَاشِ ، كِتَابَ النِّسَاءِ ، كِتَابُ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ السُّلْطَانِ وَأَخْلَاقِ أَهْلِهِ ، كِتَابُ الْوَعِيدِ ، كِتَابُ الْبُلْدَانِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ ، كِتَابُ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ فَرْضٌ ، كِتَابُ الِاسْتِطَاعَةِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ ، كِتَابُ الْمُقَيِّنِينَ (١) وَالْغِنَاءِ وَالصَّنْعَةِ ، كِتَابُ الْهَدَايَا مَنْحُولٌ ، كِتَابُ الْإِخْوَانِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَلْحَدَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كِتَابُ آيِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ النَّاشِي وَالْمُتَلَاشِي ، كِتَابُ حَانُوتِ عَطَّارٍ ، كِتَابُ التَّمْثِيلِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ ، كِتَابُ الْمُزَاحِ وَالْجِدِّ ، كِتَابُ جَمْهَرَةِ الْمُلُوكِ ، كِتَابُ الصَّوَالِجَةِ (٢) ، كِتَابُ ذَمِّ الزِّنَا ، كِتَابُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ ، كِتَابُ الْحَجْرِ وَالنُّبُوَّةِ ، كِتَابُ آلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ فِي الْمُكَاتَبَةِ ، كِتَابُ إِحَالَةِ الْقُدْرَةِ عَلَى الظُّلْمِ ، كِتَابُ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ ، كِتَابُ الِاعْتِزَالِ وَفَضْلِهِ عَنِ الْفَضِيلَةِ ، كِتَابُ الْأَخْطَارِ وَالْمَرَاتِبِ وَالصِّنَاعَاتِ ،

(١) يريد بالمقينين : مزيني القيان ، من قين الشيء زينه ، وأهم ما تزين به القينة أن تكون مغنية ألا ترى القاموس يقول « القينة الأمة المغنية أو أعم » ولا يقال إن « المقينين » محرفة عن المغنين لأن كتاب المغنين معدود بعد (٢) الصوالجة : جمع صولجان : المحجن والعصا المنعطفة الرأس

كِتَابُ أُحْدُوثَةِ الْعَالَمِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِنْسَانَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ ، كِتَابُ أَبِي النَّجْمِ وَجَوَابِهِ ، كِتَابُ التُّفَّاحِ ، كِتَابُ الْأُنْسِ وَالسَّلْوَةِ ، كِتَابُ الْكِبْرِ الْمُسْتَحْسَنِ وَالْمُسْتَقْبَحِ ، كِتَابُ نَقْضِ الطِّبِّ ، كِتَابُ الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ . كِتَابُ عَنَاصِرِ الْآدَابِ ، كِتَابُ تَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْفَرَسِ ، كِتَابٌ عَلَى الْهِمْلَاجِ (١) ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ إِلَى أَبِي الْفَرَجِ بْنِ نَجَاحٍ فِي امْتِحَانِ عُقُولِ الْأَوْلِيَاءِ ، كِتَابُ رِسَالَةِ أَبِي النَّجْمِ فِي الْخَرَاجِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْقَلَمِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي فَضْلِ اتِّخَاذِ الْكُتُبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ النَّبِيذِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ النَّبِيذِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي إِثْمِ السُّكْرِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْأَمَلِ وَالْمَأْمُولِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْحِلْيَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ الْكُتَّابِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ الْكُتَّابِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ الْوُرَّاقِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ الْوُرَّاقِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِيمَنْ يُسَمَّى مِنَ الشُّعَرَاءِ عَمْرًا ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ الْيَتِيمَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي فَرْطِ جَهْلِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْكَرَمِ إِلَى

(١) الهملاج بالكسر : الهملج من البراذين ، أى الذلول المنقاد .

أَبِي الْفَرَجِ بْنِ نَجَاحٍ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَوْتِ أَبِي حَرْبٍ الصَّفَّارِ الْبَصْرِيِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْمِيرَاثِ ، كِتَابٌ فِي الْأَسَدِ وَالذِّئْبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي كِتَابِ الْكِيمِيَاءِ ، كِتَابُ الِاسْتِبْدَادِ وَالْمُشَاوَرَةِ فِي الْحَرْبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْقُضَاةِ وَالْوُلَاةِ ، كِتَابُ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْبَاقِيَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَوْلِيَّةِ ، كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ ، كِتَابُ النَّرْدِ (١) وَالشِّطْرَنْجِ ، كِتَابُ غِشِّ الصِّنَاعَاتِ ، كِتَابُ خُصُومَةِ الْحُوْلِ وَالْعُوْرِ ، كِتَابُ ذَوِي الْعَاهَاتِ ، كِتَابُ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ أَخْلَاقِ الشُّطَّارِ (٢) .

وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ عَنْ خَالِهِ الْجَاحِظِ قَالَ : يَجِبُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ سَخِيًّا لَا يَبْلُغُ التَّبْذِيرَ ، شُجَاعًا لَا يَبْلُغُ الْهَوَجَ (٣) ، مُحْتَرِسًا لَا يَبْلُغُ الْجُبْنَ ، مَاضِيًا لَا يَبْلُغُ الْقِحَةَ (٤) ، قَوَّالًا لَا يَبْلُغُ الْهَذَرَ (٥) ، صَمُوتًا لَا يَبْلُغُ الْعِيَّ ، حَلِيمًا لَا يَبْلُغُ الذُّلَّ ،

---

(١) النرد : لعبة معروفة « الطاولة » وهي فارسية معربة . والشطرنج : بكسر أوله ولا يفتح : لعبة مشهورة ، والسين لغة فيه . وهو معرب شترنك بالفارسية . أى ستة ألوان ، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التى يلعب بها ولكل قطعة اسم وشكل واتجاه — وهو من مخترعات الفرس — وقيل . اخترعه رجل من حكماء الهند وقدمه إلى ملكهم بلبيب ، ومن هناك تناولته الفرس (٢) الشطار جمع شاطر : من أعيا أهله خبثا ، والعامة تستعمله فى التنبيه الماضى فى أموره (٣) الهوج : الحمق والطيش والتسرع (٤) القحة : بكسر القاف وفتحها : قلة الحياء (٥) الهذر : مصدر هذر كلامه : كثر فى الخطأ والباطل

مُنْتَصِراً لَا يَبْلُغُ الظُّلْمَ ، وَقُوراً لَا يَبْلُغُ الْبَلَادَةَ ، نَاقِداً لَا يَبْلُغُ الطَّيْشَ (١) ، ثُمَّ وَجَدْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَمَعَ ذَلِكَ فِى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِىَ قَوْلُهُ : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ». فَعَلِمْنَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُوتِىَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ (٢) ، وَعُلِّمَ فَصْلَ الْخِطَابِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْبَلَخِيُّ : مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْجَاحِظُ : عَقْلُ الْمُنْشِىءِ مَشْغُولٌ ، وَعَقْلُ الْمُتَصَفِّحِ فَارِغٌ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِىُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ الْمُبَرِّدِ: سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ لِرَجُلٍ آذَاهُ : أَنْتَ وَاللهِ أَحْوَجُ إِلَى هَوَانٍ مِنْ كَرِيمٍ إِلَى إِكْرَامٍ ، وَمِنْ عِلْمٍ إِلَى عَمَلٍ ، وَمِنْ قُدْرَةٍ إِلَى عَفْوٍ ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى شُكْرٍ .

وَقَالَ الْجَاحِظُ فِى أَبِى الْفَرَجِ نَجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ يَسْأَلُهُ إِطْلَاقَ رِزْقِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَقَامَ بِدَارِ الْخَفْضِ رَاضٍ بِخَفْضِهِ
وَذُو الْحَزْمِ يَسْرِى حِينَ لَا أَحَدٌ يَسْرِى
يَظُنُّ الرِّضَا (٣) شَيْئاً يَسِيراً مُهَوَّناً
وَدُونَ الرِّضَى كَأْسٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

---

(١) الطيش . الخفة والنزق (٢) جوامع الكلم . ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه
(٣) أى الحصول على ما يرضى به الانسان

سَوَاءٌ عَلَى الأَيَّامِ صَاحِبُ حُنْكَةٍ(١)
وَآخَرُ كَابٍ(٢) لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي
خَضَعْتُ لِبَعْضِ القَوْمِ أَرْجُو نَوَالَهُ
وَقَدْ كُنْتُ لَا أُعْطِي الدَّنِيَّةَ بِالقَسْرِ(٣)
فَلَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ يَبْذُلُ بِشْرَهُ
وَيَجْعَلُ حُسْنَ البِشْرِ وَاقِيَةَ الوَفْرِ(٤)
رَبَعْتُ عَلَى ظَلْعِي(٥) وَرَاجَعْتُ مَنْزِلِي
فَصِرْتُ حَلِيفًا لِلدِّرَاسَةِ وَالفِكْرِ
وَشَاوَرْتُ إِخْوَانِي فَقَالَ حَلِيمُهُمْ:
عَلَيْكَ الفَتَى المُرِّيَّ ذَا الخُلُقِ الغَمْرِ(٦)
أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِ شَامِتٍ:
أَبُو الفَرَجِ المَأْمُولُ يَزْهَدُ فِي عَمْرِو
وَلَوْ كَانَ فِيهِ رَاغِبًا لَرَأَيْتَهُ
كَمَا كَانَ دَهْرًا فِي الرَّخَاءِ وَفِي اليُسْرِ

---

(١) الحنكة: اسم من حنكت السن الرجل حنكا: أحكمته التجارب والأمور
(٢) كاب: اسم فاعل من كبا يكبو كبواً وكبوا: انكب على وجهه فلم يرش ولم يبر
(٣) الدنية: الشيء الحقير، والقسر: الاكراه على الامر (٤) الوفر: الغنى والمال الكثير: يصف بعض القوم بأنه يبذل البشر ويحسن اللقاء ويتخذ من ذلك ذريعة للمنع ووقاية المال. (٥) يقال للرجل: اربع على ظلعك: أي إنك ضعيف فانته عما لا تطيقه، وكانت «ظلعي» في الأصل: «ضلعي».
(٦) الغمر: الواسع

أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ
وَذُو الْوُدِّ مَنْخُوبُ الْفُؤَادِ مِنَ الذُّعْرِ (١)

فَإِنْ تَرْعَ وُدِّى بِالقَبُولِ فَأَهْلُهُ
وَلَا يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ غَيْرُ ذَوِى الْقَدْرِ

وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرِّعِ قَالَ : وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِى السَّنَةِ الَّتِى قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاحِظُ مِنَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِامْرِىءٍ لَيْسَ بِطَائِلٍ ، ذِى شِقٍّ مَائِلٍ ، وَلُعَابٍ سَائِلٍ ، وَفَرْجٍ بَائِلٍ ، وَعَقْلٍ حَائِلٍ (٢) ؟؟

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْجَاحِظِ فِى آخِرِ أَيَّامِهِ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ مَنْ نِصْفُهُ مَفْلُوجٌ لَوْ حُزَّ بِالْمَنَاشِيرِ مَا شَعَرَ بِهِ ، وَنِصْفُهُ الْآخَرُ مُنْقَرِسٌ (٣) لَوْ طَارَ الذُّبَابُ بِقُرْبِهِ لَآلَمَهُ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً أَنَا فِيهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا :

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ
كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ ؟

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ دَرِيسٌ (٤) كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ

(١) يريد فارغ القلب من أجل الخوف ، كأنه الشىء الذى نخب لبه فصار أجوف
(٢) أى متغير (٣) منقرس : مصاب بالنقرس . وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين ، وفى إبهامهما أكثر (٤) أى بال

وَقَالَ لِمُتَطَبِّبٍ يَشْكُو إِلَيْهِ عِلَّتَهُ: اصْطَلَحَتِ الْأَضْدَادُ عَلَى جَسَدِي، إِنْ أَكَلْتُ بَارِداً أَخَذَ بِرِجْلِي، وَإِنْ أَكَلْتُ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي.

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي الْمُعْتَزُّ بِاللهِ: يَا يَزِيدُ، وَرَدَ الْخَبَرُ بِمَوْتِ الْجَاحِظِ، فَقُلْتُ: لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ طُولُ الْبَقَاءِ وَدَوَامُ النَّعْمَاءِ. قَالَ: وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو شُرَاعَةَ الْقَيْسِيُّ:

فِي الْعِلْمِ لِلْعُلَمَاءِ إِنْ ... يَتَفَهَّمُوهُ مَوَاعِظُ
وَإِذَا نَسِيتَ وَقَدْ جَمَعْتَ عَلَا عَلَيْكَ الْحَافِظُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّرْفَ دَهْراً مَا حَوَاهُ[(١)] اللَّافِظُ
حَتَّى أَقَامَ طَرِيقَهُ ... عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ
ثُمَّ انْقَضَى أَمَدٌ بِهِ ... وَهُوَ الرَّئِيسُ الْفَائِظُ[(٢)]

١٣ – عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ *

أَبُو بِشْرٍ، وَيُقَالُ أَبُو الْحَسَنِ وَأَبُو بِشْرٍ أَشْهَرُ، مَوْلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ مَوْلَى آلِ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِيِّ، وَسِيبَوَيْهِ لَقَبٌ وَمَعْنَاهُ رَائِحَةُ التُّفَّاحِ. يُقَالُ: كَانَتْ أُمُّهُ

سيبويه النحوي

(١) أى لم يحوه أىّ لافظ بالكلام (٢) الفائظ : الميت

(*) ترجم له فى كتاب نزهة الألباء فى طبقات الأطباء، وترجم له أيضاً فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول، وترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم

تُرَقِّصُهُ بِذَلِكَ فِى صِغَرِهِ . وَرَأَيْتُ ابْنَ خَالَوَيْهِ قَدِ اشْتَقَّ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ : كَانَ سِيبَوَيْهِ لَا يَزَالُ مَنْ يَلْقَاهُ يَشُمُّ مِنْهُ رَائِحَةَ الطِّيبِ فَسُمِّىَ سِيبَوَيْهِ، وَمَعْنَى سِى : ثَلَاثُونَ، وَبُوَى : الرَّائِحَةُ. فَكَأَنَّهُ رَأَى ثَلَاثِينَ رَائِحَةَ طِيبٍ ، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا قَالَ ذَلِكَ غَيْرَ ابْنِ خَالَوَيْهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ وَمَنْشَؤُهُ الْبَصْرَةُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ نَافِعٍ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِىُّ : مَاتَ بِشِيرَازَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أَنَّ عُمُرَهُ كَانَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَيُقَالُ : إِنَّهُ نَيَّفَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَوَى عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، فَمِنْ وَفَاةِ عِيسَى إِلَى وَفَاةِ سِيبَوَيْهِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَا يَكُونُ قَدْ أَخَذَ عَنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَعْقِلُ ، وَلَا يَعْقِلُ حَتَّى يَكُونَ بَالِغًا وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ فِى أَمَالِيهِ : قَدِمَ سِيبَوَيْهِ الْعِرَاقَ فِى أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَهُوَ ابْنُ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَتُوُفِّىَ وَعُمُرُهُ نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً بِفَارِسَ . قَالَ الْأَصْمَعِىُّ : قَرَأْتُ عَلَى قَبْرِ سِيبَوَيْهِ بِشِيرَازَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِىَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ يَزِيدَ الْعَدَوِىِّ :

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ
وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا[١]

تَرَكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ
لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةً[٢] لَمْ يَدْفَعُوا

قُضِيَ الْقَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ
عَنْكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا[٣]

وَأَخَذَ سِيبَوَيْهِ النَّحْوَ وَالْأَدَبَ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَيُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ ، وَأَبِي الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ ، وَعِيسَى بْنِ عُمَرَ. نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ مِمَّا انْتَخَبَهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ فَارِسَ وَشِيرَازَ تَأْلِيفِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّيرَازِيِّ الْقَصَّارِ[٤] : بَشِيرُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَقِيلَ : عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ابْنِ قَنْبَرٍ يُكْنَى أَبَا بِشْرٍ ، « سِيبَوَيْهِ النَّحْوِيُّ » عَنِ الْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ ، وَهُوَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، مَاتَ وَكَانَ عَلَى مَظَالِمِ فَارِسَ وَقَبْرُهُ فِي شِيرَازَ . لَمْ يَزِدْ فِي تَرْجَمَتِهِ عَلَى هَذَا ، وَوَرَدَ بَغْدَادَ وَنَاظَرَ بِهَا الْكِسَائِيَّ وَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ ، وَجَعَلُوا لِلْعَرَبِ جُعْلًا ، حَتَّى وَافَقُوهُ عَلَى خِلَافِهِ ، وَلِذَلِكَ قِصَّةٌ ذُكِرَتْ فِيمَا بَعْدُ ، وَكَانَ

(١) نأى المزار : بعد مكان الزيارة ، وأقشعوا : تفرقوا (٢) القفرة والقفر : الخلاء من الأرض ، والكربة : الحزن يأخذ بالنفس (٣) أى تفرقوا
(٤) القصار : محور الثياب ومبيضها ، وحرفته القصارة .

سَبَبُ طَلَبِ سِيبَوَيْهِ النَّحْوَ مَاذَكَرْنَاهُ فِي أَخْبَارِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

وَحَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ سِيبَوَيْهِ قِيلَ لِيُونُسَ أُبْنِ حَبِيبٍ : إِنَّ سِيبَوَيْهِ قَدْ أَلَّفَ كِتَاباً فِي أَلْفِ وَرَقَةٍ مِنْ عِلْمِ الْخَلِيلِ . قَالَ يُونُسُ : وَمَتَى سَمِعَ سِيبَوَيْهِ هَذَا كُلَّهُ مِنَ الْخَلِيلِ ؟ جِيئُونِي بِكِتَابِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ رَأَى كُلَّ مَا حَكَى فَقَالَ : يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ صَدَقَ عَنِ الْخَلِيلِ فِي جَمِيعِ مَاحَكَاهُ كَمَا صَدَقَ فِيمَا حَكَاهُ عَنِّي . وَذَكَرَ صَاعِدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَيَّانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كِتَابِهِ قَالَ : لَا أَعْرِفُ كِتَاباً أُلِّفَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ الْعِلْمِ ، وَأَحَاطَ بِأَجْزَاءِ ذَلِكَ الْفَنِّ غَيْرَ ثَلَاثَةِ كُتُبٍ ، أَحَدُهَا الْمِجَسْطِيُّ لِبَطْلَيْمُوسَ فِي عِلْمِ هَيْئَةِ الْأَفْلَاكِ ، وَالثَّانِي كِتَابُ أَرِسْطَطَالِيسَ فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، وَالثَّالِثُ كِتَابُ سِيبَوَيْهِ الْبَصْرِيِّ النَّحْوِيِّ ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ لَمْ يَشِذَّ عَنْهُ مِنْ أُصُولِ فَنِّهِ شَيْءٌ إِلَّا مَالَاخَطَرَ (١) لَهُ .

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ قِرَاءَةَ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ عَلَى الْمُبَرِّدِ يَقُولُ لَهُ : أَرَكِبْتَ الْبَحْرَ ؟ تَعْظِيماً وَاسْتِصْعَاباً .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ قَالَ : كَانَ سِيبَوَيْهِ جَالِساً فِي

---

(١) أي ما لا قدر له ولا شأن

حَلْقَتِهِ بِالْبَصْرَةِ فَتَذَاكَرْنَا شَيْئاً مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ فَذَكَرَ حَدِيثاً غَرِيباً وَقَالَ : لَمْ يَرْوِ هَذَا إِلَّا سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْعَرُوبَةِ. فَقَالَ بَعْضُ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ : مَا هَاتَانِ الزَّائِدَتَانِ يَا أَبَا بِشْرٍ ؟ فَقَالَ هَكَذَا يُقَالُ ، لِأَنَّ الْعَرُوبَةَ هِيَ الْجُمُعَةُ ، وَمَنْ قَالَ ابْنُ عَرُوبَةَ فَقَدْ أَخْطَأَ . قَالَ ابْنُ سَلَّامٍ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِيُونُسَ فَقَالَ : أَصَابَ لِلَّهِ دَرُّهُ (١) .

وَحَدَّثَ ابْنُ النَّطَّاحِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ فَأَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقَالَ الْخَلِيلُ مَرْحَباً بِزَائِرٍ لَا يُمَلُّ ، قَالَ : وَكَانَ كَثِيرَ الْمُجَالَسَةِ لِلْخَلِيلِ ، وَمَا سَمِعْتُ الْخَلِيلَ يَقُولُهَا لِغَيْرِهِ ، قَالَ : وَكَانَ شَابًّا جَمِيلاً نَظِيفاً .

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ الْعَلِيمِيُّ قَالَ : ذُكِرَ سِيبَوَيْهِ عِنْدَ أَبِي فَقَالَ : عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ قَدْ رَأَيْتُهُ وَكَانَ حَدَثَ السِّنِّ ، كُنْتُ أَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَنَّهُ أَثْبَتُ مَنْ حَمَلَ عَنِ الْخَلِيلِ ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ وَيُنَاظِرُ فِي النَّحْوِ وَكَانَتْ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةٌ (٢) ، وَنَظَرْتُ فِي كِتَابِهِ فَرَأَيْتُ عِلْمَهُ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ وَالْمُبَرِّدُ وَثَعْلَبٌ وَجَمَعْتُ بَيْنَ أَقَاوِيلِهِمْ وَحَذَفْتُ التَّكْرَارَ قَالُوا :

---

(١) لله دره : كلمة تقال فى التعجب ، والدر : اللبن ، أى لله لبن غذاه فنشأه

(٢) الحبسة بالفم ، تعذر الكلام عند إرادته

قَدِمَ سِيبَوَيْهِ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى يَحْيَ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ فَقَالَ: جِئْتُ لِتَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِسَائِيِّ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ شَيْخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَقَارِئُهَا، وَمُؤَدِّبُ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلُّ مَنْ فِي الْمِصْرِ لَهُ وَمَعَهُ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَعَرَفَ الرَّشِيدَ خَبَرَهُ، فَأَمَرَهُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فَوَعَدَهُ بِيَوْمٍ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ غَدَا سِيبَوَيْهِ وَحْدَهُ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ، فَوَجَدَ الْفَرَّاءَ وَالْأَحْمَرَ وَهِشَامَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ سَعْدَانَ قَدْ سَبَقُوهُ، فَسَأَلَهُ الْأَحْمَرُ عَنْ مِائَةِ مَسْأَلَةٍ فَمَا أَجَابَهُ عَنْهَا بِجَوَابٍ إِلَّا قَالَ أَخْطَأْتَ يَا بَصْرِيُّ، فَوَجَمَ[1] سِيبَوَيْهِ وَقَالَ: هَذَا سُوءُ أَدَبٍ، وَوَافَى الْكِسَائِيُّ وَقَدْ شَقَّ أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ: يَا بَصْرِيُّ، كَيْفَ تَقُولُ: خَرَجْتُ وَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ؟ قَالَ: خَرَجْتُ وَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ، قَالَ: فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَائِمًا قَالَ لَا، قَالَ الْكِسَائِيُّ: فَكَيْفَ تَقُولُ قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ، فَإِذَا هُوَ هِيَ، أَوْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا؟ فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: فَإِذَا هُوَ هِيَ، وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ. فَقَالَ الْكِسَائِيُّ: لَحَنْتَ، وَخَطَّأَهُ الْجَمِيعُ. وَقَالَ

(١) وجم وجوماً: سكت على غيظ

الْكِسَائِيُّ: الْعَرَبُ تَرْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَتَنْصِبُهُ، وَدَفَعَ[(١)] سِيبَوَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: قَدِ اخْتَلَفْتُمَا وَأَنْتُمَا رَئِيسَا بَلَدَيْكُمَا، فَمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمَا وَهَذَا مَوْضِعٌ مُشْكِلٌ؟. فَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هَذِهِ الْعَرَبُ بِبَابِكَ، قَدْ جَمَعْتَهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَوَفَدَتْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ، وَهُمْ فُصَحَاءُ النَّاسِ وَقَدْ قَنِعَ بِهِمْ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ مِنْهُمْ فَيُحْضَرُونَ وَيُسْأَلُونَ، فَقَالَ يَحْيَى وَجَعْفَرٌ: قَدْ أَنْصَفْتَ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ فَدَخَلُوا وَفِيهِمْ أَبُو فَقْعَسٍ، وَأَبُو دِثَارٍ، وَأَبُو ثَرْوَانَ، فَسُئِلُوا عَنِ الْمَسَائِلِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُمَا فَتَابَعُوا الْكِسَائِيَّ، فَأَقْبَلَ يَحْيَى عَلَى سِيبَوَيْهِ فَقَالَ: قَدْ تَسْمَعُ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ فَانْصَرَفَ الْمَجْلِسُ عَلَى سِيبَوَيْهِ[(٢)]، وَأَعْطَاهُ يَحْيَى عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَصَرَفَهُ، فَخَرَجَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ تِلْقَاءَ فَارِسَ، وَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ غَمًّا بِالذَّرَبِ[(٣)]، وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيراً وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَصْرَةِ.

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ: وَأَصْحَابُ سِيبَوَيْهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْجَوَابَ كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ، وَهُوَ فَإِذَا هُوَ هِيَ، أَيْ فَإِذَا هُوَ مِثْلُهَا، وَهَذَا مَوْضِعُ رَفْعٍ

---

(١) أى رده (٢) أى حاكما بغلبة الكسائى عليه (٣) الذرب كالذرابة والذروبة: فساد المعدة وصلاحها ضد، والمرض الذى لا يبرأ

وَلَيْسَ بِمَوْضِعِ نَصْبٍ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَنْتَ تَقُولُ: خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ وَقَائِمًا فَتَنْصِبُ قَائِمًا، فَلِمَ لَمْ يَجُزْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا؟ لِأَنَّ إِيَّا لِلْمَنْصُوبِ وَهِيَ لِلْمَرْفُوعِ؟ وَالْجَوَابُ فِي هَذَا أَنَّ قَائِمًا انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ وَهُوَ نَكِرَةٌ، وَإِيَّا مَعَ مَا بَعْدَهَا مِمَّا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ مَعْرِفَةٌ، وَالْحَالُ لَا تَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً فَبَطَلَ إِيَّاهَا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هِيَ وَهُوَ خَبَرُ الِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُ الِابْتِدَاءِ يَكُونُ مَعْرِفَةً وَنَكِرَةً، وَالْحَالُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً، فَكَيْفَ تَقَعُ إِيَّاهَا وَهِيَ مَعْرِفَةٌ فِي مَوْضِعِ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً؟ وَهَذَا مَوْضِعُ الرَّفْعِ. وَقَدْ قَالَ أَصْحَابُ سِيبَوَيْهِ: الْأَعْرَابُ الَّذِينَ شَهِدُوا لِلْكِسَائِيِّ مِنْ أَعْرَابِ الْحُطَمِيَّةِ [1] الَّذِينَ كَانَ الْكِسَائِيُّ يَقُومُ بِهِمْ وَيَأْخُذُ عَنْهُمْ.

وَلَمَّا مَرِضَ سِيبَوَيْهِ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ:

يُؤَمِّلُ دُنْيَا لِتَبْقَى لَهُ فَمَاتَ الْمُؤَمِّلُ قَبْلَ الْأَمَلْ
حَثِيثًا يُرَوِّى أُصُولَ النَّخِيلِ فَعَاشَ الْفَسِيلُ [2] وَمَاتَ الرَّجُلْ

(١) قرية على فرسخ من بغداد منسوبة إلى السرى بن الحطم أحد القواد، فى الأصل «الحطمة» لحرفة. (٢) حثيثاً: مسرعا، والفسيل: النخل الصغير يقطع من أمه فيغرس، وكل عود يقطع من شجرته فيغرس واحده فسيلة

قالُوا : ولَمَّا اعتلَّ سيبويْهِ وَضَعَ رأسَهُ فى حِجْرِ أخيهِ فبكى أخوهُ لمَّا رآهُ لِما بهِ ، فقطرتْ منْ عينِهِ قطرةٌ على وجْهِ سيبويْهِ ففتحَ عينَهُ فرآهُ يبْكِى فقالَ :

أُخَيَّيْنِ (١) كُنَّا فرَّقَ الدَّهْرُ بيْننَا

إلى الأمَدِ الأقْصَى، ومَنْ يأمنُ الدَّهْرَا ؟

وحدَّثَ أبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِىُّ عنْ أبِى عُمَرَ الزَّاهِدِ قالَ : قالَ ثَعلبٌ يوْماً فى مَجْلسِهِ : مَاتَ الفرَّاءُ وتحْتَ رأْسِهِ كِتابُ سيبويْهِ فعارَضَهُ أبو مُوسَى الحَامِضُ بمَا قدْ كتبْناهُ فى أخبارِهِ .

وحدَّثَ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الملِكِ التَّارِيخِىُّ فيما رواهُ عنْ ثعلبٍ عنْ مُحمَّدِ بنِ سَلَّامٍ قالَ : حدَّثنِى الأخْفَشُ أنَّهُ قرأَ كتابَ سِيبويْهِ علَى الكِسائِىِّ فى جُمْعةٍ فوَهبَ لهُ سبْعينَ دِينارًا . قالَ : وكانَ الكِسائِىُّ يقُولُ لِى : هَذا الحَرْفُ لمْ أسْمعْهُ فاكْتبْهُ لِى فأفعَلُ . قالَ: وكَانَ الأخْفَشُ يؤدِّبُ ولَدَ الكِسائِىِّ .

قالَ التَّارِيخِىُّ : فكَأنَّ الجاحِظَ سَمِعَ هذا الخَبَرَ فقالَ ممَّا يُعَدِّدُهُ منْ فَخْرِ أَهلِ البَصْرةِ علَى أهلِ الكُوفةِ : وهؤُلاءِ يأتُونَكُمْ بِفُلانٍ وفُلانٍ وبِسيبويْهِ الَّذى اعْتمَدْتُمْ علَى كُتُبِهِ

(١) مثنى مصغر أخ ، والأمد الأقصى : الأبعد ، والمراد إلى قيام الساعة

وَجدتُمْ فَضْلَهُ . وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ أيضاً وَهارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ ، قَالَ هَارُونُ : دَخَلَ الْجَاحِظُ عَلَى أَبِي وَقَدِ افْتُصِدَ (١) فَقَالَ لَهُ : ـ أَدَامَ اللهُ صِحَّتَكَ ـ ، وَوَصَلَ غِبْطَتَكَ ، وَلَا سَلَبَكَ نِعْمَتَكَ . قَالَ : مَا أَهْدَيْتَ لِي يَا أَبَا عُثْمَانَ ؟ قَالَ : أَطْرَفَ شَيْءٍ ، كِتَابَ سِيبَوَيْهِ بِخَطِّ الْكِسَائِيِّ وَعَرْضِ الْفَرَّاءِ (٢) .
وَقَالَ التَّارِيخِيُّ : قَالَ الْجَاحِظُ : أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَفَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ أُهْدِيهِ لَهُ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَشْرَفَ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَرَدْتُ أَنْ أُهْدِيَ لَكَ شَيْئاً فَفَكَّرْتُ فَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ ، فَلَمْ أَرَ أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَهَذَا كِتَابٌ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ مِيرَاثِ الْفَرَّاءِ قَالَ : وَاللهِ مَا أَهْدَيْتَ إِلَيَّ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ .

وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ عَنِ الْمُبَرِّدِ عَنِ الزُّرَارِيِّ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِسَمَّاكٍ بِالْبَصْرَةِ : بِكَمْ هَذِهِ السَّمَكَةُ ؟ قَالَ : « بِدِرْهَمَانِ » : فَضَحِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ السَّمَّاكُ : وَيْلَكَ أَنْتَ أَحْمَقُ ، سَمِعْتُ سِيبَوَيْهِ يَقُولُ : ثَمَنُهَا دِرْهَمَانِ .

وَحَدَّثَ عَنِ الْمُبَرِّدِ عَنِ الْمَازِنِيِّ عَنِ الْجَرْمِيِّ قَالَ : فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ بَيْتاً سَأَلْتُ عَنْهَا فَعُرِفَ أَلْفٌ وَلَمْ

---

(١) افتصد : مجهول افتصد له العرق : شقه مداواة (٢) أى مقابلته

تُعْرَفُ خمسون. وَحُدِّثتُ عَنِ النَّظَّامِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى سِيبَوَيْهِ فى مَرَضِهِ فقَالَ لَهُ: كيفَ تجدُكَ يا أَبا بِشْرٍ؟ قَالَ: أَجِدُنى تَرْحَلُ الْعَافِيَةُ عَنِّى بِانتِقَالٍ، وَأَجِدُ الدَّاءَ يُخَامِرُنِى بِحُلُولٍ، غَيْرَ أَنِّى وَجَدْتُ الرَّاحَةَ مُنْذُ الْبَارِحَةِ. قُلْتُ: فَمَا تَشْتَهِى؟ قَالَ: أَشْتَهِى أَنْ أَشْتَهِىَ[1]. فَلَمَّا كَانَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ دَخَلْتُ إِلَيْهِ وَأَخُوهُ يَبْكِى وَقَدْ قَطَرَتْ مِنْ دُمُوعِهِ قَطْرَةٌ عَلَى خَدِّهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ:

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقًى
إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِى هُوَ قَاتِلُهْ

قَالَ النَّظَّامُ: ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ. وَحَدَّثَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِىُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الأَصْمَعِىِّ فِى مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبَرِهِ ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ سَنَةٍ مَضَتْ مِنْ عُمْرِكَ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِى، وَلَكِنِّى أُحَدِّثُكَ: كُنْتُ شَابًّا مُقْتَبَلًا[2]، فَتَزَوَّجْتُ فَوُلِدَ لِى وَوُلِدَ لِأَوْلَادِى وَأَنَا حَىٌّ ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا
وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا
فَهِىَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(١) يرجو أن يعود إليه قدر من الصحة يجعله يشتهى الأشياء

(٢) يقال رجل مقتبل الشباب بالفتح: لم يظهر فيه أثر كبر

فَقُلْتُ لَهُ : فِى نَفْسِى شَىْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ . قَالَ : سَلْ . فَقُلْتُ : حَدِّثْنِى بِمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِيبَوَيْهِ مِنَ الْمُنَاظَرَةِ . فَقَالَ : وَاللهِ لَوْلَا أَنِّى لَا أَرْجُو الْحَيَاةَ مِنْ مَرَضِى هَذِهِ مَا حَدَّثْتُكَ ، إِنَّهُ عُرِضَ عَلَىَّ شَىْءٌ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِى وَضَعَهَا سِيبَوَيْهِ فِى كِتَابِهِ فَفَسَّرْتُهَا عَلَى خِلَافِ مَا فَسَّرَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سِيبَوَيْهِ فَبَلَغَنِى أَنَّهُ قَالَ : لَا نَاظَرْتُهُ إِلَّا فِى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَصَلَّيْتُ يَوْمًا فِى الْجَامِعِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَتَلَقَّانِى فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ لِى : اجْلِسْ يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَا الَّذِى أَنْكَرْتَ مِنْ بَيْتِ كَذَا وَبَيْتِ كَذَا ؟ وَلِمَ فَسَّرْتَ عَلَى خِلَافِ مَا يَجِبُ ؟ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا فَسَّرْتُ إِلَّا عَلَى مَا يَجِبُ ، وَالَّذِى فَسَّرْتَهُ أَنْتَ وَوَضَعْتَهُ خَطَأٌ ، تَسْأَلُنِى وَأُجِيبُ . وَرَفَعْتُ صَوْتِى فَسَمِعَ الْعَامَّةُ فَصَاحَتِى ، وَنَظَرُوا إِلَى لُكْنَتِهِ (١) فَقَالُوا : لَوْ غَلَبَ الْأَصْمَعِىُّ سِيبَوَيْهِ ، فَسَرَّنِى ذَلِكَ ، فَقَالَ لِى : إِذَا عَلِمْتَ أَنْتَ يَا أَصْمَعِىُّ مَا نَزَلَ بِكَ مِنِّى لَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ ، وَنَفَضَ يَدَهُ فِى وَجْهِى وَمَضَى . ثُمَّ قَالَ الْأَصْمَعِىُّ : يَا بُنَىَّ ، فَوَاللهِ لَقَدْ نَزَلَ بِى مِنْهُ شَىْءٌ وَدِدْتُ أَنِّى لَمْ أَتَكَلَّمْ فِى شَىْءٍ مِنَ الْعِلْمِ .

وَعَنْ أَبِى عُثْمَانَ الْمَازِنِىِّ قَالَ : حَدَّثَنِى الْأَخْفَشُ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْخَلِيلِ فَجَاءَهُ سِيبَوَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ

(١) يقال فلان ألكن : لايقيم العربية لعجمة فى لسانه

وَفسَّرَهَا لَهُ الْخَلِيلُ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَا ، فَقُمْتُ وجَلَسْتُ لَهُ فِى الطَّرِيقِ فقلْتُ لَهُ : جَعَلَنِى اللهُ فِدَاءَكَ ، سَأَلْتَ الْخَلِيلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا رَدَّ عَلَيْكَ ففهّمْنِيهِ ، فَأَخْبَرَنِى بِهَا فَلَمْ تَقَعْ لِى وَلَا فهِمْتُهَا فقلْتُ لَهُ : لَا تَتَوَهَّمْ أَنِّى أَسْأَلُكَ إِعْنَاتًا فَإِنِّى لَمْ أَفْهَمْهَا وَلَمْ تَقَعْ لِى. فَقَالَ لِى : وَيْلَكَ ، وَمَتَى توَهّمْتَ أَنِّى أَتَوَهَّمُ أَنَّكَ تُعْنِتُنِى(١) ، ثُمَّ زَجَرَنِى وَتَرَكَنِى وَمَضَى .

وَحَدَّثَ الْمَازِنِىُّ قَالَ : قَالَ الْأَخْفَشُ : كُنْتُ عِنْدَ يُونُسَ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ . قَالَ : فَجَاءَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : كَيْفَ تَقُولُ مَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينِ ، فَقَالَ: جَائِزٌ أَنْ أَجُرَّهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْهَاءِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : فَمَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينُ عَلَى مَعْنَى : الْمِسْكِينُ مَرَرْتُ بِهِ ، فَقَالَ : هَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ الْمُضْمَرَ قَبْلَ الظَّاهِرِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْخَلِيلَ أَجَازَ ذَلِكَ وَأَنْشَدَ فِيهَا أَبْيَاتًا فَقَالَ : هُوَ خَطَأٌ فَغَمَّنِى ذَلِكَ(٢) . قَالَ فَمَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينَ ، فَقَالَ جَائِزٌ ، فَقَالَ: عَلَى أَىِّ شَيْءٍ يَنْتَصِبُ ؟ فَقَالَ : عَلَى الْحَالِ . فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : أَلَيْسَ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِى أَنَّ الْحَالَ لَا تَكُونُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ؟ فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ . ثُمَّ قَالَ

(١) أعنته إعناتا : ألزمه ما يصعب عليه أداؤه . (٢) الواقع أن الرفع جائز ، فان من مواضع حذف المبتدإ وجوبا دلالة الخبر على مدح أو ذم أو ترحم ، فيكون المسكين من هذا القبيل ، فهو مرفوع على أنه خبر بتقدير هو

لِسِيبَوَيْهِ : فَمَا قَالَ صَاحِبُكَ فِيهِ ؟ يَعْنِي الْخَلِيلَ ، فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : قَالَ لِي : إِنَّهُ يَنْصَبُ عَلَى التَّرَحُّمِ (١) ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هٰذَا وَرَأَيْتُهُ مَغْمُوماً بِقَوْلِهِ : نَصَبْتُهُ عَلَى الْحَالِ .

﴿ ١٤ – عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صُولِ بْنِ صُولٍ * ﴾

عمرو بن مسعدة الصولى

الصُّولِيُّ ، كُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ ، مِنْ جِلَّةِ كُتَّابِ الْمَأْمُونِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَرَاعَةِ وَالشِّعْرِ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ الْجَهْشِيَارِيُّ : أَنَّ مَسْعَدَةَ كَانَ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ لِخَالِدٍ وَكَانَ بَلِيغاً كَاتِباً ، مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ . وَكَانَ مَسْعَدَةُ مِنْ كُتَّابِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَهُ لِأَبِي أَيُّوبَ وَزِيرِ الْمَنْصُورِ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ .

قَالَ الصُّولِيُّ : قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : كَانَ لِمَسْعَدَةَ أَرْبَعَةُ بَنِينَ : مُجَاشِعٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلِمْتَ يَا مُجَاشِعُ بْنَ مَسْعَدَهْ ... أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ
مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيَّ مَفْسَدَهْ

(١) يريد بالترحم الاشارة إلى قاعدة وهي : أن النصب المقطوع ينصب بفعل محذوف تقديره أترحم ، كما أن مثل هذا الفم على أنه خبر لمبتدإ محذوف ، وكانت هذه الكلمة فى الأصل : « الترخيم »

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

وَمَسْعُودٌ، وَعَمْرٌو، وَمُحَمَّدٌ. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ يَوْمًا لِكُتَّابِهِ: اُكْتُبُوا لِي تَعْظِيمَ الْإِسْلَامِ؛ قَالَ: فَبَدَرَ[1] مَسْعَدَةُ فَكَتَبَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَظَّمَ الْإِسْلَامَ وَاخْتَارَهُ، وَأَوْضَحَهُ وَأَنَارَهُ[2]، وَأَعَزَّهُ وَأَنَافَهُ[3]، وَشَرَّفَهُ وَأَكْمَلَهُ، وَتَمَّمَهُ وَفَضَّلَهُ، وَأَعَزَّهُ وَرَفَعَهُ، وَجَعَلَهُ دِينَهُ الَّذِي أَحَبَّهُ وَاجْتَبَاهُ[4]، وَاسْتَخْلَصَهُ وَارْتَضَاهُ، وَاخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ، وَجَعَلَهُ الدِّينَ الَّذِي تَعْتَدُّ[5] بِهِ مَلَائِكَتُهُ، وَأَرْسَلَ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَهَدَى لَهُ مَنْ أَرَادَ إِكْرَامَهُ وَإِسْعَادَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ»، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: «وَمَنْ يَبْتَغِ[6] غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ». وَقَالَ: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ». فَبِهَذَا الْإِسْلَامِ وَالدُّخُولِ فِيهِ وَالْعِلْمِ بِهِ، وَأَدَاءِ شَرَائِعِهِ، وَالْقِيَامِ بِفُرُوضَاتِهِ، وَصَلَتْ مَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَجِوَارِهِ فِي جَنَّتِهِ، وَبِهِ تَحَرَّزُوا[7] مِنْ غَضَبِهِ وَعُقُوبَتِهِ، وَأَمِنُوا نَكَالَ[8] عَذَابِهِ وَسَطْوَتِهِ. فَقَالَ

(١) أى فعجل واستبق (٢) أناره: أضاءه وحسنه وأظهره بما فيه من الخير لأهله دنيا وآخرة (٣) أنافه: أعلاه ورفعه (٤) اجتباه: اختاره
(٥) تعتد به ملائكته: تعده وتلتفت إليه، ويقال فى عكسه: هذا شىء لا يعتد به: لا يعتد ولا يلتفت إليه (٦) ومن يبتغ: ومن يطلب (٧) تحرزوا: تحصنوا وتوقوا
(٨) النكال: اسم من نكلت به: جعلت غيره يحذر أن يفعل مثل فعله، أى اسم ما يكون عبرة للغير

الْمَنْصُورُ : حَسْبُكَ يا مَسْعَدَةُ ، اُجْعَلْ هَذَا صَدْرَ الْكِتَابِ إِلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ بِالْإِعْذَارِ [١] وَالْإِنْذَارِ. وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ: فَفَضْلُهُ شَائِعٌ ، وَنُبْلُهُ ذَائِعٌ ، أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ ، أَوْ يُدَلَّ بِالْوَصْفِ إِلَيْهِ ، قَدْ وَلِيَ لِلْمَأْمُونِ الْأَعْمَالَ الْجَلِيلَةَ ، وَأُلْحِقَ بِذَوِي الْمَرَاتِبِ النَّبِيلَةِ ، وَسَمَّاهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ وَزِيرًا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهِ ، لَا لِأَنَّهُ كَانَ وَزِيرًا وَهُوَ قَوْلُهُ :

لَقَدْ أَسْعَدَ اللهُ الْوَزِيرَ ابْنَ مَسْعَدَهْ
وَبَثَّ لَهُ [٢] فِي النَّاسِ شُكْرًا وَمَحْمَدَهْ

فِي أَبْيَاتٍ. حَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيُّ قَالَ : كَانَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ أَبْيَضَ أَحْمَرَ الْوَجْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ صُولٍ الْأَكْبَرِ جَدِّ مُحَمَّدِ بْنِ صُولِ بْنِ صُولٍ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَصْلَهُمْ فِي أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يُسَمِّيهِ الرُّومِيَّ لِبَيَاضِ وَجْهِهِ . وَوَصَفَ الْفَضْلُ ابْنُ سَهْلٍ بَلَاغَةَ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ ، وَمِنْ بَلَاغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ إِذَا سَمِعَ كَلَامَهُ ظَنَّ أَنَّهُ يَكْتُبُ مِثْلَهُ ، فَإِذَا رَامَهُ بَعُدَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا حَدُّ الْبَلَاغَةِ ؟ فَقَالَ : الَّتِي إِذَا سَمِعَهَا الْجَاهِلُ ظَنَّ أَنَّهُ يَقْدِرُ

(١) الاعذار مصدر أعذر فلانا : رفع عن نفسه اللوم فى الذنب ، وأوجب لنفسه العذر فى الايقاع به، والانذار : الاعلام والتحذير من المخالفة (٢) أى نشر له

عَلَى مِثْلِهَا ، فَإِذَا رَامَهَا اُسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ .

وَحدّثَ العَبَّاسُ بْنُ رُسْتم قَالَ : كَانَ لِعَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَرَسٌ أَدْهَمُ أَغَرُّ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ فَرَاهَةً وَحُسْناً فَبَلَغَ الْمَأْمُونَ خَبَرُهُ ، وَبَلَغَ عَمْرَو بْنَ مَسْعَدَةَ ذَلِكَ ، فَخَافَ أَنْ يَأْمُرَ بِقَوْدِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَكُونَ لَهُ فِيهِ مَحْمَدَةٌ ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَكَتَبَ مَعَهُ :

يَا إِمَاماً لَا يُدَانِيهِ إِذَا عُدَّ إِمَامُ
فَضَلَ النَّاسَ كَمَا يَفْضُلُ نُقْصَاناً تَمَامُ
قَدْ بَعَثْنَا بِجَوَادٍ مِثْلُهُ لَيْسَ يُرَامُ
فَرَسٌ يَزْهَى (١) بِهِ لِلْحُسْنِ سَرْجٌ وَلِجَامُ
دُونَهُ الْخَيْلُ كَمَا دُونَكَ (٢) فِي الْفَضْلِ الْأَنَامُ
وَجْهُهُ صُبْحٌ وَلَكِنْ سَائِرُ الْجِسْمِ ظَلَامُ
وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْمَوْلَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامُ

وَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ مِمَّنْ إِذَا غَرَسَ سَقَى ، وَإِذَا أَسَّسَ بَنَى ، لِيَسْتَتِمَّ تَشْيِيدَ أُسِّهِ ، وَيَجْتَنِيَ ثِمَارَ غَرْسِهِ ، وَثَنَاؤُكَ عِنْدِي قَدْ شَارَفَ الدُّرُوسَ ، وَغَرْسُكَ مُشْفٍ (٣) عَلَى الْيُبُوسِ ، فَتَدَارَكْ بِنَاءَ مَا أَسَّسْتَ ،

(١) هذا الفرس لحسنه يزهى به السرج واللجام (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « مثلك » (٣) أى مشرف

وَسَقَى مَا غَرَسْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ رُفِعَ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنَّهُ خَلَّفَ ثَمَانِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَوَقَّعَ عَلَى الرُّقْعَةِ : هَذَا قَلِيلٌ لِمَنِ اتَّصَلَ بِنَا وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارَكَ اللهُ لِوَلَدِهِ فِيهِ . وَعَمْرٌو الْقَائِلُ فِي رِوَايَةِ الْمَرْزُبَانِيِّ :

وَمُسْتَعْذِبٍ لِلْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْذَبُ
أُكَاتِمُهُ حُبِّي فَيَنْأَى وَأَقْرُبُ
إِذَا جُدْتُ مِنِّي بِالرِّضَا جَادَ بِالْجَفَا
وَيَزْعُمُ أَنِّي مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنَبُ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ
وَعَلَّمَهُ حُبِّي لَهُ كَيْفَ يَغْضَبُ
وَلِي غَيْرُ وَجْهٍ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ
وَلَكِنْ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟

قَالَ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ مُتَنَازَعَانِ (١)

﴿ ١٥ — عَمْرُو بْنُ كَرْكَرَةَ أَبُو مَالِكٍ الْأَعْرَابِيُّ * ﴾

عمرو بن كركرة الأعرابى

كَانَ يُعَلِّمُ بِالْبَادِيَةِ وَوَرَّقَ (٢) فِي الْحَضْرَةِ ، وَهُوَ مَوْلَى

(١) أقول : ليس فيهما من تنازع ما دام لا يستطيع الذهاب إلى أى وجه يراه غير الرضا لتخلف قلبه عنه إذا حاول . (٢) ورق الرجل : كثر ماله ودراهمه ، والحضرة : المدينة خلاف البادية

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

بَنِى سَعْدٍ ، وَكَانَ رَاوِيَةَ أَبِى الْبَيْدَاء ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ لُغَةَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ بَصْرِىَّ الْمَذْهَبِ ، وَكَانَ أَحَدَ الطَّيِّبَاتِ . قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ الأَغْنِيَاءَ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ مِنَ الْفُقَرَاء وَيَقُولُ : إِنَّ فِرْعَوْنَ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ مِنْ مُوسَى ، وَكَانَ يَلْتَقِمُ الْحَارَّ الْمُمْتَنِعَ فَلَا يُؤْذِيهِ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ الْخَيْلِ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِىُّ فِى كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : كَانَ ابْنُ مُنَاذِرٍ يَقُولُ : كَانَ الْأَصْمَعِىُّ يُجِيبُ فِى ثُلُثِ اللُّغَةِ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُجِيبُ فِى نِصْفِهَا ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ يُجِيبُ فِى ثُلُثَيْهَا ، وَكَانَ أَبُو مَالِكٍ يُجِيبُ فِيهَا كُلِّهَا ، وَإِنَّمَا عَنَى ابْنُ مُنَاذِرٍ تَوَسُّعَهُمْ فِى الرِّوَايَةِ وَالْفُتْيَا ، لِأَنَّ الْأَصْمَعِىَّ كَانَ يُضَيِّقُ وَلَا يُجَوِّزُ إِلَّا أَصَحَّ اللُّغَاتِ ، وَيُلِحُّ فِى ذَلِكَ وَيَمْحَكُ[١] ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيبُ فِى الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَعَلَى هَذَا يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَهُ قِصَّةٌ فِى أَخْبَارِ ابْنِ مُنَاذِرٍ فِى كِتَابِ الشُّعَرَاءِ مِنْ تَصْنِيفِنَا .

(١) يمحك : يتمادى فى اللجاجة

١٦ – عَنْبَسَةُ بْنُ مَعْدَانَ الفِيلِ *

عنبسة بن معدان الفيل

أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ وَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ أَخَذَ النَّحْوَ أَبْرَعَ مِنْهُ. وَأَمَّا مَعْنَى تَسْمِيَتِهِ بِمَعْدَانَ الفِيلِ: فَحَدَّثَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيُّ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ السِّكِّيتِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ يُوسُفُ: وَحَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: كَانَتْ لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِيلَةٌ يُنْفِقُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ. فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ يُقَالُ لَهُ مَعْدَانُ فَقَالَ: ادْفَعُوهَا إِلَيَّ وَأَكْفِيكُمُ الْمَئُونَةَ، وَأُعْطِيكُمْ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ كُلَّ يَوْمٍ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ فَأَثْرَى وَابْتَنَى قَصْراً، وَنَشَأَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ عَنْبَسَةُ، فَرَوَى الأَشْعَارَ وَظَرُفَ وَفَصُحَ، وَرَوَى شِعْرَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ وَانْتَمَى إِلَى بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ فَقِيلَ لِلفَرَزْدَقِ: هٰهُنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ يَرْوِي شِعْرَ جَرِيرٍ وَيُفَضِّلُهُ عَلَيْكَ وَوَصَفُوا لَهُ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ لَا أَعْرِفُهُ، فَأَرُونِي دَارَهُ فَأَرَوْهُ فَقَالَ: هٰذَا ابْنُ مَعْدَانَ الْمَيْسَانِيُّ ثُمَّ قَصَّ قِصَّتَهُ وَقَالَ:

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

لَقَدْ كَانَ فِى مَعْدَانَ وَالفِيلِ زَاجِرٌ
لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِى عَلَىَّ القَصَائِدَا

فَرَوَى البَيْتَ بِالبَصْرَةِ ، وَلَقِىَ عَنْبَسَةُ أَبَا عُيَيْنَةَ بْنَ المُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ أَبُو عُيَيْنَةَ : مَا أَرَادَ الفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ كَانَ فِى مَعْدَانَ وَالفِيلِ زَاجِرٌ ؟

فَقَالَ : إِنَّمَا قَالَ : لَقَدْ كَانَ فِى مَعْدَانَ وَاللُّؤْمِ زَاجِرٌ . فَقَالَ أَبُو عُيَيْنَةَ : وَأَبِيكَ إِنَّ شَيْئًا فَرَرْتَ مِنْهُ إِلَى اللُّؤْمِ لَعَظِيمٌ . قَالَ التَّارِيخِىُّ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الحَدِيثِ أَبَا العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا فَسُرَّ بِهِ وَسَأَلَنِى أَنْ أَكْتُبَهُ لَهُ ، فَكَتَبْتُهُ لَهُ وَالحَدِيثُ عَلَى لَفْظِ مُسْلِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ .

١٧ — عَوَانَةُ بْنُ الحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ بْنِ عِيَاضِ بْنِ وِزْرٍ *

عوانة بن الحكم

ابْنِ عَبْدِ الحَارِثِ بْنِ أَبِى حِصْنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ النُّعْمَانِ . كَانَ عَالِمًا بِالأَخْبَارِ وَالآثَارِ ثِقَةً ، رَوَى عَنْهُ الأَصْمَعِىُّ وَالهَيْثَمُ بْنُ عَدِىٍّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ العِلْمِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِى كِتَابِ المَثَالِبِ : يُقَالُ فِى الحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ الكَلْبِىِّ : إِنَّ أَبَاهُ كَانَ عَبْدًا خَيَّاطًا ادُّعِىَ بَعْدَ مَا احْتَلَمَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً سَوْدَاءَ لِآلِ أَيْمَنَ بْنِ خُزَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الأَسَدِىِّ ، وَلَهُ

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

إِخْوَةٌ مَوَالٍ ، قَالَ فِي ذَلِكَ ذُو الرُّمَّةِ :

أَلِكْنِي (١) فَإِنِّي مُرْسِلٌ بِرِسَالَةٍ
إِلَى حَكَمٍ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ وَلَا قُرْبِ

فَلَوْ كُنْتَ مِنْ كَلْبٍ صَمِيماً هَجَوْتُهَا
وَلَكِنْ لَعَمْرِي لَا إِخَالُكَ مِنْ كَلْبِ

وَلَكِنَّمَا أُخْبِرْتُ أَنَّكَ مُلْصَقٌ (٢)
كَمَا أُلْصِقَتْ مِنْ غَيْرِهِ ثُلْمَةُ الْقَعْبِ (٣)

تَدَهْدَى فَخَرَّتْ ثُلْمَةٌ مِنْ صَحِيحِهِ
فَلُزَّ بِأُخْرَى بِالْغِرَاءِ وَبِالشَّعْبِ (٤)

حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : أَنْشَدَنِي ذُو الرُّمَّةِ شِعْراً وَعَوَانَةُ ابْنُ الْحَكَمِ حَاضِرٌ ، فَعَابَ شَيْئاً مِنْهُ فَقَالَ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْمُتَقَدِّمَةَ . قَالَ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ : وَقَالَ عِيَاضُ ابْنُ وَزَرٍ فِي ابْنِهِ عَوَانَةَ :

عَجَباً عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ لَمْ يَرْشُدُوا
جَعَلُوا عَوَانَةَ لِي بِغَيْبٍ إِبْنَمَا (٥)

---

(١) ألكنى إلى فلان : أى أبلغه عنى . (٢) الملصق : الدعى
(٣) القعب بالفتح : القدح ، وثلمته : فرجته وفتحته التى يصب منها الماء
(٤) تدهدى : تدحرج وانقلب — ولز بأخرى : ألصق بها ، والشعب : الجبر والاصلاح (٥) أى بدون علم ، وابنم ، لغة فى ابن ، والألف للروى ، وقطعت همزة وصله للشعر

إِنِّي إِلَى الرَّحْمَنِ أَبْرَأُ صَادِقاً
مَا نَكَتْ أُمُّكَ يَا عَوَانَةُ مُحْرِماً(١)
أَنْكَرْتُ مِنْكَ جُعُودَةً فِي حُوَّةٍ
وَمَشَافِراً هُدْلاً وَأَنْفاً أَخْثَماً(٢)
مَا كَانَ لِي فِي آلِ حَامٍ وَالِدٌ
عَبْدٌ فَأُصْبِحَ فِي كِنَانَةَ أَكْشَماً(٣)

وَكَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ وَكَانَ ضَرِيراً ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الصُّولِيِّ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِي الشَّهْرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْأَعْمَشُ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : مَاتَ عَوَانَةُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْمَنْصُورُ .

حَدَّثَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشٍ الْهَمْدَانِيِّ وَعِنْدَهُ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ فَذَاكَرُوا أَمْرَ النِّسَاءِ فَقُلْتُ : حَدَّثَنِي ابْنُ الظَّالِمَةِ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَالَتْ : وَاللهِ مَا أَتَى(٤) النِّسَاءَ مِثْلُ أَعْمَى عَفِيفٍ ، فَضَرَبَ عَوَانَةُ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِي وَقَالَ : حَفِظَكَ اللهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّكَ تَحْفَظُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ وَحَسَنَهُ . قَالَ : وَكَانَ عَوَانَةُ ضَرِيراً . قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : عَوَانَةُ بْنُ

---

(١) المحرم كمحسن : من فى حريمك ونسائك فهى حال من الأم (٢) الحوة بالفم : سمرة فى الشفة ، ومشافرا هدلا : شفاها مسترخية ، والأخثم : العريض الغليظ (٣) الأكشم : الناقص الخلق والحسب (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « أبى »

الْحَكَمِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ بِالْأَخْبَارِ خَاصَّةً وَالْفُتُوحِ مَعَ عِلْمٍ بِالشِّعْرِ وَالْفَصَاحَةِ، وَلَهُ إِخْوَةٌ وَأَخْبَارٌ ظَرِيفَةٌ، وَكَانَ مُوَثَّقًا[1] وَعَامَّةُ أَخْبَارِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْهُ.

قَالَ: وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ عَنِ الْحَسَنِ ابْنِ عُلَيْلٍ الْعَنَزِيِّ أَنَّ عَوَانَةَ بْنَ الْحَكَمِ كَانَ عُثْمَانِيًّا وَكَانَ يَضَعُ أَخْبَارًا لِبَنِي أُمَيَّةَ.

قَالَ: وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَنْشَدَ عَوَانَةُ بَيْتَيْنِ فَقِيلَ لَهُ لِمَنْ هُمَا؟ قَالَ: أَنَا تَرَكْتُ الْحَدِيثَ بُغْضًا مِنِّي لِلْإِسْنَادِ وَلَيْسَ أَرَاكُمْ تُعْفُونِي مِنْهُ فِي الشِّعْرِ.

وَحَدَّثَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ ابْنُ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيُّ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ شَيْئًا قَالَ[2] اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ:

لَيْسَ حَيٌّ عَلَى الْمَنُونِ بِبَاقٍ غَيْرُ وَجْهِ الْمُسَبَّحِ الْخَلَّاقِ

فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقُلْ هَذَا، إِنَّمَا قَالَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ، وَأُتِيَ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ: يَا عَدُوَّةَ اللهِ، مَا خُرُوجُكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَلَمْ تَسْمَعِي قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ؟

(١) أي ثقة (٢) يريد قاله

فحرَّكتْ رأسها وقالتْ : يا عدوَّ الله حملني على الخروجِ جهلُكم بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ . وحدَّث الهيثمُ بنُ عديّ قالَ : كُنَّا عندَ عوانةَ فوردَ الخبرُ بأنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ قدْ قُتلَ بالمدينةِ ، فترحَّمَ عليهِ عوانةُ وذكرَ فضلَهُ ثمَّ قالَ : أخطأَ الرَّأيَ في استهدافِهِ لهُمْ ومُقابلتِهِ إيَّاهُمْ بالقُرْبِ منهمْ ، ولوْ تباعدَ عنهمْ حتَّى يجتمعَ أمرُهُ ، ويرى رأيَهُ لطالتْ مدَّتُهُ ، فقيلَ لهُ : قدْ أُشيرَ عليهِ بذلكَ فلمْ يقبلْهُ ، فتمثَّلَ عوانةُ بقولِ زُهيرٍ :

أضاعتْ فلمْ تُغفرْ لها غفلاتُها فلاقتْ تباباً عندَ آخرِ معهدِ
دماً حولَ شِلْوٍ[1] تحجلُ الطيرُ حولَهُ وبضعَ لحامٍ[2] في إهابٍ مُقدَّدِ

قالَ : ثمَّ قالَ : هلْ علينا عينٌ ؟ . قالُوا لا فقلْ ما شئتَ ، فقالَ : محمَّدٌ واللهِ منَ الذينَ قالَ اللهُ فيهمْ : « التَّائبونَ العابدُونَ الحامدُونَ السَّائحُونَ[3] الرَّاكعونَ السَّاجدُونَ الآمرُونَ بالمعرُوفِ والنَّاهُونَ عنِ المنكرِ والحافظُونَ لحدُودِ اللهِ » .

وحدَّثَ التَّاريخيُّ عنْ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ عنْ نصرِ بنِ عليّ

(١) الشلو بالكسر : العضو بعد التفرق ، وكل مسلوخ أكل بعضه وبقيت منه بقية
(٢) اللحام : جمع لحم (٣) السائحون جمع سائح : بمعنى الصائم الملازم للمساجد ، سمى بذلك لأنه يسيح فى النهار بلا زاد ، والسياحة : الضرب فى الأرض بقصد العبادة ، أو التنزه أو التفرج .

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : كَانَ ابْنُ زِيَادٍ يَأْكُلُ بَعْدَ الشِّبَعِ أَرْبَعَ جَرَادِقَ(١) أَصْبَهَانِيَّةً وَجُبْنَةً وَرِطْلًا عَسَلًا . وَحَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : لَقِيَ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا فَقَالَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ قَوْمٍ إِذَا نَسِيَ النَّاسُ عِلْمَهُمْ حَفِظُوهُ عَلَيْهِمْ . قَالَ : فَأَنْتَ إِذًا مِنْ كَلْبٍ ، قَالَ أَجَلْ . وَكَانَ لِعَوَانَةَ أَخٌ يُقَالُ لَهُ عِيَاضٌ نَحْوِيٌّ أَدِيبٌ أَقَامَ بِإِفْرِيقِيَةَ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ ، فَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : كَانَ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ يَقُولُ لِأَخٍ لَهُ — يُقَالُ عِيَاضٌ — نَحْوِيٍّ : لَا تُعَمِّقْ فِي النَّحْوِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّقْ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا صَارَ مُعَلِّمًا ، قَالَ : فَصَارَ عِيَاضٌ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَلِّمًا بِإِفْرِيقِيَةَ لِوَلَدِ الْمُعَلَّى .

١٨ — عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ الْخُزَاعِيُّ (*)

عوف بن محلم الخزاعى

أَبُو الْمِنْهَالِ ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالرُّوَاةِ الْفُهَمَاءِ ، وَالنَّدَامَى الظُّرَفَاءِ وَالشُّعَرَاءِ الْفُصَحَاءِ ، وَكَانَ صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِأَيَّامِ النَّاسِ . وَكَانَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ مُصْعَبٍ قَدِ اخْتَصَّهُ لِمُنَادَمَتِهِ وَاخْتَارَهُ لِمُسَامَرَتِهِ . وَكَانَ لَا يَخْرُجُ فِي سَفَرٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مَعَهُ ، وَجَعَلَهُ زَمِيلَهُ وَأَنِيسَهُ وَعَدِيلَهُ ، وَكَانَ يُعْجَبُ بِهِ .

---

(١) جرادق : جمع جردق وجردقة : الرغيف ، معرب كرده بالفارسية .

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات ، وفى كتاب أعجام الأعلام

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ دَاوُدَ : وَيُقَالُ إِنَّ سَبَبَ ٱتِّصَالِهِ بِطَاهِرٍ أَنَّهُ نَادَى عَلَى الْجِسْرِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي أَيَّامِ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَادَ ، وَطَاهِرٌ يَنْحَدِرُ فِي حَرَّاقَةٍ فِي دِجْلَةَ ، فَسَمِعَهَا مِنْهُ فَأَدْخَلَهُ وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَهِيَ :

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ٱبْنِ الْحُسَيْنِ ❊ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرَقُ ؟

وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ ❊ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا ❊ وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

وَأَصْلُهُ مِنْ حَرَّانَ فَبَقِيَ مَعَ طَاهِرٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يُفَارِقُهُ ، وَكَانَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الِانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ فَلَا يَأْذَنُ لَهُ وَلَا يَسْمَحُ بِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ طَاهِرٌ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ وَأَنَّهُ يَلْحَقُ بِأَهْلِهِ(١) وَيَرْجِعُ إِلَى وَطَنِهِ ، فَقَرَّبَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَتَهُ مِنْ أَبِيهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَدِيبًا فَاضِلًا عَالِمًا بِأَخْبَارِ النَّاسِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى أَدَبِ عَوْفٍ وَفَضْلِهِ تَمَسَّكَ بِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ ، وَحَسُنَ حَالُهُ ، وَتَلَطَّفَ بِجَهْدِهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ عَبْدُ اللهِ فِي الْعَوْدِ إِلَى وَطَنِهِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَحَفَزَهُ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ وَأَهَمَّهُ أَمْرُهُمْ ، فَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللهِ مِنْ بَغْدَادَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ ، فَصَيَّرَ عَوْفًا

(١) في الأصل : « به »

عَدِيلَهُ يَسْتَمْتِعُ بِمُسَامَرَتِهِ، وَيَرْتَاحُ إِلَى مُحَادَثَتِهِ إِلَى أَنْ دَنَا مِنَ الرَّىِّ، فَلَمَّا شَارَفَهَا سَمِعَ صَوْتَ عَنْدَلِيبٍ يُغَرِّدُ بِأَحْسَنِ تَغْرِيدٍ وَأَشْجَى صَوْتٍ، فَأُعْجِبَ عَبْدُ اللهِ بِصَوْتِهِ، وَالْتَفَتَ إِلَى عَوْفِ ابْنِ مُحَلِّمٍ فَقَالَ لَهُ: يَابْنَ مُحَلِّمٍ، هَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَشْجَى مِنْ هَذَا الصَّوْتِ وَأَطْرَبَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الصَّوْتِ، شَجِيُّ النَّغْمَةِ، مُطْرِبُ التَّغْرِيدِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: قَاتَلَ اللهُ أَبَا كَبِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ:

أَلَا يَاحَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ
وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ؟

أَفِقْ لَا تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنَّنِي
بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ

وَلُوعًا(١) فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ
فَهَا أَنَا أَبْكِى وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

فَقَالَ عَوْفٌ: أَحْسَنَ وَاللهِ أَبُو كَبِيرٍ وَأَجَادَ ثُمَّ قَالَ: — أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — إِنَّهُ كَانَ فِى الْهُذَلِيِّينَ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ شَاعِرًا مَافِيهِمْ إِلَّا مُفْلِقٌ، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِى كَبِيرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْدِعُ فِى شِعْرِهِ، وَيُفْهِمُ آخِرُ قَوْلِهِ وَأَوَّلُهُ، وَمَا شَيْءٌ

(١) ولوع بفتح الواو مصدر ولع كوجل: استخف شوقا

أَبْلغَ فِى الشِّعْرِ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : أَقسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَجزْتَ شِعْرَ أَبِي كَبِيرٍ ؟

قَالَ عَوْفٌ : أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ كَبِرَ سِنِّى ، وَفَنِيَ ذِهْنِي ، وَأَنكَرْتُ كُلَّ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ . قَالَ عَبْدُ اللهِ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ طَاهِرٍ إِلَّا فعلْتَ ؟ وَكَانَ لَا يُسْأَلُ بِحَقِّ طَاهِرٍ شيْئًا إِلَّا ابْتدَرَ إِلَيْهِ لِمَا كَانَ يُوجِبُهُ لَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ عَوفٌ ذَلِكَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ
أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ[1] فَتُرِيحُ ؟؟

لَقَدْ طَلَحَ[2] الْبَيْنُ الْمُشِتُّ رَكَائِبِي
فَهَلْ أَرَيَنَّ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ ؟

وَأَرَّقَنِي بِالرَّىِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ
فَنُحْتُ وَذُو الْبَثِّ الْغَرِيبِ يَنُوحُ

عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذْرِ دَمْعَةً
وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ[3]

وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا
وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ

---

(١) أى فترة (٢) أى أعيا (٣) لم تذر : أى لم ترسل من عينها دمعة ، وأسراب الدموع : جماعاتها ، وسفوح : مصدر سفحت الدمع كمنعت : صببته ، أو سفح الدمع كقعد : انصب ، ومثله السفح فيهما .

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ
وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟

عَسَى جُودُ عَبْدِ اللهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى
فَيُلْقِي عَصَا التَّطْوَافِ وَهْيَ طَرِيحُ (١)

فَإِنَّ الْغِنَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ
وَعُدْمُ الْغِنَى بِالْمُقْتِرِينَ طَرُوحُ (٢)

قَالَ: فَاسْتَعْبَرَ (٣) عَبْدُ اللهِ وَرَقَّ لَهُ، وَجَرَتْ دُمُوعُهُ وَقَالَ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَضَنِينٌ بِمُفَارَقَتِكَ، شَحِيحٌ عَلَى الْفَائِتِ مِنْ مُحَاضَرَتِكَ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا أَعْمَلْتَ مَعِي خُفًّا وَلَا حَافِرًا إِلَّا رَاجِعًا إِلَى أَهْلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَقَالَ يَمْدَحُ عَبْدَ اللهِ وَأَبَاهُ:

يَابْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانِ وَأُلْبِسَ الْأَمْنَ بِهِ الْمَغْرِبَانِ (٤)
إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانْ

وَأَبْدَلَتْنِي بِالشَّطَاطِ الْحَنَا
وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانْ (٥)

(١) التطواف: مصدر طاف: لكثير السير، وعصا التطواف كناية عن الاستقرار وترك السفر، وطريح فعيل بمعنى مفعول، أى مطروح (٢) المقترين: جمع مقتر: المضيق على عياله فى النفقة، وطروح: رام وقاذف صيغة مبالغة (٣) استعبر: جرت عبرته أى دمعته وحزن (٤) معنى البيت: يابن من حكم المشرقين وأحل الأمن فى المغربين (٥) الشطاط: الطول وحسن القوام أو اعتداله، والحنا: الانحناء يريد تقوس الظهر، والصعدة: القناة المستوية، والسنان: حديدتها.

وَعَوَّضَتْنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَتَى ... وَهِمَّتِي هَمَّ الْجَبَانِ الْهِدَانْ (١)
وَقَارَبَتْ مِنِّي خُطًى لَمْ تَكُنْ ... مُقَارِبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عِنَانْ (٢)
وَأَنْشَأَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى ... عَنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسْجِ الْعَنَانْ (٣)
وَلَمْ تَدَعْ فِيَّ لِمُسْتَمْتِعٍ ... إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانْ
أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأُثْنِي بِهِ ... عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهِجَانْ (٤)
وَهِمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجْداً بِهَا ... وَبِالْغَوَانِي أَيْنَ مِنِّي الْغَوَانْ (٥) ؟
فَقَرِّبَانِي بِأَبِي أَنْتُمَا
مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفِرَارِ الْبَنَانْ (٦)
وَقَبْلَ مَنْعَايَ (٧) إِلَى نِسْوَةٍ ... أَوْطَانُهَا حَرَّانُ وَالرَّقَتَانْ
سَقَى قُصُورَ الشَّاذِيَاخِ الْحَيَا
مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمِيَانْ (٨)
فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا ... بِأَنْ تَخَطَّاهَا صُرُوفُ الزَّمَانْ ؟

---

(١) الزماع كسحاب : المضاء فى الامر فهو اسم من الزميع أى الشجاع الذى يزمع بالأمر ثم لاينثنى عنه والجيد الرأى المقدم على الأمور ، والهدان : الأحمق الثقيل ، هذا وقد أتينا بكلمة الجبان كما فى الأمال بدل الهجان كما فى الأصل ، لأن الكلام لايستقيم معها ، إذ معناها الحسيب كما وردت فى نهاية أحد الأبيات بعد (٢) العنان : سير اللجام فهو يكنى عن الانقياد (٣) العنان : السحاب ، واحدته عنانة

(٤) الهجان : الحسيب (٥) همت بالأوطان الخ : أحببتها وتعلقت بها من الوجد والحزن ، والغوانى : جمع غانية : وهى المرأة الجميلة الناعمة المستغنية بجمالها (٦) هذا كناية عن الموت (٧) المنعى : خبر الوفاة ، وحران والرقتان مواضع بعينها

(٨) الشاذياخ والميان : موضعان بنيسابور

وَهَذِهِ قُصُورٌ بِخُرَاسَانَ بِنَاحِيَةِ نَيْسَابُورَ لِآلِ طَاهِرٍ ، ثُمَّ وَدَّعَ عَبْدَ اللهِ وَسَارَ رَاجِعاً إِلَى أَهْلِهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ رُوِىَ فِى خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ عَوْفَ بْنَ مُحَلِّمٍ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْمَعْ فَأُعْلِمَ بِذَلِكَ فَزَعَمُوا أَنَّهُ أَنْحَلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَكَانَ قَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ رَوْحٌ وَعَرَضَ عَلَى عَوْفٍ شِعْرَهُ ، فَمَنَعَهُ مِنْ إِنْشَادِهِ عَبْدَ اللهِ وَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ عَالِمٌ فَاضِلٌ لَا يَنْفُقُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا أَحْسَنُهُ . فَقَالَ لَهُ قَدْ حَسَدْتَنِى وَتَوَصَّلَ حَتَّى أَنْشَدَهُ عَبْدَ اللهِ فَاسْتَرْذَلَهُ وَاسْتَبْرَدَهُ وَرَدَّهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَوْفاً فَقَالَ :

أَنْشَدَنِى رَوْحٌ مَدِيحاً لَهُ ... فَقُلْتُ شِعْراً قَالَ لِى فَيْشِ (١)
فَصِرْتُ لَمَّا أَنْ بَدَا مُنْشِداً ... كَأَنَّنِى فِى قُبَّةِ الْخَيْشِ
وَقُلْتُ : زِدْنِى وَتَفَهَّمْتُهُ ... وَالثَّلْجُ فِى الصَّيْفِ مِنَ الْعَيْشِ

﴿ ١٩ — عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِىُّ * ﴾

عون بن محمد الكندى . الْكَاتِبُ أَبُو مَالِكٍ ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَعْرَابِىِّ ، وَأَخَذَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الْفَرَّاءِ ، وَرَوَى عَنْهُ الصُّولِىُّ فَأَكْثَرَ .

(١) من فاش الرجل فيشا : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده . وفايشه مفايشة : فاخره ، وفايش الرجل : أكثر الوعيد فى القتال ثم لم يفعل

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ج خامس قسم ثالث ص ٦٤

حَدَّثَ الصُّولِىُّ قَالَ : حَدَّثَنِى عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الكِنْدِىُّ قَالَ : كُنَّا فِى مَجْلِسِ ابْنِ الأَعْرَابِىِّ فَقَدِمَ قَادِمٌ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى فَأَخْبَرَ بِنَكْبَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَأَحْمَدَ بْنِ الخَصِيبِ فَأَنْشَدَ ابْنُ الأَعْرَابِىِّ :

رُبَّ قَوْمٍ رَتَعُوا [١] فِى نِعْمَةٍ ... زَمَنًا وَالعَيْشُ رَيَّانٌ [٢] غَدَقْ
سَكَتَ الدَّهْرُ طَوِيلًا عَنْهُمُ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

﴿ ٢٠ — عِيسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّبَعِىُّ الوُحَاظِىُّ * ﴾

عيسى بن إبراهيم الربعى

بَلْدَةٌ بِالْيَمَنِ . لَا أَعْرِفُ حَالَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُصَنِّفُ كِتَابِ نِظَامِ الغَرِيبِ فِى اللُّغَةِ ، حَذَا فِيهِ حَذْوَ « كِفَايَةِ المُتَحَفِّظِ [٣] » وَأَجَادَهُ ، وَأَهْلُ اليَمَنِ مُشْتَغِلُونَ بِهِ .

﴿ ٢١ — عِيسَى بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِىُّ أَبُو عُمَرَ * ﴾

عيسى بن عمر الثقفى

مَوْلَى خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ ، نَزَلَ فِى ثَقِيفٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، عَالِمٌ بِالنَّحْوِ وَالعَرَبِيَّةِ وَالقِرَاءَةِ مَشْهُورٌ بِذَلِكَ ، أَخَذَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ إِسْحَاقَ الحَضْرَمِىِّ ، وَمَاتَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِى خِلَافَةِ المَنْصُورِ قَبْلَ أَبِى عَمْرِو بْنِ العَلَاءِ بِخَمْسِ

(١) رتعوا فى نعمة : أخصبوا فى سعة من العيش (٢) العيش الريان : ذو النضارة المتلىء ، والغدق : الواسع ، وأيضاً الماء الكثير (٣) ذكره صاحب كشف الظنون ، وكأنه لم يعرف اسم مؤلفه

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج أول وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

سِنينَ أوْ سِتٍّ. حدّثَ التاريخيُّ محمّدُ بنُ عبدِ الملكِ عنِ المبرّدِ قالَ: أوّلُ منْ وضعَ العربيّةَ ونقطَ المصاحفَ أبو الأسودِ الدؤليُّ، ثمّ أخذَ النحوَ عنْ أبي الأسودِ عنبسةُ بنُ معدانَ المهريُّ الذي يقالُ لهُ عنبسةُ الفيلِ، ثمّ أخذهُ عنْ عنبسةَ ميمونُ الأقرنُ، ثمّ أخذهُ عنْ ميمونٍ ابنُ أبي إسحاقَ الحضرميُّ، ثمّ أخذهُ عنِ ابنِ أبي إسحاقَ عيسى بنُ عمرَ [1]، ثمّ أخذهُ عنِ الخليلِ بنِ أحمدَ سيبويهِ، ثمّ أخذهُ عنْ سيبويهِ الأخفشُ، واسمهُ سعيدُ بنُ مسعدةَ. قالَ التاريخيُّ: حدّثنا المبرّدُ مرّةً أخرى عنِ التوزيِّ عنْ أبي عبيدةَ قالَ: وضعَ عيسى بنُ عمرَ كتابينِ في النحوِ سمّى أحدهما الجامعَ والآخرَ المكمّلَ، فقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ:

بطَلَ النحوُ جميعاً كلُّهُ   غيرَ ما أحدثَ عيسى بنُ عمرْ
ذاكَ إكمالٌ وهذا جامعٌ   فهما للناسِ شمسٌ وقمرْ

قالَ المؤلّفُ: وهذانِ كتابانِ ما علمنا أحداً رآهما ولا عرفهما، غيرَ أنّ أبا الطيّبِ اللغويَّ ذكرَ في كتابهِ أنّهما مبسوطٌ ومختصرٌ. وذكرَ عنِ المبرّدِ أنّهُ قالَ: قرأتُ أوراقاً منْ أحدِ كتابَيْ عيسى بنِ عمرَ وذكرَ أيضاً أنّ

---

(١) لعله سقط « ثم أخذه عن عيسى بن عمر الخليل بن أحمد »

عِيسَى بْنَ عُمَرَ أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ صَاحِبَ تَقْعِيرٍ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ قَدِ اتَّهَمَهُ بِوَدِيعَةٍ لِبَعْضِ الْعُمَّالِ فَضَرَبَهُ مُقَطَّعًا نَحْوًا مِنْ أَلْفِ سَوْطٍ فَجَعَلَ يَقُولُ : وَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا أُثَيَّابٌ فِي أُسَيْفَاطٍ قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ [1] فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّكَ لَخَبِيثٌ . قَالَ : وَكَانَ دَقِيقَ الصَّوْتِ . قَالَ : فَكَانَ طُولَ دَهْرِهِ يَحْمِلُ فِي كُمِّهِ خِرْقَةً فِيهَا سُكَّرُ الْعُشَرِ وَالْإِجَّاصُ الْيَابِسُ [2] ، وَرُبَّمَا رَأَيْتُهُ وَاقِفًا أَوْ سَائِرًا أَوْ عِنْدَ بَعْضِ وُلَاةِ الْبَصْرَةِ فَتُصِيبُهُ نَهْكَةٌ [3] فِي فُؤَادِهِ ، فَيَخْفِقُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكَادُ يُغْلَبُ فَيَسْتَغِيثُ بِإِجَّاصَةٍ وَسُكَّرَةٍ يُلْقِيهَا فِي فِيهِ ثُمَّ يَتَمَصَّصُهَا ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَكَنَ عَلَيْهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : أَصَابَنِي هَذَا مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي ضَرَبَنِي عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَعَالَجْتُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَمَا رَأَيْتُ لَهُ أَصْلَحَ مِنْ هَذَا .

وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ

---

(١) أثياب : تصغير أثواب ، جمع ثوب ، وأسيفاط تصغير أسفاط ، جمع سفط : وهو وعاء كالجوالق أو كالقفة — والتصغير فيهما للتقليل والتحقير — وعشاروك : جمع عشار : وهو آخذ العشر وجابيه . وبقية الحكاية عند ابن الانبارى « ص ٢٦ »

(٢) الاجاص : ثمر شجر معروف ، الواحدة إجاصة . وهو دخيل ، لأن الجيم والصاد لا يجتمعان فى كلمة (٣) النهكة بالفتح . الغلب كالنهاكة — يقال : « نهكه نهكة ونهاكة » .

يَقُولُ: عِيسَى بْنُ عُمَرَ النَّحْوِيُّ بَصْرِيٌّ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ الْكُوفِيُّ هَمْدَانِيٌّ وَهُوَ صَاحِبُ الْحُرُوفِ. وَحَدَّثَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ابْنِ السِّكِّيتِ عَنِ الْجَمَّازِ قَالَ: عِيسَى بْنُ عُمَرَ أَخُو حَاجِبِ بْنِ عُمَرَ، وَيُكْنَى حَاجِبٌ أَبَا خُشَيْنَةَ، رَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ وَهُمَا مَوْلَيَانِ لِبَنِي مَخْزُومٍ، وَهُمَا مِنْ وَلَدِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَعْرَجِ الَّذِي رَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ. وَحَدَّثَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ النَّحْوِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ ذُو الرُّمَّةِ فَعَرَضْتُ أَلَّا أَكُونَ أَعْطَيْتُهُ شَيْئًا فَقَالَ لَا، أَنَا وَأَنْتَ نَأْخُذُ وَلَا نُعْطِي. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَحَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يَنْقَطِعَ سَوْئِي أَيْ وَسَطِي. وَحَدَّثَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ قَالَ: اللَّهَازِمُ قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَعِجْلٌ وَعَنَزَةُ وَتَيْمُ اللهِ. قَالَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: أَرَى اللَّهَازِمَ تَجَمَّعُوا كَمَا تَجْمَعُ لَهَازِمُ(١) الدَّابَّةِ. قَالَ: «وَالرِّبَابُ ثَوْرٌ وَعُكْلٌ وَتَيْمُ اللهِ» وَالرِّبَابُ ثَوْرٌ وَعُكْلٌ وَتَيْمُ عَدِيٍّ وَضَبَّةُ وَأَطْحَلُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ، وَإِنَّمَا سُمُّوا الرِّبَابَ لِأَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وَتَحَالَفُوا، وَالرِّبَابَةُ(٢): جَمَاعَةُ الْقِدَاحِ إِذَا ضُمَّتْ، وَجُشَمُ بْنُ بَكْرٍ وَإِخْوَتُهُمُ الْأَرَاقِمُ وَلَيْسَ بِنَسَبٍ

---

(١) اللهازم جمع لهزمة. عظم ناتىء فى اللحى تحت الأذن، وهما لهزمتان لكل إنسان أو حيوان (٢) فى الأصل: «والرباعة» تحريف

وَلَكِنْ شُبِّهَتْ عُيُونُهُمْ بِعُيُونِ الْأَرَاقِمِ مِنَ الْحَيَّاتِ فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ. قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ: أَمَّا قَوْلُهُ وَأَطْحَلَ فَهُوَ عَجَبٌ مِنْ مِثْلِهِ، لِأَنَّ أَطْحَلَ اسْمُ جَبَلٍ سَكَنَهُ ثَوْرٌ فَنُسِبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ: ثَوْرُ أَطْحَلَ وَلَا يُفْرَدُ فِي اسْمِ الْقَبِيلَةِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّهُمْ تَجَمَّعُوا مِثْلَ الرِّبَابَةِ فَأَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي الرُّبِّ (١) وَتَحَالَفُوا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: جَمَعَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مَدِينَةَ السَّلَامِ الْكِسَائِيَّ وَالْأَصْمَعِيَّ وَعِيسَى بْنَ عُمَرَ، فَأَلْقَى عِيسَى عَلَى الْكِسَائِيِّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ: هَمُّكَ مَا أَهَمَّكَ، فَذَهَبَ الْكِسَائِيُّ يَقُولُ: يَجُوزُ كَذَا وَيَجُوزُ كَذَا. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: عَافَاكَ اللهُ، إِنَّمَا أُرِيدُ كَلَامَ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ هَذَا الَّذِي تَأْتِي بِهِ كَلَامَ الْعَرَبِ (٢) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَلَيْسَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخْطِئَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّهُ كَيْفَ أَعْرَبَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَهُوَ مُصِيبٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عِيسَى ابْنُ عُمَرَ مِنَ الْكِسَائِيِّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِاللَّفْظَةِ الَّتِي وَقَعَتْ إِلَيْهِ.

﴿ ٢٢ – عِيسَى بْنُ مَرْوَانَ الْكُوفِيُّ أَبُو مُوسَى * ﴾

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ ابْنِ عيسى بن مروان الكوفى

(١) الرب . سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها (٢) يريد عيسى لفت الكسائى إن أن ما أتى له به مثل ، والأمثال لا تغير

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

الكُوفِىّ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ أَبِى طَالِبٍ الْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ وَرَوَى عَنْهُ، وَلَهُ مِنَ الكُتُبِ : كِتَابُ القِيَاسِ عَلَى أُصُولِ النَّحْوِ.

﴿ ٢٣ — عِيسَى بْنُ الْمُعَلَّى بْنِ مَسْلَمَةَ الرَّافِقِىُّ * ﴾

عيسى بن المعلى الرافقى

أَحَدُ أُدَبَاءِ عَصْرِنَا، أَخْمَلَ (١) مِنْ ذِكْرِهِ خُمُولُ قُطْرِهِ، كَانَ مُؤَدِّبًا بِمَدِينَةِ الرَّقَّةِ الَّتِى عَلَى الْفُرَاتِ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ وَفَضَائِلُ جَمَّةٌ وَعِدَّةُ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ تَبْيِينِ الْغُمُوضِ فِى عِلْمِ الْعَرُوضِ وَجَدْتُهُ بِخَطِّهِ وَقَدْ كَتَبَهُ فِى سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمائَةٍ وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَهُ كِتَابٌ فِى اللُّغَةِ حَسَنٌ فِى مُجَلَّدَيْنِ ضَخْمَيْنِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ أَيْضاً. كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ مُجَلَّدَانِ.

﴿ ٢٤ — عِيسَى بْنُ مِينَا بْنِ وَرْدَانَ بْنِ عِيسَى * ﴾

عيسى بن مينا المعروف بقالون

ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْمَدَنِىُّ الْمَعْرُوفُ بِقَالُونَ القَارِىء، كُنْيَتُهُ أَبُو مُوسَى صَاحِبُ نَافِعِ بْنِ أَبِى نُعَيْمٍ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ فِى أَيَّامِ الْمَأْمُونِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فِى أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَرَأَ عَلَى

(١) أى أن خمول قطره هو السبب فى خموله وعدم نباهته

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج أول وترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء ج أول بترجمة ضافية

نَافِعٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ فِى أَيَّامِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ قَالُونُ أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ الْبُوقَ ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ قَارِئٌ أَلْقَمَ أُذُنَهُ فَاهُ لِيَسْمَعَ قِرَاءَتَهُ ، وَهُوَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ .

حَدَّثَ أَبُو مُوسَى قَالُونُ : كَانَ نَافِعٌ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ يَعْقِدُ لِى ثَلَاثِينَ وَيَقُولُ لِى : قَالُونَ قَالُونَ : يَعْنِى جَيِّدٌ بِالرُّومِيَّةِ . وَإِنَّمَا كَانَ يُكَلِّمُهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ قَالُونَ أَصْلُهُ مِنَ الرُّومِ ، جَدُّ جَدِّهِ عَبْدُ اللهِ مِنْ سَبْىِ أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَدِمَ بِهِ مَنْ أَسَرَهُ وَبَاعَهُ فَاشْتَرَاهُ بَعْضُ الْأَنْصَارِ فَأَعْتَقَهُ فَهُوَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ .

﴿ ٢٥ – عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَأْبٍ اللَّيْثِىُّ * ﴾

عيسى بن يزيد الليثي

هُوَ عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ بْنِ كُرْزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْمُرَ الشَّدَّاخِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ وَفِى نَسَبِهِ اخْتِلَافٌ . هَذَا أَظْهَرَهُ أَبُو الْوَلِيدِ الرَّاوِيَةُ النَّسَّابُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَكَانَ يُضَعَّفُ فِى رِوَايَتِهِ(١) ، مَاتَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ فِى أَوَّلِ خِلَافَةِ الرَّشِيدِ . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ :

---

(١) أى ينسب إلى الضعف فيها

(*) راجع البيان والتبيين ج أول ص ٣٠

كَانَ عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَأْبٍ يُكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ، وَكَانَ مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَحُفَّاظِهِمْ ، وَكَانَ مُعَلِّماً مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ.

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى رَفِيعِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : أَنْشَدَ ابْنُ دَأْبٍ :

وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بِسِرِّ الْأَدَبِ الْمَحْضِ (١)

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ فَقَالَ : أَخْطَأَتِ اسْتُهُ الْحُفْرَةَ ، إِنَّمَا هُوَ أَشْبَئُوا أَىْ كَفَوْا ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَذُو الرُّمْحَيْنِ أَشْبَأَهُ (٢) ... مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

فَبَلَغَهُ عَنِ ابْنِ دَأْبٍ شَىْءٌ فَقَالَ : عَلَى نَفْسِهَا تَجْنِى بَرَاقِشُ (٣) ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّيْثِىِّ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ دَأْبَ بْنَ كُرْزٍ ... أَبَا الْخَنْسَاءِ زَائِدَةَ الظَّلِيمِ (٤)

فَلَا تَفْخَرْ بِأَحْمَرَ وَاطَّرِحْهُ ... فَمَا يَخْفَى الْأَغَرُّ مِنَ الْبَهِيمِ (٥)

فَعِنْدَ اللهِ سِرٌّ مِنْ أَبِيهِ

كُرَاعٌ زِيدَ فِى عَرْضِ الْأَدِيمِ (٦)

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى جَابِرِ بْنِ الصَّلْتِ الْبَرْقِىِّ قَالَ : وَعَدَ

---

(١) البيت : لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، وفى الأغانى : بسر الحسب الضخم « ١ : ٣٠ » وأشبوا : شبت أولادهم (٢) فى الأصل أشباك تحريف ، وأشبئوا أنجبوا (٣) على نفسها تجنى براقش . مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه

(٤) الظليم : ذكر النعام ، وزائدة الظليم لقب دأب بن كرز (٥) اطرحه : اتركه ، والأغر : النهار ، والبهيم : الليل المظلم لاضوء فيه (٦) الكراع : العضو ، ومن الناس : السفلة منهم على سبيل الكناية ، والأديم فى الأصل : الجلد

الْمَهْدِيُّ ابْنَ دَأْبٍ جَارِيَةً فَوَهَبَهَا لَهُ فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيُّ قَوْلَ مُضَرِّسٍ الْأَسَدِيِّ :

فَلَا تَيْأَسَنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ
وَإِنْ كَانَ قِدْمًا بَيْنَ أَيْدٍ تُبَادِرُهْ (١)

فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : ادْفَعُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ فُلَانَةَ لِجَارِيَةٍ أُخْرَى ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ :

أَنْجَزَ خَيْرُ النَّاسِ قَبْلَ وَعْدِهِ ... أَرَاحَ مِنْ مَطْلٍ (٢) وَطُولِ كَدِّهِ

فَقَالَ ابْنُ دَأْبٍ : مَا قُلْتَ شَيْئًا ، هَلَّا قُلْتَ :

حَلَاوَةُ الْفَضْلِ بِوَعْدٍ مُنْجَزِ
لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهْبٍ مُنْهَزِ (٣)

فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : أَحْسَنُ الْوَفَاءِ مَا تَقَدَّمَهُ ضَمَانٌ .

وَحَدَّثَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ قَالَ : مَا شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ ، كَانَ ابْنُ دَأْبٍ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ وَكَانَ تَيَّاهًا (٤) فَكَانَ يُنَادِمُ الْهَادِيَ وَلَا يَتَغَدَّى مَعَهُ وَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقِيلَ لَهُ

---

(١) قدما اسم من القديم جعل اسما من أسماء الزمان ، يقال : كان كذا قدما : أى فى الزمان القديم ، وتبادره : تسرع إليه (٢) المطل بالدين : تسويف الوفاء به مرة بعد أخرى ، والمراد هنا : التأخير فى الوفاء ، والكد : التعب (٣) النهب : المنهوب : ومنهز ، من انتهاز الفرصة : أى اغتنامها ، أى لاخير فى العطاء إذا كان نهبا مغتنما (٤) أى كثير الكبر

فِي ذَلِكَ ، فقَالَ : أَنا لَا أَتغدَّى فِي مَكَانٍ لَا أَغسِلُ يَدِي فِيهِ ، فقَالَ لَهُ الْهَادِي : فتغدَّ ، فكَانَ النَّاسُ إِذَا تغدَّوْا تنحوْا لِغَسْلِ أَيْدِيهِمْ ، وَابْنُ دَأْبٍ يغسِلُ يَدَهُ بِحَضْرَةِ الْهَادِي .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ مُصْعَبٍ عَنْ مُوسَى بْنِ صَالِحٍ قَالَ : كَانَ عِيسَى بْنُ دَأْبٍ كَثِيرَ الْأَدَبِ عَذْبَ الْأَلْفَاظِ ، وَكَانَ قَدْ حظِيَ (١) عِنْدَ الْهَادِي حُظْوَةً لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُ بِتُكَأَةٍ (٢) وَلَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ فِي هَذَا فِي مَجْلِسِهِ وَلَا يُفعَلُ بِغَيْرِهِ وَكَانَ يَقُولُ لَهُ : مَا اُسْتَطَلْتُ (٣) بِكَ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً ، وَلَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِي إِلَّا تَمنَّيْتُ أَلَّا أَرَى غَيْرَكَ ، وَكَانَ لَذِيذَ الْمُفَاكَهَةِ (٤) ، طَيِّبَ الْمُسَامَرَةِ ، كَثِيرَ النَّادِرَةِ (٥) ، جَيِّدَ الشِّعْرِ حَسَنَ الِانْتِزَاعِ لَهُ (٦) ، قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ لَيْلَةً بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ابْنُ دَأْبٍ وَجَّهَ قَهْرَمَانَهُ (٧) إِلَى بَابِ مُوسَى الْهَادِي وَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ إِلَى بَابِ الْحَاجِبِ فَقُلْ لَهُ :

---

(١) كان ذا مكانة وحظ ومنزلة فهو حظ ، والحظوة : المكانة والمنزلة من ذى سلطان ونحوه . (٢) التكأة ، المتكأ الذى يعتمد عليه (٣) ما استطلت بك الخ ، ماعددت وقتك معى طويلا ولا سئمت مجانستك (٤) المفاكهة : الاتيان بملح الكلام وطرفه

(٥) النادرة : غريب الكلام وما كان فصيحاً مستجاداً (٦) انتزاع الشعر : إخراجه والاحتجاج به فى موضعه . (٧) القهرمان ، لفظة أعجمية استعملتها العرب بمعنى الوكيل أو أمين الدخل والخرج ، والجمع قهارمة .

تَوَجَّهْ إِلَيْنَا بِالْمَالِ ، فَانْطَلَقَ فَأَبْلَغَ الْحَاجِبَ رِسَالَتَهُ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : لَيْسَ هَـذَا إِلَيَّ ، فَانْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِ التَّوْقِيعِ لِيُخْرِجَ لَكَ كِتَاباً إِلَى الدِّيوَانِ فَتُدِيرَهُ (١) هُنَاكَ ، ثُمَّ تَفْعَلَ بِهِ كَذَا وَتَفْعَلَ بِهِ كَذَا ، فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى ابْنِ دَأْبٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : دَعْهَا فَلَا تَعْرِضْ لَهَا وَلَا تَسْأَلْ عَنْهَا . قَالَ : فَبَيْنَمَا مُوسَى فِي مُسْتَشْرَفٍ لَهُ إِذْ نَظَرَ إِلَى ابْنِ دَأْبٍ قَدْ أَقْبَلَ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا غُلَامٌ وَاحِدٌ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ ذَكْوَانَ الْحَرَّانِيِّ « وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ طَاقُ الْحَرَّانِيِّ بِبَغْدَادَ بِالْكَرْخِ » : أَمَا تَرَى ابْنَ دَأْبٍ مَا غَيَّرَ (٢) مِنْ حَالِهِ وَلَا تَزَيَّى لَنَا ، وَقَدْ بَرَرْنَاهُ بِالْأَمْسِ لِيُرَى عَلَيْهِ أَثَرُنَا . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَرَضْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : لَا ، هُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ ، وَدَخَلَ ابْنُ دَأْبٍ فَأَخَذَ فِي حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ عَرَضَ لَهُ الْهَادِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ : أَرَى فِي ثَوْبِكَ غَسِيلًا ، وَهَذَا الشِّتَاءُ مُحْتَاجٌ فِيهِ إِلَى لُبْسِ الْجَدِيدِ وَاللَّيِّنِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَاعِي قَصِيرٌ (٣) عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ وَقَدْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ مِنْ بِرِّنَا مَا ظَنَنَّا صَلَاحَ شَأْنِكَ مَعَهُ ، فَقَالَ :

(١) أى تدور به (٢) أى لم يصلح من شأنه (٣) كناية عن فقره وقصوره عن إدراك ما يتمناه

مَا وَصَلَ إِلَىَّ وَلَا قَبَضْتُ مِنْهُ شَيْئاً ، فَدَعَا بِصَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَهُ : عَجِّلِ الْآنَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَحُمِلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ دَأْبٍ أَحْظَى النَّاسِ عِنْدَ الْهَادِي ، فَخَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَوْماً فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ مَنْ بِبَابِهِ بِالِانْصِرَافِ ، فَأَمَّا أَنْتَ يَابْنَ دَأْبٍ فَادْخُلْ ، قَالَ ابْنُ دَأْبٍ : فَدَخَلْتُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ (١) عَلَى فِرَاشِهِ ، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَحَمْرَاوَانِ مِنَ السَّهَرِ وَشُرْبِ اللَّيْلِ . فَقَالَ لِي : حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ الشَّرَابِ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ كِنَانَةَ إِلَى الشَّامِ يَجْلِبُونَ الْخَمْرَ فَمَاتَ أَحَدُهُمْ فَجَلَسُوا عَلَى قَبْرِهِ يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

لَا تُصَرِّدْ (٢) هَامَةً مِنْ شُرْبِهَا ... إِسْقِهِ الْخَمْرَ وَإِنْ كَانَ قُبِرْ
إِسْقِ أَوْصَالاً وَهَاماً وَصَدًى ... نَاشِعاً يَنْشَعُ نَشْعَ الْمُنْبَهِرْ (٣)
كَانَ حُرّاً فَهَوَى (٤) فِيمَنْ هَوَى ... كُلُّ عُودٍ ذِي فُنُونٍ مُنْكَسِرْ

قَالَ : فَدَعَا بِدَوَاةٍ فَكَتَبَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْخُزَّانِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : عَشَرَةُ آلَافٍ لَكَ ، وَثَلَاثُونَ

---

(١) أى مستلق على وجهه (٢) لا تصرد : لا تقلل ، ومنه شراب مصرد مقلل (٣) الأوصال : الأعضاء ، والهام : الرأس ، والصدى : الجسد من الانسان بعد موته ، والناشع : المنتزع الشىء بعنف ، والمنبهر : الرجل المنقطع النفس من الاعياء (٤) هوى : سقط من علو إلى أسفل ، والمراد الموت

أَلْفًا لِلثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ . قَالَ: فَأَتَيْتُ الْخُزَّانَ فَقَالُوا : صَالَحْنَا عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ أَنَّكَ تَحْلِفُ لَنَا أَلَّا تَذْكُرَهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَحَلَفْتُ أَلَّا أَذْكُرَهَا حَتَّى يَبْدَأَنِي فَمَاتَ وَلَمْ يَذْكُرْهَا . وَحَدَّثَ قَالَ : دَخَلَ ابْنُ دَأْبٍ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ فَخٍّ (١) فَوَجَدَهُ وَاجِمًا يَلْتَمِسُ عُذْرًا لِمَنْ قَتَلَ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أُنْشِدُكَ شِعْرًا كَتَبَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَعْتَذِرُ فِيهِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؟ قَالَ : أَنْشِدْنِي فَأَنْشَدَهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطِيَّتِهِ
عَلَى عُذَافِرَةٍ فِي سَيْرِهَا قُحَمُ (٢)
أَبْلِغْ قُرَيْشًا عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ بِهَا
بَيْنِي وَبَيْنَ حُسَيْنٍ ، اللَّهُ وَالرَّحِمُ (٣)
وَمَوْقِفٌ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ أَنْشُدُهُ
عَهْدَ الْإِلَهِ وَمَا يُرْعَى بِهِ الذِّمَمُ (٤)

---

(١) واد بمكة لقيت فيه جيوش بنى العباس بقيادة عيسى هذا أبا عبد الله الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب سنة ١٦٩ وقد بايعه جماعة من العلويين فقتلوه وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته (٢) الطية : النية والمقصد والمنزل ، أو الجهة التى إليها تطوى البلاد ، والعذافرة : الناقة الشديدة ، وقحم الطريق . مصاعبه

(٣) منع حسين من الصرف لضرورة الشعر (٤) أنشده عهد الخ : أعاهد عهد الله ، والذمم : العهود ، ورعايتها : المحافظة عليها والوفاء بها

عَنَفْتُمُ قَوْمَكُمْ نَخْراً بِأُمِّكُمُ أُمٌّ حَصَانٌ لَعَمْرِى بَرَّةٌ كَرَمُ (١)

هِيَ (٢) الَّتِي لَا يُدَانِي فَضْلَهَا أَحَدٌ
بِنْتُ الرَّسُولِ وَخَيْرِ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا ؟

وَفَضْلُهَا لَكُمُ فَضْلٌ وَغَيْرُكُمُ (٣)
مِنْ قَوْمِكُمْ لَهُمْ فِي فَضْلِهَا قِسَمُ

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوْ ظَنًّا كَعَالِمِهِ
وَالظَّنُّ يَصْدُقُ أَحْيَانًا فَيَنْتَظِمُ (٤)

أَنْ سَوْفَ يَتْرُكُكُمْ مَا تَطْلُبُونَ بِهَا
قَبْلِي تَهَادَاكُمُ الْعِقْبَانُ وَالرَّخَمُ (٥)

يَا قَوْمَنَا لَا تُشِهُّوا الْقَوْمَ إِذْ خَمَدَتْ
وَمَسَّكُوا بِحِبَالِ السِّلْمِ وَاعْتَصِمُوا (٦)

قَدْ جَرَّتِ الْحَرْبُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمُ
مِنَ الْقُرُونِ وَقَدْ بَادَتْ بِهَا الْأُمَمُ

---

(١) أى عفيفة ، والبرة : الصالحة الفاعلة للبر الصادقة (٢) فى الأصل : « هل » تحريف (٣) فى الأصل : « وغركم » تحريف (٤) قوله : أوظنا كعالمه : أى ظنا يشبه العلم فى القوة والتصديق ، والظن : إدراك الطرف الراجح ، والعلم : الاذعان بالشىء والتصديق ، وينتظم : يتسق ويستقيم . (٥) قوله : تهاداكم الخ ، يهدى بعضها إلى بعض لحومكم . والعقبان جمع عقاب : طائر من الجوارح يقع على الذكر والأنثى ، والرخم : طير أبقع يشبه النسر فى الخلقة ، واحده رخمة (٦) لا تشهوا القوم : لا تحملوهم على شهوة القتال وترغبوهم فى ذلك ، وخمدت : سكنت وطفئت : ومسكوا : تمسكوا — وقوله بحبال السلم واعتصموا — مجاز عن الأمر بالاتحاد ونبذ الشقاق والشحناء

فَأَنصِفُوا قَوْمَكُمْ لَا تَهْلِكُوا بَذَخًا
فَرُبَّ ذِى بَذَخٍ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ

قَالَ فَسُرِّىَ عَنْ عِيسَى (١) بَعْضُ مَا كَانَ فِيهِ . قَالَ ابْنُ مُنَاذِرٍ يَهْجُو ابْنَ دَأْبٍ :

وَمَنْ يَبْغِ الْوَصَاةَ (٢) فَإِنَّ عِنْدِى
وَصَاةٌ لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ
خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ
وَلَا تَرْوُوا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ
تَرَى الْغَاوِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا (٣)
مَلَاهِىَ مِنْ أَحَادِيثٍ كِذَابِ
إِذَا طُلِبَتْ مَنَافِعُهَا اضْمَحَلَّتْ كَمَا يَنْجَابُ رَقْرَاقُ (٤) السَّرَابِ

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِى عُبَيْدَةَ النُّمَيْرِىِّ عَنْ خَالِهِ ابْنِ أَبِى شُمَيْلَةَ قَالَ : كَانَ خَلَفٌ الْأَحْمَرُ يَنْسُبُ ابْنَ دَأْبٍ إِلَى الْكَذِبِ قَالَ : فَغَدَوْتُ يَوْمًا أَنَا وَخَلَفٌ عَلَى ابْنِ دَأْبٍ فَأَخَذَ فِى حَدِيثِ ذِى الْخَلَصَةِ (٥) حَتَّى انْقَضَى ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قُلْتُ لِخَلَفٍ يَا أَبَا مُحْرِزٍ :

---

(١) سرى عنه بالبناء المجهول : كشف عنه الهم . (٢) الوصاة : الوصية

(٣) الشطر فى الأصل : « يرى الغاوون منها » والتصحيح من الأغانى ج ١٧ ص ٢٤

(٤) ينجاب : ينكشف وينقطع ، ورقراق السراب : ما تلألأ منه . (٥) ذو الخلصة : محركة وبضمتين : بيت كان يدعى الكعبة اليمانية لبنى خثعم ، سمى بذلك لصنم كان فيه يسمى الخلصة ، أو لأنه كان فى منبت الخلصة .

أَتُرَاهُ كَذَبَ ؟ . قَالَ : لَا أَدْرِى ، وَاللهِ لَا أَعْرِفُ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . قَالَ عُمَرُ : وَلِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ فِى أَبِى الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ :

لَنَا صَاحِبٌ مُولَعٌ بِالْمِرَاءِ(١) كَثِيرُ الْخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ

أَشَدُّ لَجَاجاً مِنَ الْخُنْفُسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غُرَابِ

وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ فِى فِقْرَةٍ إِذَا حَصَّلَ الْعِلْمَ غَيْرَ التُّرَابِ(٢)

أَحَادِيثُ أَلَّفَهَا شَوْكَرٌ وَأُخْرَى مُؤَلَّفَةٌ لِابْنِ دَابِ

قَالَ الْمَرْزُبَانِىُّ : وَقَوْمٌ يَرْوُونَ فِى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ زِيَادَةً ، وَأَبْيَاتُ خَلَفٍ هِىَ هَذِهِ ، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهَا فِيمَا ذَكَرَ الْمُقَدَّمِىُّ وَالْكُرَانِىُّ لِأَبَانَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ اللَّاحِقِىِّ . وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ قَالَ : شَوْكَرٌ شَاعِرٌ بِالْبَصْرَةِ يَضَعُ الْأَخْبَارَ وَالْأَشْعَارَ(٣) .

وَحَدَّثَ الرِّيَاشِىُّ قَالَ : قَالَ الْأَصْمَعِىُّ : قُلْتُ لِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ : أَمَا تَرَى مَاجَاءَ بِهِ ابْنُ دَأْبٍ مِنَ الْحِجَازِ ؟ وَالشَّوْكَرِىُّ مِنَ

(١) المراء : الجدل والنزاع واللجاجة . (٢) الفقرة من الكلام : كالبيت من الشعر — والمعنى : أنه لا يعى شيئا من العلم ولا فقرة منه سوى قشور لا تنفع كالتراب . (٣) قد ورد ذكره فى ميزان الاعتدال .

الكوفة؟ فقال: إنما يروى لهؤلاء من يقول: قالت سنى، ويدعو ربه من دفتر، ويسبح بالحصى، ويحلف بحيث المصحف، ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول: أكلنا وشربنا. وزعم العنزى أن ابن دأب كان يتشيع ويضع أخباراً لبنى هاشم، وكان عوانة بن الحكم عثمانيا ويضع أخباراً لبنى أمية.

وحدث مصعب بن عبد الله الزبيرى قال: شيطان الردهة شىء وضعه ابن دأب، وهو ذو الثدية [(١)] فيما زعم قال: جاءت أمة تستسقى ماء فوقع بها شيطان فحملته فولدته.

وحدث المرزبانى فيما رفعه إلى مصعب الزبيرى عن أبيه قال: كنا جماعة نجالس الهادى أنا وسعيد بن سلم الباهلى وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزى وكان أجرأنا عليه، فخرج علينا مغيظا متغيرا فسأله العزيزى عن خبره فقال: لم أر كصاحب الدنيا أكثر آفات ولا أدوم هموما، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبى جعفر منى، وأثرتها عندى [(٢)]، وأنها أغلظت لى بإدلالها [(٣)] فى شىء فلم أجد صبرا فنلتها بيدى [(٤)] فندمت عليه. فسكتنا خوفا من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك. فقال ابن دأب: وما فى ذلك

(١) ذو الثدية: رجل اسمه ترملة (٢) الأثرة: تقديمى لها (٣) أى بدالتها
(٤) أى ضربتها بها.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ هَذَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَوَارِيُّ (١) رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمَّتِهِ، ضَرَبَ امْرَأَتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا حَتَّى كَسَرَ يَدَهَا وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهَا لِأَنَّهُ قَالَ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ حَالَ (٢) عَبْدُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكِ يَعْنِي ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمْ يُخَلِّهِ (٣) وَخَلَّصَهَا، وَهَذَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ؟ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ أَخُو الزُّبَيْرِ - آخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا - عَتَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ فِي شَيْءٍ فَضَرَبَهَا حَتَّى حَالَ بَنُوهَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ:

لَوْلَا بَنُوهَا حَوْلَهَا لَخَبَطْتُهَا
إِلَى أَنْ تُدَانِي الْمَوْتَ غَيْرَ مُذَمَّمِ (٤)
وَلَـٰكِنَّهُمْ حَالُوا بِمَنْعِي دُونَهَا
فَلَا تَعْدَمِيهِمْ بَيْنَ نَاهٍ وَمُقْسِمِ (٥)

---

(١) حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال البيضاوى: حوارى الرجل خالصته، من الحور: وهو البياض الخالص، ومنه الحواريات للحضريات أى نساء الأمصار لخلوص ألوانهن. (٢) حال بينهما حولا وحيلولة: حجز.

(٣) أى فلم يتركه. (٤) لخبطتها: لضربتها ضربا شديدا، ولم تظهر الفتحة على ياء تدانى للضرورة (٥) فلا تعدميهم: دعاء لها ببقاء أولادها، والناهى: الذى ينهانى، والمقسم: الحالف ألا أفعل

فَمَالَتْ وَفِيهَا حَائِشٌ مِنَ عَبِيطِهَا
كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِى الْمُسَهَّمِ (١)

قَالَ: فَضَحِكَ الْهَادِي وَسُرِّيَ عَنْهُ وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ، وَأَمَرَ لِابْنِ دَأْبٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ: فَتَأَسَّفْتُ كَيْفَ سَبَقَنِي إِلَى شَيْءٍ أَحْفَظُهُ مِثْلَ حِفْظِهِ.

وَحَدَّثَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِى كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ قَالَ: فَأَمَّا مَدِينَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا نَعْلَمُ بِهَا إِمَامًا فِى الْعَرَبِيَّةِ.

حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ زَمَانًا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ وَالِيهَا، فَمَا رَأَيْتُ بِالْمَدِينَةِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً صَحِيحَةً إِلَّا مُصَحَّفَةً (٢) أَوْ مَصْنُوعَةً، وَكَانَ ابْنُ دَأْبٍ يَضَعُ الشِّعْرَ وَأَحَادِيثَ السَّمَرِ وَكَلَامًا يَنْسُبُهُ إِلَى الْعَرَبِ فَسَقَطَ وَذَهَبَ عِلْمُهُ وَخَفِيَتْ رِوَايَتُهُ. قَالَ: وَكَانَ شَاعِرًا وَعِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ أَكْثَرُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَأَتَعَجَّبُ لِابْنِ دَأْبٍ حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ أَعْشَى هَمْدَانَ يَقُولُ:

(١) الحائش: أصلا جماعة النخل ولا واحد له، والعبيط: الدم، وحاشية البرد: جانبه، واليمانى: المنسوب إلى اليمن، والمسهم: المخطط (٢) أى فيها تغيير فى كلماتها، والمصنوع من الشعر: ما لم يسمع من العرب ولكن صنعه بعض النحاة ونسبه إلى العرب لاثبات دعواه.

مَنْ رَأَى لِي غَزَّيلِي أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَهُ
وَخِضَابٌ بِكَفِّهِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ قَارَتُهُ

ثُمَّ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَا سُبْحَانَ اللهِ ، يَحْذِفُ الْأَلِفَ الَّتِي قَبْلَ الْهَاءِ فِي اللهِ وَيُسَكِّنُ الْهَاءَ وَيَرْفَعُ تِجَارَتُهُ وَهُوَ مَنْصُوبٌ ؟ وَيُجَوِّزُ هَذَا عَنْهُ ، وَيَرْوِي النَّاسُ عَنْ مِثْلِهِ ! قَالَ : وَلَقَدْ سَمِعْتُ خَلَفًا الْأَحْمَرَ يَقُولُ : لَقَدْ طَمِعَ ابْنُ دَأْبٍ فِي الْخِلَافَةِ حِينَ يُجَوِّزُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ .

﴿ ٢٦ — عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ ﴾

﴿ يُكْنَى أَبَا الْمِنْهَالِ * ﴾

عيينة بن عبد الرحمن المهلبي

ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ فَقَالَ : عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمِنْهَالِ اللُّغَوِيُّ الْمُهَلَّبِيُّ صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ تِلْمِيذُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ، مُؤَدِّبُ الْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَرَدَ مَعَهُ نَيْسَابُورَ وَتُوُفِّيَ بِهَا ، وَرَوَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، وَيَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ حَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الْمِنْهَالِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا تَتَصَدَّرْ إِلَى فَائِقٍ أَوْ مَائِقٍ (١) . قَالَ :

(١) الفائق : الأديب الخطيب ، والجمع فوقه ، والمائق : الأحمق فى غباوة ، والجمع موق

(*) راجع بغية الوعاة ، وراجع أنباء الرواة جزء أول

قَرَأْتُ بخطّ أَبِي عُمَرَ الْمُسْتَمْلِي : سَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ الفَرَّاءَ ، سَمِعْتُ عُيَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيَّ يقولُ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي عَرُوبَةَ يَقُولُ : مَا وَصَّى اللهُ النَّاسَ بِشَيْءٍ مَا وَصَّاهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ .

قَالَ عُيَيْنَةُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى جعفرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ : إِنِّي مُسْتَرْشِدٌ ، قَالَ : اجْلِسْ فَجَلَسَ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ أَبَانَا مَاتَ وَتَرَكَنِي وَأَخًا لِي هَجِينًا (١) . فَقَالَ جَعْفَرٌ : الْمُلْكُ بَيْنَكُمْ أَثْلَاثٌ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : وَاللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَرَ بِهَذَا (٢) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : رَضِيتُ رَضِيتُ رَضِيتُ . لَهُ كِتَابٌ فِي النَّوَادِرِ ، وَكِتَابٌ فِي الشِّعْرِ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : كَانَ أَبُو الْمِنْهَالِ مَعَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ وَكَانَ آنِسًا بِهِ يُحَادِثُهُ وَيُجَالِسُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ أَبَا الْمِنْهَالِ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بِخُرَاسَانَ وَكَانَ يُقَدِّمُهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكُنَّا نَجْلِسُ إِلَيْهِ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا . وَمِمَّا قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَنْصَارِ ، وَكِتَابُ الْأَزْدِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ عِنْدَ مَنَازِلِ الْعَاصِمِيِّينَ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ

---

(١) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من ابوه خير من امه ، والجمع هجن وهجناء

(٢) سقط من الأصل « قال نعم »

دار المهالبة ، وكان أحدّ[(١)] من لقى الناس وسمع ، وكان حسن المعرفة بالإسناد والأخبار والأيام ، وعمل كتابا لإسحاق فى القرآن ، وكان ابن الأعرابى لا يأتى إسحاق ولا يلقاه وكان يستأذنه فى الانصراف إلى أهله ووطنه ، يوجه إليه فى كل سنة بدرج[(٢)] فيه من سماعه الإشارات الحسنة واللغة الفصيحة ، فإذا قرأه إسحاق وقع إلى كاتبه : ادفع إليه ثلاثمائة دينار ، فكان على ذلك إلى أن مات .

﴿ ٢٧ — غانم بن وليد المالقى * ﴾

غانم بن وليد المالقى

أبو محمد المخزومى النحوى : قال ابن خاقان : هو عالم متفرس[(٣)] ، وفقيه مدرس ، وأستاذ مجود[(٤)] ، وإمام لأهل الأندلس مجرد[(٥)] . وأما الأدب فكان جل شرعته[(٦)] وهو رأس بغيته ، مع فضل وحسن طريقة ، وجد فى جميع أموره وحقيقة ، وله :

صير فؤادك للمحبوب منزلة ... سم[(٧)] الخياط مجال للمحبين

(١) الأحد : ذو الحدة فى اللسن (٢) أى قرطاس طويل يكتب فيه ويدرج أى يلف
(٣) أى ذو فراسة (٤) المجود : المحسن ، والآتى بالجيد (٥) المجرد : السباق
(٦) الشرعة بالكسر : الشريعة والطريقة (٧) سم الخياط : ثقب الابرة ، مجال : واسع

(٥) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

وَلَا تُسَامِحْ بَغِيضاً [١] فِي مُعَاشَرَةٍ
فَقَلَّمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضَيْنِ

لَا أَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طَيِّزٍ . قَالَ : أَنْشَدَنِي غَانِمُ بْنُ وَلِيدٍ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ وَالْقُوتُ
فَلَا تَثِقْ بِالْمَالِ مِن غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي غَانِمٌ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ :

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِي أَخَا ثِقَةٍ عَدِمْتَ مَا تَبْتَغِي فَدَعْ طَمَعَكْ
دَاجِ [٢] الْمُدَاجِينَ مَا لَقِيتَهُمُ
وَخَادِعِ [٣] النَّفْسَ لِامْرِىءٍ خَدَعَكْ
لَا تَكْشِفِ الْمَرْءَ عَنْ سَرَائِرِهِ
وَدَعْهُ تَحْتَ النِّفَاقِ مَا وَدَعَكْ [٤]
أَظْهِرْ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ ذِي بَلَهٍ [٥] تُرِيهِ إِنْ ضَرَّ أَنَّهُ نَفَعَكْ

(١) البغيض : المكروه ، والمعنى : لا تعاشر بغيضا فتضايق نفسك (٢) داجى فلان فلانا : منعه منعا ليس بالجافى ولا اللين ، ونافقه فهو مداج (٣) الخديعة : أن توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه ، من قولهم : خدع الضب : إذا توارى فى حجره ، ويقال : خادع إذا لم يبلغ مراده ، وخدع إذا بلغ مراده
(٤) ما ودعك : ما تركك ، وهذا الماضى نادر الاستعمال (٥) أى صاحب بله ، وهو الأبله الغافل عن الشر ، والقليل الفطنة لمداق الأمور

وَلِغَانِمٍ أَنْشَدَهُ ابْنُ خَاقَانَ :

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى　　مِنْ قَلَقٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ
مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ　　كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ

﴿ ٢٨ — فَاطِمَةُ بِنْتُ الأَقْرَعِ الْكَاتِبَةُ * ﴾

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة

وَجَدْتُ بِخَطِّهَا رُقْعَةً هَذِهِ نُسْخَتُهَا : الأَمَةُ الْكَاتِبَةُ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ثِقَتِي بِاللهِ وَحْدَهُ ، خَشَعَتْ لِصَوْلَةِ عِزِّ الْمَجْلِسِ الْعَالِي الْعَادِلِيِّ الْمُؤَيَّدِيِّ الْمُظَفَّرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ الْعِزِّيِّ السَّعْدِيِّ الرُّكْنِيِّ النَّصِيرِيِّ الْمَجْدِيِّ الشَّرَفِيِّ الأَمِيرِيِّ ، — أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ — ، وَضَاعَفَ اقْتِدَارَهُ عَقَبَ الدُّهُورِ[1] ، وَانْقَادَتْ لِمَشِيئَتِهِ تَصَارِيفُ الأُمُورِ ، وَامْتَدَّتْ إِلَى نَوَالِهِ آمَالُ السُّؤَّالِ ، وَأَنَاخَتْ بِفِنَائِهِ رَوَاحِلُ الرِّجَالِ . فَمَا إِنْسَانٌ إِلَّا مَوْفُورٌ بِبِرِّهِ . وَلَا لِسَانٌ إِلَّا مُسَبِّحٌ بِشُكْرِهِ ، وَلَا آمِلٌ إِلَّا مَصْرُوفٌ إِلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الآمَالِ فِي نَفْسِهِ وَذَوِيهِ مَا لَا يَرْنُو إِلَيْهِ طَرْفٌ ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَصْفٌ :

حَتَّى تَسِيرَ مَسِيرَ الشَّمْسِ رَايَتُهُ　　وَتَعْتَلِي بِاسْمِهِ الْعَالِي عَلَى الْقَمَرِ
وَيَخْتِمَ الأَرْضَ طُرًّا طِينُ خَاتَمِهِ　　وَيَغْتَدِي أَمْرُهُ أَمْضَى مِنَ الْقَدَرِ

---

(١) تريد إلى آخرها

(*) ترجم له فى كتاب شذرات الذهب ج ثالث

وَمِنْ بَعْدُ : فَقَدْ ذَهَبْتُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي وَأَعَزَّ سُلْطَانَهُ — ، فِي دَرْجٍ قَدْ قَرَنْتُهُ بِهَذِهِ الرُّقْعَةِ — مَذْهَبَ الْمُطْرِفِ الْمُعْجِبِ ، وَهُوَ مِمَّا لَمْ أُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ مُقَدَّمِي أَهْلِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنَ الذُّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ، أَظْهَرْتُ فِيهِ الْمُعْجِزَ مِنْ عَاجِزٍ ، وَالْكَامِلَ مِنْ نَاقِصٍ ، كَمَا قَالَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ ، وَقَدْ يُسْتَعْذَبُ الشَّرِيبُ مِنْ مَنْبَعِ الزُّعَاقِ[1] ، وَيُسْتَطَابُ الصَّهِيلُ مِنْ مَخْرَجِ النُّهَاقِ . جَعَلْتُ فِي ذَلِكَ إِقْبَالَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ـ ضَاعَفَ اللهُ اقْتِدَارَهُ ـ قَائِدًا إِلَى طُرُقِ الرَّشَادِ ، وَعِزَّ سُلْطَانِهِ هَادِيًا مُبَصِّرًا إِلَى سُبُلِ الْإِصَابَةِ وَالْمُرَادِ ، وَأَظْهَرْتُ الْحُرُوفَ مَفْصُولَةً وَمَوْصُولَةً وَمُعَمَّاةً وَمُفَتَّحَةً فِي أَحْسَنِ صِيَغِهَا وَأَبْهَجِ خَلْقِهَا ، مُنْخَرِطَةَ الْمَحَاسِنِ فِي سِلْكِ نِظَامِهَا ، مُتَسَاوِيَةَ الْأَجْزَاءِ فِي تَجَاوُرِهَا وَالْبِنَاءِ . فَهِيَ لَيِّنَةُ الْمَعَاطِفِ وَالْأَرْدَافِ[2] ، مُتَنَاسِبَةُ الْأَوْسَاطِ وَالْأَطْرَافِ ، ظَاهِرُهَا وَقُورٌ سَاكِنٌ ، وَمُفَتِّشُهَا رَهَجٌ مَائِنٌ[3] ، وَإِنِ اسْتُخْدِمَتْ إِلَى مُهِمٍّ يَسْنَحُ ، أَوْفَيْتُ فِيهِ عَلَى كُلِّ مُرْتَسِمٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَسَالِفًا وَآنِفًا ،

(١) الشريب والشروب : مايشرب كالشراب ، أو هما الماء دون العذب وهو المراد والزعاق : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه (٢) المعاطف : المثانى ، جمع معطف ، والارداف : أعجاز الكلام وأواخره ، جمع ردف (٣) وقور : ثابت ، ومفتشها : مخبرها ، والرهج هنا : السحاب بلا ماء ، والمائن هنا : المترقرق اللامع .

أُؤَمِّلُ بِذَلِكَ الْحُظْوَةَ مِنْ إِحْمَادِهِ وَجَمِيلِ رِعَايَتِـهِ ، سَمِعَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ كُلَّ دُعَاءٍ مُسْتَجَابٍ مِنَ الْأَمَةِ الْـكَاتِبَةِ، وَمَنْ يَتَعَلَّقُ عَلَيْهَا مِنْ وَلِيدَةٍ وَمَوْلُودٍ ، وَشَرِيفٍ وَمَشْرُوفٍ ، وَعَجُوزٍ دَاعِيَةٍ ، وَأَمَةٍ خَادِمَةٍ لِمَا يُولِيهَا وَيُنْعِمُ عَلَيْهَا ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ خِدْمَتِهَا ، وَمَحَلَّ صَنْعَتِهَا ، — لَاسَلَبَهَا اللهُ وَسَائِرَ الْخَلْقِ ظِلَّهُ بِمَنِّهِ — ، قَدْ تَرَادَفَ الْإِنْعَامُ عَلَيْهَا دَفْعَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى ، عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ السَّيِّدِ فَخْرِ الْـكُفَاةِ أَبِي الْحُسَيْنِ ـ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ ـ وَتَوَلَّى عَنِّي مِنْ غَيْرِ حَقٍّ عَارِفَتَهُ [١] ، مَا لَا يَقُومُ بِوُسْعِهِ أَلْسِنَةُ الْقَائِلِينَ ، وَشُكْرُ الشَّاكِرِينَ ، فَإِذَا أَنْعَمَ عَلَى مَا أَصْدَرْتُهُ مِنَ الْخِدَمِ بِلَحْظَةٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِلَمْحَةٍ [٢] ، أَدْرَكْتُ حَظِّي وَحُزْتُ أَمَلِي ، وَالرَّأْيُ السَّامِي فِي إِجَابَتِي إِلَى مَا سَأَلْتُ، وَإِثْبَاتِي فِي جُمْلَةِ الْمَغْمُورِينَ [٣] بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْأُدَبَاءِ وَالْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْخَدَمِ [٤] ، عُلُوُّهُ وَشَرَفُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

« تَرْجَمَةٌ ثَانِيَةٌ »

« فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَطَّارِ »

أُمُّ الْفَضْلِ الْمَعْرُوفَةُ بِبِنْتِ الْأَقْرَعِ الْـكَاتِبَةُ ، صَاحِبَةُ

(١) العارفة : العطية والمعروف ، والجمع عوارف (٢) اللمحة : النظرة الخاطفة
(٣) المغمورين : المشمولين المنغمسين (٤) بهامش الاصل لعله سقط « دام » ولكنا نقول : لا حاجة إليها .

الخطّ المليح المعروف، ماتت فيما ذكره تاج الإسلام ومن خطه نقلت «قاله المؤلّف عن أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ السلاميّ الحافظ» في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم من شهور سنة ثمانين وأربعمائة. قال السمعانيّ: وكان لها خطّ مليح حسن، وهي التي أهلت لكتابة كتاب المهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندريّ. وكتب الناس على خطها، وكانت تكتب طريقة ابن البواب، سمعت أبا عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهديّ الفارسيّ وغيره. سمع منها أبو القاسم مكيّ بن عبد الله الرميليّ الحافظ (١). وروى لنا عنها أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقنديّ، وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطيّ ببغداد، وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البغداديّ الحافظ بأصبهان وغيرهم. سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي ابن محمد البزاز العروضيّ يقول: سمعت الكاتبة بنت الأقرع تقول: كتبت ورقة لعميد الملك أبي نصر الكندريّ وأعطاني ألف دينار.

(١) لعله يريد: أبا العباس مكي بن عبد السلام الحافظ المترجم عند السمعاني والذهبي

أَخْبَرَنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَافِظُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، أَخْبَرَتْنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَطَّارِ الْمُقْرِىءِ قَالَتْ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَهْدِيٍّ الْفَارِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رَفِيعٍ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرَفَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ». أَنْشَدَنَا أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَافِظُ الْأَشْعَبِيُّ، أَنْشَدَتْنَا الْكَاتِبَةُ أُمُّ الْفَضْلِ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقْرِىءِ قَالَتْ: أَنْشَدَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْمُطَرِّزُ فِي دَارِنَا بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ لِنَفْسِهِ:

سَرَى مُغْرَماً بِالْعِيسِ يَنْتَجِعُ الرَّكْبَا
يُسَائِلُ عَنْ بَدْرِ الدُّجَى الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا

إِذَا مَلَأَ الْبَدْرُ الْعُيُونَ فَعِنْدَهُ
لِعَيْنِكَ بَدْرٌ يَمْلَأُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَا

وَلَمَّا هَوَى دَمْعِي لِيَوْمِ فِرَاقِهِ
عَقِيقاً تَهَاوَى دَمْعُهُ لُؤْلُؤاً رَطْبَا

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي
فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

﴿ ٣٩ – الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَائِدُ * ﴾

الفتح بن خاقان

وَقِيلَ: الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ، كَذَا قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ النَّدِيمُ[١]: كَانَ فِي نِهَايَةِ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ، وَاتَّخَذَهُ الْمُتَوَكِّلُ أَخًا وَكَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَوْلَادِهِ. قُتِلَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ لَيْلَةَ قُتِلَ بِالسُّيُوفِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالْمُتَوَكِّلِيَّةِ[٢]، وَكَانَتْ لَهُ خِزَانَةُ كُتُبٍ جَمَعَهَا لَهُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ لَمْ يُرَ أَعْظَمُ مِنْهَا كَثْرَةً وَحُسْنًا. وَكَانَ يَحْضُرُ دَارَهُ فُصَحَاءُ الْأَعْرَابِ وَعُلَمَاءُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ. قَالَ أَبُو هِفَّانَ: ثَلَاثَةٌ لَمْ أَرَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ بِأَكْثَرَ مَحَبَّةً لِلْكُتُبِ وَالْعُلُومِ مِنَ الْجَاحِظِ، وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَبَاقِي الْقِصَّةِ فِي أَخْبَارِ الْجَاحِظِ فَكَرِهْتُ التَّكْرَارَ. وَلِلْفَتْحِ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْبُسْتَانِ صَنَّفَهُ

(١) ص ١١٦ (٢) مدينة بناها المتوكل

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ص ١٦٩

رَجُلٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وَيُلَقَّبُ بِرَأْسِ الْبَغْلِ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالْجَوَارِحِ (١) . وَذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ فِي تَارِيخِ الشَّامِ فَقَالَ: الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ التُّرْكِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ قَدِمَ الشَّامَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ مُعَادِلَهُ عَلَى جَمَّازَةٍ (٢)، ثُمَّ نَزَلَ بِالْمِزَّةِ (٣) فَلَمَّا رَحَلَ الْمُتَوَكِّلُ عَنْ دِمَشْقَ اسْتَخْلَفَ بِهَا كَلْبَاتِكِينَ التُّرْكِيَّ . وَكَانَ عَلَى خَاتَمِ الْمُتَوَكِّلِ وَقُتِلَ مَعَهُ . رَوَى عَنْهُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْأَسْلَمِيُّ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُؤَدِّبُ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: دَخَلَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا إِلَى خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ يَعُودُهُ فَرَأَى الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ ابْنَهُ وَهُوَ صَبِيٌّ لَمْ يَتَغَدَّ (٤) فَمَازَحَهُ ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَحْسَنُ دَارِي أَمْ دَارُكُمْ؟ فَقَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: يَا سَيِّدِي دَارُنَا إِذَا كُنْتَ فِيهَا أَحْسَنُ، فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَا أَبْرَحُ وَاللهِ حَتَّى أَنْثُرَ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَفَعَلَ ذَلِكَ . وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ

---

(١) زاد فى الفهرست: كتاب اختلاف الملوك . كتاب الروضة والزهر .

(٢) الجمازة: الناقة السريعة أو الحمارة السريعة مؤنث الجماز — والجمزى: نوع من العدو وهو دون الحضر وفوق العنق (٣) المزة: قرية غناء فى وسط بساتين دمشق، بها قبر الصحابى الجليل سيدنا دحية الكلبي رضى الله عنه

(٤) أى لم يجاوز غدوة العمر، وعلق عليها هامش الأصل عن نصر بقوله « لعله لم يتعد وسقط عدد السنين »

قَالَ : أُنْشِدَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ :

لَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَامْضِ عَنِّي مُصَاحَباً بِسَلَامِ

وَإِذَا مَا شَكَوْتُ مَابِي قَالَتْ
قَدْ رَأَيْنَا خِلَافَ ذَا فِي الْمَنَامِ

فَزَادَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ :

لَمْ نَجِدْ عِلَّةً تَجَنَّى بِهَا الذَّنْـ ـبَ فَصَارَتْ تَعْتَلُّ بِالْأَحْلَامِ (١)

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَسَمِعْتُ الْفَتْحَ يُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِسَاعَاتٍ هَذَا الْبَيْتَ وَهُوَ :

وَقَدْ يَقْتُلُ الْغُتْمِيُّ مَوْلَاهُ غِيلَةً (٢)
وَقَدْ يَذْبَحُ الْكَلْبُ الْفَتَى وَهُوَ غَافِلُ

وَكَانَ الْفَتْحُ يَتَعَشَّقُ خَادِماً لِلْمُتَوَكِّلِ اسْمُهُ شَاهِكُ ، وَلَهُ فِيهِ أَشْعَارٌ مِنْهَا :

أَشَاهِكُ ، لَيْلِي مُذْ هَجَرْتَ طَوِيلُ
وَعَيْنِي دَماً بَعْدَ الدُّمُوعِ تَسِيلُ
وَبِي مِنْكَ وَالرَّحْمَنِ مَالَا أُطِيقُهُ
وَلَيْسَ إِلَى شَكْوَى إِلَيْكَ سَبِيلُ

---

(١) تجنى أصله تتجنى ، وتعتل بالأحلام : تتعلل بها وتحتج وتتمسك . (٢) الغتمى بالضم : من لا يفصح شيئا . والغتمة : العجمة في المنطق . والغيلة : الاغتيال ، وقتله غيلة : خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .

أَشَاهِكَ لَوْ يُجْزَى الْمُحِبُّ بِوُدِّهِ
جُزِيتُ وَلَـكِنَّ الْوَفَاءَ قَلِيـلُ

قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ : كَانَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ يَأْنَسُ بِي وَيُطْلِعُنِي عَلَى الْخَاصِّ مِنْ سِرِّهِ ، فَقَالَ لِي مَرَّةً : شَعَرْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، إِنِّي انْصَرَفْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلِي اسْتَقْبَلَتْنِي فُلَانَةُ يَعْنِي جَارِيَتَهُ فَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنْ قَبَّلْتُهَا ، فَوَجَدْتُ فِيمَا بَيْنَ شَفَتَيْهَا هَوَاءً لَوْ رَقَدَ الْمَخْمُورُ فِيهِ لَصَحَا ، فَكَانَ هَذَا مِنْ مُسْتَحْسَنِ كَلَامِ الْفَتْحِ ، فَكَأَنَّ الْوَأْوَاءَ الدِّمَشْقِيَّ سَمِعَ هَذَا حِينَ[1] قَالَ :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ
فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَاحِ عِنَاقَا
يَطِيبُ نَسِيمٌ مِنْهُ يَسْتَجْلِبُ الْكَرَى
وَلَوْ رَقَدَ الْمَخْمُورُ فِيهِ أَفَاقَا
تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي
وَفَارَقَنِي لَمَّا أَمِنْتُ فِرَاقَا

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْمَجَامِيعِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ يَصِفُ الْوَرْدَ :

أَمَا تَرَى الْوَرْدَ يَدْعُو الشَّارِبِينَ إِلَى
حَمْرَاءَ صَافِيَةٍ فِي لَوْنِهَا صَنَبُ[2]

(١) فى الأصل « حتى » · (٢) فى الأصل « صبب » محرفة ، والصواب صنب كما أصلحنا ، أى لون الصناب وهو صبغ يتخذ من الخردل والزبيب

مَدَاهِنٌ مِنْ يَوَاقِيتٍ مُرَكَّبَةٍ عَلَى الزُّمُرُّدِ فِي أَجْفَانِهَا ذَهَبُ

خَافَ الْمَلَالَ إِذَا طَالَتْ إِقَامَتُهُ فَصَارَ يَظْهَرُ أَحْيَانًا وَيَحْتَجِبُ

وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا ، زَكِيَّ النَّفْسِ حَسَنَ الْعِشْرَةِ ، لَطِيفَ الْأَخْلَاقِ ، مُتَوَدِّدًا مُحَبَّبًا إِلَى كُلِّ مَنْ يُكَلِّمُهُ ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْجُودِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَزَّلَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَكَانَ خَدَمَ قَبْلَهُ الْمُعْتَصِمَ وَالْوَاثِقَ . فَذَكَرَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : قَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ : غَضِبَ عَلَيَّ الْمُعْتَصِمُ ثُمَّ رَضِيَ عَنِّي وَقَالَ لِي : ارْفَعْ حَوَائِجَكَ لِتُقْضَى ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ ، يَفِي بِرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ قَلَّ . قَالَ : فَأَمَرَ بِحَشْيِ فَمِي جَوْهَرًا .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ النَّجَّارِ الْحَافِظُ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الثَّعْلَبِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ السَّرَّاجُ ، حَدَّثَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ وَهْبِ بْنِ وَهْبٍ ، حَدَّثَنِي الْبُحْتُرِيُّ قَالَ : قَالَ الْمُتَوَكِّلُ : قُلْ فِيَّ شِعْرًا وَفِي الْفَتْحِ ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَحْيَا مَعِي وَلَا أَفْقِدَهُ فَيَذْهَبَ عَيْشِي ، وَلَا يَفْقِدَنِي

فَيَذِلَّ ، فَقُلْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَقُلْتُ أَبْيَاتِي :

سَيِّدِي أَنْتَ كَيْفَ أَخْلَفْتَ وَعْدِي
وَتَثَاقَلْتَ عَنْ وَفَاءِ بِعَهْدِي !

فَقُلْتُ فِيهَا :

لَا أَرَتْنِي الْأَيَّامُ فَقْدَكَ يَا فَتْـ
ـحُ وَلَا عَرَّفَتْكَ مَا عِشْتَ فَقْدِي
أَعْظَمُ الرُّزْءِ أَنْ تُقَدَّمَ قَبْلِي وَمِنَ الرُّزْءِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْدِي
حَسَداً أَنْ تَكُونَ إِلْفاً لِغَيْرِي إِذْ تَفَرَّدْتُ بِالْهَوَى قَبْلُ وَحْدِي

قَالَ الْبُحْتُرِيُّ : فَقُتِلَا مَعاً وَكُنْتُ حَاضِراً وَبَجِتُّ هَذِهِ الضَّرْبَةَ ، وَأَوْمَأَ إِلَى ضَرْبَةٍ فِي ظَهْرِهِ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللهِ يَا بُحْتُرِيُّ وَجِئْتَ بِمَا فِي نَفْسِي ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ . وَقَالَ غَيْرُ وَهْبٍ الرَّاوِي لِلْخَبَرِ : قَالَ الْبُحْتُرِيُّ : قَدْ كُنْتُ عَمِلْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي غُلَامٍ كُنْتُ أَكَافُ بِهِ ، فَلَمَّا أَمَرَنِي الْمُتَوَكِّلُ بِمَا أَمَرَ تَنَحَّيْتُ فَقُلْتُ الْأَبْيَاتَ ، وَأَرَيْتُهُ أَنِّي عَمِلْتُهَا فِي وَقْتِي وَمَا غَيَّرْتُ فِيهَا إِلَّا لَفْظَةً وَاحِدَةً ، فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ :

لَا أَرَتْنِي الْأَيَّامُ فَقْدَكَ مَا عِشْتُ

تُجَعَلْتُهُ يَا فَتْحُ . وَتَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنِي

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ ابْنُ الْجَهْمِ الْقُرَشِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ وَأَجْلَسَنِي فَحَانَتْ(١) مِنِّي الْتِفَاتَةٌ فَرَأَيْتُ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَاقِفًا فِي غَيْرِ رُتْبَتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ فِيهَا مُتَّكِئًا عَلَى سَيْفِهِ مُطْرِقًا، فَأَنْكَرْتُ حَالَهُ فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَإِذَا صَرَفْتُ وَجْهِي نَحْوَ الْخَلِيفَةِ أَطْرَقَ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أَأَنْكَرْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وُقُوفُ الْفَتْحِ فِي غَيْرِ رُتْبَتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ فِيهَا.

قَالَ: سُوءُ اخْتِيَارِهِ أَقَامَهُ ذَلِكَ الْمَقَامَ. قُلْتُ: مَا السَّبَبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ قَبِيحَةَ آنِفًا فَأَسْرَرْتُ إِلَيْهِ سِرًّا فَمَا عَدَانِي السِّرُّ إِذْ عَادَ إِلَيَّ.

قُلْتُ: لَعَلَّكَ أَسْرَرْتَهُ إِلَى غَيْرِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا كَانَ هَذَا؟ قُلْتُ: فَلَعَلَّ مُسْتَمِعًا اسْتَمَعَ عَلَيْكُمَا. قَالَ: وَلَا هَذَا أَيْضًا. قَالَ: فَأَطْرَقْتُ مَلِيًّا(٢) ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَجَدْتُ لَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مَخْرَجًا. قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا الْمُسْتَمِرُّ بْنُ سُلَيْمَانَ

---

(١) أى آنت وحصلت . (٢) أى زمانا طويلا — قيل هو صفة استعملت استعمال الأسماء .

عَنْ أَبِي الْجَوْزَاء قالَ : طلقتُ امْرَأَتِي في نفسي وَأَنا في الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إلَى مَنْزِلِي ، فقالتْ لِي امْرَأَتِي : أَطلقتني يا أَبا الْجَوْزَاءِ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ لَكِ هذا ؟ قالتْ : خَبَّرَتْنِي جارَتِي الأَنْصارِيَّةُ ، قُلْتُ : وَمَنْ خَبَّرَهَا بِذَلِكَ ؟ قالتْ : ذَكَرَتْ أَنَّ زَوْجَهَا خَبَّرَهَا بِذَلِكَ . فَغَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ : عَلِمْتُ أَنَّ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ [(١)] يُحَدِّثُ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ ، فَمِنْ هَهُنَا يَفْشُو السِّرُّ .

قالَ أَبُو نُعَيْمٍ : فَكَانَ فِي نَفْسِي مِنْ هَذَا شَيْءٌ حَتَّى حَدَّثَنِي حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ قالَ : خَرَجْتُ سَنَةً مِنَ السِّنِينَ أُرِيدُ مَكَّةَ ، فَلَمَّا جُزْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ رَاحِلَتِي ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهَا فَإِذَا بِاثْنَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَيَّ ، أُحِسُّ حِسَّهُمَا وَأَسْمَعُ كَلامَهُمَا وَلا أَرَى شَخْصَهُمَا ، فَأَخَذَانِي وَجَاءَا بِي إِلَى شَيْخٍ قَاعِدٍ عَلَى تَلْعَةٍ [(٢)] مِنَ الْأَرْضِ حَسَنِ الشَّيْبَةِ [(٣)] فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ، فَأَفْرَخَ رُوعِي [(٤)] ثُمَّ قالَ : مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ مِنَ الْكُوفَةِ أُرِيدُ مَكَّةَ . قالَ : وَلِمَ تَخَلَّفْتَ عَنْ أَصْحَابِكَ ؟ فَقُلْتُ : ضَلَّتْ رَاحِلَتِي فَجِئْتُ أَطْلُبُهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى قَوْمٍ

---

(١) وسواس الرجل بفتح الواو : الشيطان الذى يوسوس له ، والوسوسة : الصوت الخفى والهمس . (٢) التلعة بفتح التاء : ما ارتفع من الأرض . (٣) الشيبة اسم من شاب الرجل : ابيض شعره فهو أشيب (٤) الروع : القلب ، وأفرخ : أخرج ما به من خوف

عَلَى رَأْسِهِ فقَالَ : زَامِلَةُ⁽¹⁾ ، فَأُنِيخَتْ بَيْنَ يَدَىَّ ، ثُمَّ قَالَ لِى: أَتقرأُ القرآن؟ قلتُ: نعم، قال: هاتِه، فقرأتُ حم الأحقاف حَتَّى انتهيتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ «وَإِذْ صرفنا إليكَ نفراً من الجِنِّ يستمعُونَ القرآنَ» الآيَةَ ، فقَالَ لِى : عَلَى رِسْلِكَ تدرى كَمْ كَانُوا ؟ قلتُ: اللهمَّ لا، قالَ : كُنَّا أَرْبعةً وكُنتُ المخاطِبَ لَهُمْ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقلتُ: «يا قومنا أجيبوا دَاعِىَ اللهِ» . ثُمَّ قَالَ لِى : أتقولُ الشِّعرَ ؟ قلتُ : اللهمَّ لا . قَالَ : أفترويه ؟ قلتُ : نعمْ . قَالَ : هاتِه ، فأنشدتُه قصيدةَ :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ ⁽²⁾

فقَالَ : لِمَنْ هذِهِ ؟ فقلتُ: لِزُهَيْرِ بْنِ أَبِى سُلْمَى ، قَالَ الجِنِّىُّ؟ قلتُ : بَلِ الإِنْسِىُّ مِرَاراً ، فرفعَ رأسَهُ إِلَى قومٍ عَلَى رَأْسِهِ ، فقَالَ : زُهَيْرُ : فأُتِىَ بِشَيْخٍ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ لَحْمٍ فأُلْقِىَ بَيْنَ يديهِ فقَالَ لَهُ : يا زُهَيْرُ ، قَالَ : لبَّيْكَ ، قَالَ: «أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى» لِمَنْ ؟ قَالَ : لِى. قَالَ: هذا حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ يَذْكُرُ أَنَّهَا لِزُهَيْرِ بْنِ أَبِى سُلْمَى

(١) زاملة : منادى بحذف حرف النداء ، اسم ناقته . (٢) أمن أم أوفى : على حذف مضاف أى أمن منازل أم أوفى . والدمنة : ما بقى من آثار الديار ، ولم تكلم : أصله لم تتكلم . وحومانة الدراج : ماء قريبة من القيصومة فى طريق البصرة إلى مكة ، قريبة من الوقباء الذى ذكره جعفر بن علبة ، وقيل غير ذلك . والمتثلم : موضع أول أرض الصمان ، وقال ابن الأعرابى : هو جبل فى بلاد بنى مرة .

الْإِنْسِيَّ ، قَالَ : صَدَقَ هُوَ ، وَصَدَقْتَ أَنْتَ . قَالَ : وَكَيْفَ هَذَا ؟ قَالَ : هُوَ إِنْسِيٌّ مِنَ الْإِنْسِ ، وَأَنَا تَابِعُهُ مِنَ الْجِنِّ ، أَقُولُ الشَّيْءَ فَأُلْقِيهِ فِي وَهْمِهِ ، وَيَقُولُ الشَّيْءَ فَآخُذُهُ عَنْهُ ، فَأَنَا قَائِلُهَا فِي الْجِنِّ ، وَهُوَ قَائِلُهَا فِي الْإِنْسِ . قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : فَصَدَّقَ عِنْدِي هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ أَبِي الْجَوْزَاءِ : أَنَّ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ يُحَدِّثُ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ ، فَمِنْ هَهُنَا يَفْشُو السِّرُّ .

قَالَ : فَاسْتَفْرَغَ (١) الْمُتَوَكِّلُ ضَحِكًا وَقَالَ : إِلَيَّ (٢) يَافَتْحُ ، فَصَبَّ عَلَيْهِ خِلَعًا (٣) ، وَحُمِلَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الظَّهْرِ (٤) ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ وَأَمَرَ لِي بِدُونِ مَا أَمَرَ لَهُ بِهِ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَقَدْ شَاطَرَنِي الْفَتْحُ مَا أَخَذَ ، فَصَارَ الْأَكْثَرُ إِلَيَّ وَالْأَقَلُّ عِنْدَهُ ، قَالَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ : حَدَّثَنِي الْمُبَرِّدُ قَالَ : أَنْشَدَنِي الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ لِنَفْسِهِ :

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَكَالْخَمْرِ وَالْفَتَى
مَتَى يَسْتَطِعْ مِنْهَا الزِّيَادَةَ يَزْدَدِ
إِذَا ازْدَدْتُ مِنْهَا ازْدَدْتُ وَجْدًا بِقُرْبِهَا
فَكَيْفَ احْتِرَاسٌ مِنْ هَوًى مُتَجَدِّدِ ؟

(١) استفرغ : بذل جهده فى الضحك (٢) إلى : إسم فعل أمر بمعنى أقبل
(٣) الخلع : ما يخلع على الانسان من الثياب وغيره (٤) الظهر : مايركب من الحيوان كالخيل والابل وغيرهما

قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ حَمْدُونَ قَالَ : لَمَّا قَالَ الْفَتْحُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ أَنْشَدْتُهَا الْمُتَوَكِّلَ فَسَأَلَنِي عَنْ قَائِلِهَا ، فَعَرَّفْتُهُ أَنَّهُ الْفَتْحُ فَاسْتَحْسَنَهَا وَقَالَ لِي : بِأَبِي أَنْتَ مِنْ جَامِعٍ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا . وَبَلَغَ هَذَا الشِّعْرُ أَبَا عَلِيٍّ الْبَصِيرَ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرٍ فَقَالَ فِي الْفَتْحِ :

سَمِعْتُ بِأَشْعَارِ الْمُلُوكِ فَكُلُّهَا
إِذَا عَضَّ مَتْنَيْهِ الثِّقَافُ (١) تَأَوَّدَا
سِوَى مَا رَأَيْنَا لِامْرِىءِ الْقَيْسِ أَنَّنَا
نَرَاهُ إِذَا لَمْ يَشْعُرِ (٢) الْفَتْحُ أَوْحَدَا

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَمِنْ شِعْرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ أُنْصِفَ الْمَحْبُوبُ فِيهِ لَسَمُجْ
لَيْسَ يُسْتَمْلَحُ فِي حُكْمِ الْهَوَى
عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحُجَجْ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ يُرْوَيَانِ لِعَلِيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ .

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَلِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

أَيُّهَا الْعَاشِقُ الْمُعَذَّبُ صَبْرًا فَخَطَايَا أَخِي الْهَوَى مَغْفُورَهْ
زَفْرَةٌ فِي الْهَوَى أَحَطُّ لِذَنْبٍ مِنْ غَزَاةٍ وَحَجَّةٍ مَبْرُورَهْ

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى : سَمِعْتُ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ يَقُولُ

(١) الثقاف : الحديدة تسوى بها الرماح ، وفى الأصل « الثقات » تحريف .
(٢) أى لم يقل الشعر

لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي فَنَنٍ الشَّاعِرِ : يَا أَحْمَدُ ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا سَيِّدِي ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، اعْمَلْ أَبْيَاتًا حِسَانًا تَمْدَحُ بِهَا سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاذْكُرْ فِي آخِرِهَا أَنِّي شَفِيعُكَ حَتَّى آخُذَ لَكَ مِنْهُ مَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ ، فَمَا أَسْرَعَ فَقْدَكَ لِي! فَبَكَى ابْنُ أَبِي فَنَنٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ لَعْنَةُ اللهِ . قَالَ لَهُ : عَلَى الدُّنْيَا قَبْلِي وَبَعْدِي لَعْنَةُ اللهِ ، فَمَا صَافَتْ مُنْحَرِفًا عَنْهَا نَابِذًا لَهَا ، وَلَا وَفَتْ لِمُتَمَسِّكٍ بِهَا رَاغِبٍ فِيهَا

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَرَائِطِيُّ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ : إِنِّي لَعِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ حَاضِرٌ إِذْ قِيلَ لَهُ : فُلَانٌ النَّخَّاسُ (١) بِالْبَابِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَمَعَهُ وَصِيفَةٌ (٢) فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : مَا صِنَاعَةُ هَذِهِ الْوَصِيفَةِ ؟ قَالَ : تَقْرَأُ بِالْأَلْحَانِ ، فَقَالَ الْفَتْحُ : أَقْرِئِي لَنَا خَمْسَ آيَاتٍ ، فَانْدَفَعَتْ تَقُولُ :

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ... وَشَقَّ عَنَّا الظُّلْمَةَ الصُّبْحُ
خَدِينُ مُلْكٍ (٣) وَرَجَا دَوْلَةٍ ... وَهَمُّهُ الْإِشْفَاقُ وَالنُّصْحُ
اللَّيْثُ إِلَّا أَنَّهُ مَاجِدٌ ... وَالْغَيْثُ إِلَّا أَنَّهُ سَمْحُ (٤)

---

(١) النخاس . بياع الرقيق والدواب لأنه يكثر من نخسها (٢) الوصيفة . الخادمة
(٣) خدين ملك : صاحب ملك ، ورجا دولة : أى رجاؤها وأملها
(٤) الماجد : ذو المجد والسمح : الطلق الباش الذى لا يعبس كما يعبس الغيث ، وفى الاصل « السح » تحريف .

وَكُلُّ بَابٍ لِلنَّدَى مُغْلَقٍ فَإِنَّمَا مِفْتَاحُهُ الْفَتْحُ

قَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ دَخَلَ الْمُتَوَكِّلَ مِنَ السُّرُورِ مَا قَامَ إِلَى الْفَتْحِ فَوَقَعَ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ وَوَثَبَ الْفَتْحُ فَقَبَّلَ رِجْلَهُ، فَأَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشِرَائِهَا، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَكُسْوَةٍ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْفَتْحِ، فَكَانَتْ أَحْظَى جَوَارِيهِ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ الْفَتْحُ رَثَتْهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

قَدْ قُلْتُ لِلْمَوْتِ حِينَ نَازَلَهُ وَالْمَوْتُ مِقْدَامَةٌ عَلَى الْبُهَمِ[1]

لَوْ تَبَيَّنْتَ مَا فَعَلْتَ إِذَنْ قَرَعْتَ[2] سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ

فَاذْهَبْ بِمَنْ شِئْتَ إِذْ ذَهَبْتَ بِهِ

مَا بَعْدَ فَتْحٍ لِلْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ

وَلَمْ تَزَلْ تَبْكِي وَتَنُوحُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ.

﴿ ٣٠ — الْفَتْحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ خَاقَانَ * ﴾

الفتح بن محمد ابن خاقان

الْقَيْسِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، أَدِيبٌ فَاضِلٌ شَاعِرٌ بَلِيغٌ فَصِيحٌ بَذِيءُ اللِّسَانِ[3] قَوِيُّ الْجَنَانِ[4] فِي هِجَاءِ الْأَعْيَانِ، وَكَانَ مُتَّهَمَ الْخَلْوَةِ[5] فِيمَا بَلَغَنِي، مَاتَ فِي

(١) البهم: واحده بهمة: وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى لشدة بأسه وقوته واستبهام حاله. (٢) قرع فلان سنه قرعا: حرقه ندما. (٣) بذىء اللسان: فاحشه. (٤) قوى الجنان: قوى القلب. (٥) المتهم: من ظن به التهمة وهي الشك، والخلوة: الانفراد بنفسه أو المكان الذى يختلى فيه، والجمع خلوات.

(*) ترجم له فى وفيات الأعيان

حُدُودِ سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ وَخَمْسِمائَةٍ (١) .

وَقَالَ الْعِمادُ : سَأَلْتُ عَنْهُ بِمِصْرَ فَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ بِالْمَغْرِبِ إِلَى عَهْدِ شَاوَرَ بِمِصْرَ ، فَقَدْ تُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمائَةٍ . وَقَالَ لِي بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ : إِنَّهُ تُوُفِّيَ قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ . لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ قَلائِدِ الْعِقْيَانِ ، كِتَابُ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ وَمَسْرَحِ التَّأَنُّسِ .

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ أَكْرَمَ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — قَالَ : لَمَّا عَزَمَ ابْنُ خَاقَانَ عَلَى تَصْنِيفِ كِتَابِ قَلائِدِ الْعِقْيَانِ جَعَلَ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَوُزَرَائِهَا وَأَعْيَانِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ وَالْبَلاغَةِ يُعَرِّفُهُ عَزْمَهُ وَيَسْأَلُهُ إِنْفَاذَ شَيْءٍ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ لِيَذْكُرَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ شَرَّهُ وَثَلْبَهُ (٢) فَكَانُوا يَخَافُونَهُ وَيُنْفِذُونَ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَصُرَرَ الدَّنَانِيرِ ، فَكُلُّ مَنْ أَرْضَتْهُ صِلَتُهُ أَحْسَنَ فِي كِتَابِهِ وَصْفَهُ وَصِفَتَهُ ، وَكُلُّ مَنْ تَغَافَلَ عَنْ بِرِّهِ هَجَاهُ وَثَلَبَهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ تَصَدَّى لَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، أَبُو بَكْرِ بْنُ بَاجَةَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّائِغِ ، وَكَانَ وَزِيرَ

(١) فى الأصل : « ثلاث وخمسمائة » ، ولكنه قال بالهامش : لعله يريد : ٥٣٣ ، أو أنه ولد فى سنة ٥٠٣ . اه

(٢) الثلب : العيب والتصريح بالنقيصة

(٣) تصدى له : تعرض له .

ابن فلويت صاحب المرية ، وهو أحد الأعيان وأركان العلم والبيان ، شديد العناية بعلم الأوائل ، مستول على أهل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق ، وله تصانيف في المنطق وغيره ، فلما وصلته رسالته تهاون بها ولم يعرها[1] طرفه ، ولا لوى نحوها عطفه[2] ، وذكر ابن خاقان بسوء فعله ، فجعله ختم كتابه ، وصيره مقطع خطابه وقال[3] : أبو بكر بن الصائغ : هو رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا[4] وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، وضل فيما يتسرع ، ولا يأخذ في غير الأباطيل ولا يشرع ، ولا يرد سوى الغمة ولا يكرع ، ناهيك من رجل[5] ما تطهر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى فؤاده توار في جدث[6] ، ولا أقر بباريه ومصوره ، ولا فر عن تباريه في ميدان تهوره[7] ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر في تلك

(١) أى لم ينظر فيها (٢) العطف بالكسر : الجانب ، وعطفا الرجل : من لدن رأسه إلى وركيه ، والمعنى : لم يلتفت إلى رسالته ولم يعرها اهتماما ، بل أعرض وجفا (٣) قلائد العقيان طبع مصر سنة ١٢٨٣ ص ٣٠٠

(٤) السخف : بالضم والفتح : رقة العقل ، وبالفتح فقط : رقة العيش (٥) ناهيك الخ : أى حسبك (٦) التوارى : الاستتار ، والجدث : القبر ، والمعنى لم يحزن لرهبة الموت والقبر ، وما فى ذلك من السؤال والعقاب . (٧) التبارى : التسابق ، والتهور : الوقوع فى الأمر بقلة مبالاة ، والمعنى لم يرجع عن انهماكه فى الأمور الدنيئة .

التَّعَالِيمِ ، وَفَكَّرَ فِي أَجْرَامِ الْأَفْلَاكِ وَحُدُودِ الْأَقَالِيمِ ، وَرَفَضَ كِتَابَ اللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ثَانِي عِطْفِهِ ، وَأَرَادَ إِبْطَالَ مَالَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْهَيْئَةِ ، وَأَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ إِلَى اللهِ الْفَيْئَةُ (١) ، وَحَكَمَ لِلْكَوَاكِبِ بِالتَّدْبِيرِ (٢) ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّمَانَ دَوْرٌ (٣) ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتٌ لَهُ نَوْرٌ (٤) ، مَعَ مَنْشَأٍ وَخِيمٍ وَلُؤْمٍ أَصْلٍ وَخِيمٍ (٥) ، وَصُورَةٍ شَوَّهَهَا اللهُ وَقَبَّحَهَا ، وَطَلْعَةٍ إِذَا أَبْصَرَهَا الْكَلْبُ نَبَحَهَا ، وَقَذَارَةٍ يُوبِئُ الْبِلَادَ نَفَسُهَا ، وَوَضَارَةٍ يَحْكِي الْحَدَّادَ دَنَسُهَا (٦) ، وَلَهُ نَظْمٌ أَجَادَ فِيهِ بَعْضَ الْإِجَادَةِ ، وَشَارَفَ الْإِحْسَانَ

---

(١) الفيئة : الرجعة (٢) أى ذهب إلى أن العالم محرك بتدبير الكواكب لا بقدرة الله وتدبيره « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » — وقد حذف المؤلف أو الناسخ من هنا فقرا هي : واجترم على الله اللطيف الخبير . واجترأ عند سماع النهى والايعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » . (٣) الدور : الحركة ، وعود الشىء إلى ما كان عليه (٤) النور : الزهر الأبيض وقد ترك من ههنا جملا كثيرة هى : « حمامه تمامه ، واختطافه اقتطافه ، قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ، ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم ، وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت ، ونفت يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، فقصر عمره على طرب ولهو ، واستشعر كل كبر وزهو ، وأقام سوق الموسيقا ، وهام بحادى القطار وسقا ، فهو يعكف عل سماع التلاحين ، ويقف عليها كل حين ، ويعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشىء قادنا إلى الله فى أسلس مقاد » (٥) المنشأ : الأصل ، والوخيم : الوبىء المدنس ، والخيم : الطبيعة (٦) هنا فقرتان ساقطتان هما « وقذ لايعمر إلا كنفه ، ولدد لا يقوم إلا الصماد جنفه »

أَوْ كَادَهُ ، مع كَلَامٍ طَوِيلٍ ، وَهَجْوٍ وَبِيلٍ . وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الصَّائِغِ فأَنْفَذَ لَهُ مالًا اسْتَكَفَّهُ بِهِ وَاسْتَصْلَحَهُ[١] . وَصَنَّفَ ابْنُ خاقان كِتَابًا آخَرَ سَمَّاهُ «مَطْمَحَ الأَنْفُسِ وَمَسْرَحَ التَّأَنُّسِ فِي ذَيْلِ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ» ، وَصَلَهُ بِقَلَائِدِ العِقْيَانِ ، وَافْتَتَحَهُ بِذِكْرِ ابْنِ الصَّائِغِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فيه ثَنَاءً جَمِيلًا فَقَالَ :[٢] الوَزِيرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الصَّائِغِ هُوَ بَدْرُ فَهْمٍ سَاطِعٌ ، وَبُرْهَانُ عِلْمٍ لِكُلِّ حُجَّةٍ قَاطِعٌ ، تَفَرَّحَتْ بِعِطْرِهِ الأَعْصَارُ ، وَتَطَيَّبَتْ بِذِكْرِهِ الأَمْصَارُ ، وَقَامَ بِهِ وَزْنُ المَعَارِفِ وَاعْتَدَلَ ، وَمَالَ وَتَهَدَّلَ[٣] ، وَعَطَّلَ بِالبُرْهَانِ التَّقْلِيدَ ، وَيَنْفُقُ بَعْدَ عَدَمِهِ الاخْتِرَاعُ وَالتَّوْلِيدُ ، إِذَا قَدَحَ زَنْدَ فَهْمِهِ أَوْرَى بِشَرَرٍ لِلْجَهْلِ مُحْرِقٍ ، وَإِنْ طَمَا بَحْرُ خَاطِرِهِ فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ مُغْرِقٌ ، مَعَ نَزَاهَةِ النَّفْسِ وَصَوْنِهَا ، وَبُعْدِ الفَسَادِ مِنْ كَوْنِهَا ، وَالتَّحْقِيقِ الَّذِي هُوَ لِلْإِيمَانِ شَقِيقٌ ، وَالجِدِّ الَّذِي يَخْلُقُ العُمْرُ وَهُوَ مُسْتَجِدٌّ ، وَلَهُ أَدَبٌ يَوَدُّ عُطَارِدُ أَنْ يَلْتَحِفَهُ[٤] ، وَمَذْهَبٌ يَتَمَنَّى أَنْ يَعْرِفَهُ ،

---

(١) استكفه : طلب منه أن يكف ويمتنع عنه ، واستصلحه : طلب منه الصلاح والاستقامة

(٢) لم يترجم ابن خاقان لابن الصائغ فى كتابه المسمى : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس » ويجوز أن يكون له « مطمح آخر فى ذيل شعراء الأندلس » كما ذكر ياقوت .

(٣) تهدل : استرخى وتدلى ومنه بعير هادل : طويل المشفر وذلك ما يمدح به

(٤) عطارد : نجم من الخنس فى السماء السادسة ، وأن يلتحفه . أن يتغطى به كاللحاف ، وهو كل ثوب يلتحف به .

وَنَظْمٌ تَتَمَنَّاهُ اللَّبَّاتُ وَالنُّحُورُ [١]، وَتَدَّعِيهِ مَعَ نَفَاسَةِ جَوْهَرِهَا الْبُحُورُ. وَقَدْ أَتَيْتُ بِمَا تَهْوَى الْأَعْيُنُ النُّجْلُ أَنْ يَكُونَ إِثْمِدَهَا، وَيُزِيلُ مِنَ النَّفْسِ حُزْنَهَا وَكَمَدَهَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَتَغَزَّلُ:

أَسُكَّانَ نُعْمَانِ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ
وَدُومُوا عَلَى حِفْظِ الْوِدَادِ فَطَالَمَا
بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا اسْتُحْفِظُوا خَانُوا
سَلُوا اللَّيْلَ عَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ
هَلِ اكْتَحَلَتْ لِي فِيهِ بِالنَّوْمِ أَجْفَانُ؟
وَهَلْ جُرِّدَتْ أَسْيَافُ بُرْقِ دِيَارِكُمْ
فَكَانَتْ لَهَا إِلَّا جُفُونِيَ أَجْفَانُ [٢]؟

وَلَهُ:

أَتَأْذَنُ لِي آتِي الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا ... أُسَائِلُهُ مَا لِلْمَغَانِي وَمَالِيَا؟
وَسَلْ دَارَهُمْ بِالْحَزْنِ أَقْفَرَ إِنَّنِي
تَرَكْتُ الْهَوَى يَقْتَادُ فَضْلَ زِمَامِيَا

---

(١) اللبات جمع لبة: وهى موضع القلادة من العنق. والنحور جمع نحر: وهو كاللبة. والنظم: الكلام المنظوم «الشعر» يقول: إن شعره لحسن تنسيقه وتأليفه تتمنى النحور أن يكون عقدا تتقلده وتتزين به (٢) جردت أسياف الخ: سلت من أغمادها، وبرق الديار: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، ومنه برق ديار العرب وهى تنيف على مائة، منها برقة الأثماد، وبرقة اليمامة وغيرهما، وجفونى: جمع جفن: العين، والأجفان جمع جفن: وهو غمد السيف.

فَيَا مَكْرَعَ الْوَادِي أَمَا فِيكَ شَرْبَةٌ

لَقَدْ سَالَ فِيكَ الْمَاءُ أَزْرَقَ صَافِيَا؟

وَيَا شَجَرَاتِ الْجِزْعِ هَلْ فِيكَ وَقْفَةٌ

فَقَدْ فَاءَ فِيكَ الْفَيْءُ أَخْضَرَ ضَافِيَا(١)؟

وَقَدْ جَرَى فِي هَذَا الْمَيْدَانِ فَأَحْسَنَ كُلَّ الإِحْسَانِ .

﴿٣١ — الْفَضْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيُّ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِيُّ *﴾

الفضل بن إسماعيل التميمي

أَدِيبٌ أَرِيبٌ فَاضِلٌ لَبِيبٌ ، أَحَدُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ النَّحْوِيِّ ، وَكَانَ مَلِيحَ الْخَطِّ صَحِيحَ الضَّبْطِ رَائِقَ النَّظْمِ فَصِيحَ النَّثْرِ، جَيِّدَ التَّصْنِيفِ، حَسَنَ التَّأْلِيفِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ فِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ فَقَالَ: رِبَاعُ الْفَضْلِ بِتَصَانِيفِهِ عَامِرَةٌ ، وَرِيَاضُ الْأَدَبِ بِكَلِمَاتِهِ نَاضِرَةٌ ، فَكَأَنَّ الرَّبِيعَ فَضْلَةٌ مِنْ بَدَائِعِهَا ، وَالزَّهْرَ ضَرَّةٌ لِرَوَابِعِهَا(٢)، وَشِعْرُهُ يُطْرِقُ(٣) السِّحْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَهْتِفُ الْمُلَحَ بِحِفَافَيْهِ(٤)

(١) الجزع بالكسر مع جواز الفتح : منعطف الوادى ووسطه أو منقطعه أو منحناه ، والفىء : ما كان شمسا فينسخه الظل ، وفاء الفىء الخ : تحول الظل وصار أخضر ضافيا من كثرة الشجر — يتمنى أن يقف وقفة فى ظل ديار الأحبة ليتمتع بهذا الظل الجميل والنسيم العليل (٢) ضرة المرأة : امرأة زوجها وهما ضرتان — والروابع : ما ينبت فى الربيع — وهذا مجاز (٣) من طرق الكاهن الحصى (٤) يقال هتف فلانا وبه : مدحه ، وفلانة يهتف بها : تذكر بالجمال ، والملح : الطرف المستحسنة ، وحفافيه : جانبيه ، كأن شعره يتدلى بالملح فى حفافيه المستظرفة كأنه يناديها وهى تجيبه .

(*) ترجم له فى طبقات المفسرين ص ١٩٨

تَقْرَأُ آيَاتِ الْإِحْسَانِ مِنْ أَبْيَاتِهِ . وَتَخْفِقُ عَذَبَاتُ الْإِبْدَاعِ(١) مِنْ رَايَاتِهِ .

وَلَهُ تَصْنِيفَاتٌ بِاسْمِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ بِغَزْنَةَ فَأَشْرَقَتْ بِهَا أَرْجَاؤُهَا ، وَأَغْدَقَتْ أَنْوَاؤُهَا(٢) مِنْهَا : كِتَابُ الْبَيَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ . وَكِتَابُ عُرُوقِ الذَّهَبِ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ . وَكِتَابُ سَلْوَةِ الْغُرَبَاءِ وَغَيْرُهَا . وَقَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي كِتَابِ السِّيَاقِ : الْفَضْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيُّ الشَّيْخُ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِيُّ النَّحْوِيُّ الْكَاتِبُ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ مِنْ أَفَاضِلِ عَصْرِهِ ، وَأَفْرَادِ دَهْرِهِ ، حَسَنُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، مَتِينٌ فِي الْفَضْلِ : كَتَبَ مُدَّةً لِلشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَبِي الْمَحَاسِنِ الْجُرْجَانِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَصَحِبَ الْكُتَّابَ وَالْمَشَايِخَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ سَمِعْنَا مِنْهُمْ ، مِثْلِ الشَّيْخِ أَبِي سَعْدِ بْنِ رَامِشٍ ، وَأَبِي نَصْرِ بْنِ رَامِشٍ الْمُقْرِىءِ ، وَأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ الشِّيرَازِيِّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَاهِرٍ النُّوقَانِيِّ ، وَسَمِعَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ خَلَفٍ الْمَغْرِبِيِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ مِنَ الْمَشَايِخِ

(١) تخفق : تضطرب وتتحرك . وعذبات الابداع : أطرافه ، والابداع : أن يأتى الشاعر بالبديع المخترع (٢) الأنواء : جمع نوء : وهو المطر ، وأغدقت : كثر مطرها

الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فِى شَبَابِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَفَاتَهُ لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ فِى حَيَاةِ عَبْدِ الْغَافِرِ. وَكَانَ وَرَدَ نَيْسَابُورَ وَاجْتَمَعَ بِهِ الْأَدِيبُ يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَذْكُورُ فِى بَابِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِخَطِّهِ فِى كِتَابِهِ الَّذِى سَمَّاهُ: جُونَةَ النَّدِّ [١]. وَهُوَ مَجْمُوعٌ جَمَعَ فِيهِ يَعْقُوبُ مِنْ أَشْعَارِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ وَمَنْ تَقَدَّمَهُ، وَظَفِرْتُ أَنَا بِأَصْلِ يَعْقُوبَ الَّذِى بِخَطِّهِ وَفِيهِ بِخَطِّ أَبِى عَامِرٍ الَّذِى لَا أَرْتَابُ بِهِ مَا نَقَلْتُهُ بِصُورَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَسْقَطْتُ بَعْضَ النَّظْمِ، وَأَمَّا النَّثْرُ فَلَا. وَهَذَا نُسْخَةُ خَطِّهِ:

سَأَلَنِى الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الْأَدِيبُ ـ أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ ـ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ فِى هَذَا الدَّفْتَرِ شَيْئًا مِنْ هَاذُورِى [٢]، فَتَرَجَّحْتُ بَيْنَ صَوَارِفَ [٣] تَنْهَانِى عَنِ الْإِجَابَةِ سَتْرًا لِعَوْرَتِى، وَدَوَاعٍ [٤] تَحُثُّنِى عَلَى امْتِثَالِ رَسْمِهِ إِظْهَارًا لِطَاعَتِى، وَأَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاثِقٌ بِكَرَمِهِ، سَاكِنٌ إِلَى حُسْنِ شِيَمِهِ، وَعَالِمٌ أَنَّهُ يَحْرِصُ عَلَى إِقَالَةِ [٥] عَثْرَةِ الْإِخْوَانِ، وَسَتْرِ عُيُوبِهِمْ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْبُرَ

(١) الجونة بالضم: سليلة مغشاة أدما تكون مع العطارين وأصلها الهمز. والند: عود يتبخر به أو العنبر (٢) أى مما هذرت به، والهذر: سقط الكلام الذى لا يعبأ به، ولعله أراد بذلك التواضع (٣) الصوارف: مايصرف الانسان عن وجهه ويدفعه جمع صارف وصارفة (٤) أى حوافز تسوقنى، جمع داعية. وتحثنى: تحضنى (٥) العثرة من العثار — وهو الشر والمكروه، وإقالة العثرة: الانقاذ منها.

نَقِيصَتَنَا بِفَضِيلَتِهِ ، وَيمْحُوَ إِسَاءَتَنَا بِحَسَنَتِهِ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ، وَهَا هُوَ الْمَاذُورُ :

بِاللهِ يَا حَتْفِي أَمَا تَسْتَحِي حَتَّى مَتَى تُورِدُنِي حَتْفِي ؟
تَحْلِفُ لِي أَنَّكَ فِي كَفِّي وَعَضُّ كَفِّي مِنْكَ فِي كَفِّي
وَأَنْتَ يَا قَلْبِي إِلَى كَمْ وَكَمْ
تُحِيلُ بِالذَّنْبِ عَلَى طَرْفِي !

وَأَيْضاً

خَدُّهُ الْيَاسَمِينُ وَالْخَطُّ فِيهِ سُنْبُلٌ نَابِتٌ عَلَى يَاسَمِينِ
سُمْتُهُ قُبْلَةً فَقَالَ تَحَرَّزْ
بَيْنَ صُدْغَيَّ عُقْدَتَا التِّنِّينِ (١)

وَأَيْضاً

إِذَا حَفَزَتْكَ نَائِبَةٌ لِأَمْرٍ فَجِئْتَ إِلَى صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرِ
فَكَاثِرْهُ بِهَزٍّ بَعْدَ هَزٍّ فَإِنَّ الزُّبْدَ بِالْمَخْضِ الْكَثِيرِ

وَأَيْضاً فِي الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — :

تَوَلَّى الْغَانِيَاتُ فَلَيْسَ عِنْدِي
لَهُنَّ سِوَى هَوًى أُخْفِي وَأُبْدِي
رَأَيْنَ الشَّيْبَ أَلْبَسَنِي قَتِيراً عَلَى حَدِّ الْبِلَى فَنَقَضْنَ عَهْدِي (٢)

(١) أى سألته إياها ، وتحرز : توق . والتنين : الحية العظيمة ، وعقدتاه : مايلدغ به (٢) القتير : الشيب أو أوله — وأيضاً رءوس مسامير الدروع ، وحد البلى : سورة الفناء .

وَسَالَمَنِي الغَيُورُ فَكُلَّ يَوْمٍ ... يُوَازِنُ بَيْنَنَا ، وُدٌّ بِوُدِّ (١)

وَقَنَّعَنِي الزَّمَانُ فَلَسْتُ آسٍ
عَلَى فَوْتِ الثَّرَاءِ وَأَنْتَ عِنْدِي (٢)

وَكُلُّ تَعَجُّبِي طُولَ اللَّيَالِي ... لِذِلَّةِ مَاجِدٍ يَسْعَى لِوَغْدِ (٣) !

فَشُكْرًا لِلْإِلٰهِ فَقَدْ كَفَانِي ... تَوَلِّي غَيْرَ عَبَّاسِ بْنِ سَعْدِ

لَهُ قَلْبِي وَخَالِصَتِي وَوُدِّي ... وَفِيهِ تَرَدُّدِي وَإِلَيْهِ قَصْدِي (٤)

وَمِنْهُ مَعِيشَتِي وَصَلَاحُ حَالِي ... وَمَنْصُوبٌ بِهِ غَيِّي وَرُشْدِي (٥)

وَكُلُّ النَّاسِ يُشْرِكُ (٦) فِي هَوَاهُ
وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَايَ وَحْدِي

فَإِنْ أَفْزَعْ فَكَهْفٌ عَلَاهُ حِرْزِي
وَإِنْ أَعْطَشْ فَبَحْرٌ نَدَاهُ وِرْدِي (٧)

فَضَلْتَ النَّاسَ مَأْثُرَةً وَفَخْرًا ... وَطُلْتَهُمُ (٨) بِإِحْسَانٍ وَمَجْدِ

وَلَمَّا صِرْتُ عَبْدَكَ صَارَ يَرْضَى ... أَنُوشِرْوَانُ لَوْ أَرْضَاهُ عَبْدِي

---

(١) سالمني : صالحني ، والغيور : ذو الغيرة ، ويوازن الخ : يقابل ويعادل بيننا الخ (٢) قنعني الزمان : رضاني ، من القناعة . وآس : حزين ، وأصله : آسيا ، لأنه خبر ليس ، لكنه جره على توهم الباء لكثرة مجيئها في الخبر . وفوت الثراء : مجاوزته لي (٣) أي ذي مجد وعظمة ، والوغد : الدنيء الرذل ، والأحمق الضعيف

(٤) خالصتي : صفائي ، والتردد : المجيء إلى الشيء مرة بعد أخرى

(٥) أي معلق قائم به (٦) أي يجعل له شريكا فيه (٧) الفزع : الخوف والرعب ، وكهف علاه الخ : أي حصنه وقايتي ، والندى : العطاء (٨) المأثرة : المكرمة — وطلتهم : فقت عليهم .

أُدِلُّ عَلَيْكَ إِدْلَالَ الْمَوَالِي
فَلَا نُكْرٌ لَدَيْكَ وَلَا تَعَدِّي
وَتِلْكَ مَزِيَّةٌ لِي لَيْسَ تَخْفَى
وَرِثْتُ مَكَانَهَا مِنْ أَبِي وَجَدِّي
فَعِشْ أَلْفًا مَعِي فِي خَيْرِ حَالٍ وَأَلْفًا بَعْدَهَا أَلْفَانِ بَعْدِي
فَكُلُّ النَّاسِ دُونَكَ آلُ قَفْرٍ يَغُرُّ بِلُمْعَةٍ مِنْ غَيْرِ رِفْدِ (١)
وَأَنْتَ الْفَرْدُ مَكْرُمَةً فَكُنْ لِي
تَكُنْ فَرْدًا بِلَا شَكٍّ لِفَرْدِ

وَأَيْضًا :

نَشُدُّ عَلَى الْمَوْتِ مُسْتَبْسِلِينَ
غِلَاظَ الرِّقَابِ غِلَاظَ الْكُبُودِ (٢)
وَنَفْتَرِعُ الْبِيضَ سُودَ الْقُرُو
نِ صُفْرَ التَّرَائِبِ حُمْرَ الْخُدُودِ (٣)

وَلَهُ أَيْضًا :

---

(١) الآل : السراب ، والقفر : المكان المجدب الذى لا نبات به ولا ماء ويغر : يخدع ويطمع بالباطل ، واللمعة : بريق اللون ، والرفد : الاعانة والعطاء

(٢) أى مستقتلين طارحين أنفسهم فى الحرب يريدون أن يقتلوا ، وغلاظ الرقاب والكبود : أى أشداء القلوب والأجسام ، والكبود : جمع كبد ، وهي معى تفرز الصفراء.

(٣) ونفترع الخ : نفتض بكارتهن ، وسود القرون جمع قرن : شعر الجانب الأعلى من الرأس ، والترائب : عظام الصدر وما بين الثديين ، جمع تريبة

عَذِيرِى مِنْ شَاطِرٍ أَغْضَبُوهُ ‏ ‏ ‏ تَجَرَّدَ لِى مُرْهَفاً بَاتِكَا (١)

يَقُولُ: أَنَا لَكَ يَابْنَ الْوَكِيلِ ‏ ‏ ‏ وَهَلْ لِى رَجَاءٌ سِوَى ذَلِكَا؟

وَأَيْضاً:

إِنِّى بُلِيتُ بِشَادِنٍ ‏ ‏ ‏ بَلْوَاهُ عِنْدِى تُسْتَحَبْ (٢)

فَإِذَا بَلَوْتُ طِبَاعَهُ ‏ ‏ ‏ فَالْمَاءُ يُشْرَبُ وَهْوَ عَذْبْ

وَإِذَا نَضَوْتُ (٣) ثِيَابَهُ ‏ ‏ ‏ فَاللَّوْزُ يُقْشَرُ وَهْوَ رَطْبْ

وَقُصَارَى وَصْفِى (٤) أَنَّهُ ‏ ‏ ‏ فِيمَا أُحِبُّ كَمَا أُحِبْ

وَأَيْضاً:

قَدْ ضَاقَ صَدْرِى مِنْ صُدُورِ زَمَانِنَا

فَهُمُ جِمَاعُ الشَّرِّ بِالْإِجْمَاعِ (٥)

يَتَضَارَطُونَ فَإِنْ شَكَوْتَ ضُرَاطَهُمْ

شَفَعُوا سَمَاعَ الضَّرْطِ بِالْإِسْمَاعِ

هَذَا يُفَرْقِعُ فِى الضُّرَاطِ وَذَا كُمُ

يَرْمِى بِمِثْلِ حِجَارَةِ الْمِقْلَاعِ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُعَاشِرَ مَعْشَراً ‏ ‏ ‏ يَتَضَارَطُونَ الدَّهْرَ بِالْإِيقَاعِ

---

(١) عذيرى : منادى : أى ياعاذرى ، والشاطر : الذى أعيا أهله خبثا ، وجرد لى الخ : سل لى سيفاً محددا قاطعا (٢) الشادن : الظبي القوى المستغنى عن أمه ، والمراد المحبوب . والبلوى : الامتحان والاختبار. (٣) أى نزعتها (٤) أى غايته ونهايته (٥) صدور زماننا : الرؤساء ومن يتقدمون ويتصدرون فى أمورهم ، وجماع الشر : جمعه ، والاجماع : الاتفاق

وَلَه :

مَلِلتُ مُكَافَحَةَ الحَادِثَاتِ وَكُنتُ بِهَا مُعْجَباً عَاجِبَا
وَحَيَّرَنِى الدَّهرُ حَتَّى نَشَدْتُ[١] حِمَارِى وَكُنتُ لَهُ رَاكِبَا

وَأَيْضاً :

أَصْبَحْتُ مِثْلَ عُطَارِدٍ فِى طَبْعِهِ
إِذْ صِرْتَ مِثْلَ الشَّمْسِ فِى الإِشْرَاقِ
فَلِذَاكَ مَا أَلْقَاكَ يَوْماً وَاحِداً
إِلَّا قَضَيْتَ عَلَىَّ بِالإِحْرَاقِ[٢]

الشَّيْخُ الجَلِيلُ الأَدِيبُ — أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ — ، وَأَنْعَمَ عَلَىَّ بِقِرَاءَةِ مَاعَلَّقَهُ عَنْ دَفْتَرِى عَلَىَّ ، وَاللهُ يُمَتِّعُهُ بِهِ وَبِفَضْلِهِ ، وَيُقِرُّ عَيْنَ العِلْمِ بِحِرَاسَتِهِ . وَسَمِعَ مَعَهُ ابْنُهُ الشَّيْخُ الفَاضِلُ أَبُو بَكْرٍ الحَسَنُ ، وَالفَقِيهُ الفَاضِلُ العَالِمُ أَبُو المَجْدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى القَاسِمِ — أَبْقَاهُمَا اللهُ — وَكَذَلِكَ سَمِعُوا جَمِيعاً مَا أَبْنَتُهُ مِنْ هَاذُورِى بِخَطِّى . وَكَتَبَ الفَضْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو عَامِرٍ الجُرْجَانِىُّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ : كَتَبَ إِلَىَّ الكِيَا[٣] الأَجَلُّ أَبُو الفَتْحِ رَحِمَهُ اللهُ :

---

(١) أى طلبت (٢) أى حكمت على — يقول : أنا مثل عطارد فى عادته وأنت مثل الشمس فى الضوء ، فاذا لقيتك أحرقتنى بضوئك الساطع

(٣) الكيا : لقب أعجمى

أَبَا عَامِرٍ إِنَّ الرَّتَائِمَ إِنَّمَا
تُذَكِّرُ بِالْأَمْرِ، الْعُبَامَ الْمُغَمَّرَا (١)

وَلَكِنَّ مَنْ عَيْنَاهُ دُرْجٌ (٢) فُؤَادِهِ
فَلَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَى أَنْ يُذَكَّرَا

وَكَتَبَ أَيْضاً إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ:

مَا أَبُو عَامِرٍ سِوَى اللُّطْفِ شَيْءٌ
إِنَّهُ جُمْلَةٌ (٣) كَمَا هُوَ رُوحُ

كُلُّ مَا لَا يَلُوحُ مِنْ سِرِّ مَعْنًى عِنْدَ تَفْكِيرِهِ فَلَيْسَ يَلُوحُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: هَذَا آخِرُ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ أَبِي عَامِرٍ — رَحِمَهُ اللهُ —. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي الشِّعْرِ وَاخْتِيَارِهِ، كِتَابُ قَلَائِدِ الشَّرَفِ فِي الشِّعْرِ أَيْضاً، كِتَابُ الْبَيَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، كِتَابُ سَلْوَةِ الْغُرَبَاءِ.

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْأَدِيبِ يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيِّ وَتَصْنِيفِهِ رُقْعَةً كَتَبَهَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ أَبُو عَامِرٍ الْفَضْلُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيُّ — أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ — إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ الشَّهِيدِ أَبِي الْمَحَاسِنِ سَعْدٍ — رَحِمَهُ اللهُ —. قَالَ

(١) الرتائم: جمع رتيمة، خيط يعقد فى الاصبع للتذكر، والأمر العبام: الكثير، والمغمر: الكثير أيضا (٢) الدرج بالضم: وعاء المغازل للنساء، والجمع درجة وأدراج

(٣) الجالى من الرجال: الضخم الأعضاء التام الخلق

يَعْقُوبُ : وَكَتَبْتُهَا مِنْ خَطِّهِ إِبَّانَ (١) مَقْدَمِهِ نَيْسَابُورَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ : أَنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ — مِنَ الاِخْتِلَالِ وَالتَّكَشُّفِ وَالاِعْتِلَالِ وَالتَّشَعُّثِ (٢) ، عَلَى صُورَةٍ أَسْتَحْيِي مِنْ عَرْضِهَا ، وَآنَفُ مِنْ شَرْحِهَا ، وَقَدْ رَحَّبَ عَامَّتُهَا بِمَا أَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَأَدَّرِعُ الصَّبْرَ فِي كُلِّ مَا يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ بِهِ ، وَأُعْمِلُ الْحِيلَةَ مِنَ الْآنِ فِي اسْتِقْرَاضِ مَا عَسَى أَنْ يُبْلِغَنِي الْمَحَلَّ (٣) ، وَلَكِنْ مَنْ يُقْرِضُ أَبَا فِرْعَوْنَ بَعْدَ وُقُوفِهِ بِالْأَبْوَابِ مَعَ الْعَصَا وَالْجِرَابِ ؟ وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ ، ثُمَّ أَسْأَلُ سَيِّدَنَا أَنْ يَنْظُرَ وَاحِدَةً فِيمَا أَقُولُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُعْضِلَ الدَّاءُ (٤) فَلَا يَنْفَعُ الدَّوَاءُ ، وَيَعْظُمَ النُّقْبُ فَلَا يَنْجَعُ الْهِنَاءُ (٥) ، وَأَنْ يَجْعَلَ عُنْوَانَ بِرِّهِ أَلَّا يَرَى تَعْلِيقَ هَذِهِ الرُّقْعَةِ ضَرَاعَةً أَوْ رَقَاعَةً (٦) ، فَمَا فِي شَرْطِ الْحِكْمَةِ أَنْ أَكْتُمَ عَنْهُ مَتْرَبَةً (٧) ، وَأَتَضَوَّرَ جُوعاً وَمَسْغَبَةً (٨) . وَلَوْلَا مَكَانِي مِنْ خِدْمَتِهِ ، وَمَكَانِي مِنْ شَفَقَتِهِ ،

---

(١) أى فى أول مقدمه ، ظرف منصوب (٢) لعله أراد بالتكشف : سوء الحال وضيق العيش . والتكشف مصدر تكشف الشىء : ظهر . والاعتلال : المرض ، والتشعث : الاغبرار والتغير والابتذال (٣) أى المكان الذى يريد أن يحل فيه (٤) أى يشتد ويعجز الأطباء (٥) النقب : أول ما يبدو من الجرب قطعا متفرقة ، فلا ينجع : فلا ينفع ، والهناء : القطران (٦) الضراعة : التذلل . والرقاعة : الحمق (٧) المتربة : الفقر (٨) أتضور : أتلوى من الجوع ، والمسغبة : المجاعة

لَكَانَ اسْتِفَافُ الْمَلَّةِ(١) أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِظْهَارِ الْخَلَّةِ(٢)، وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ كِتَابِ مَرْوَ لِأَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ لِأَبِي عَامِرٍ الْفَضْلِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيِّ التَّمِيمِيِّ يَصِفُ هِرَّةً:

إِنَّ لِي هِرَّةً خَضَبْتُ شَوَاهَا
دُونَ وِلْدَانِ مَنْزِلِي بِالرَّقُونِ(٣)
ثُمَّ قَلَّدْتُهَا لِخَوْفِي عَلَيْهَا وَدَعَاتٍ تَرُدُّ شَرَّ الْعُيُونِ
كُلَّ يَوْمٍ أَعُولُهَا قَبْلَ أَهْلِي بِزُلَالٍ صَافٍ وَلَحْمٍ سَمِينِ
وَهِيَ تِلْعَابَةٌ(٤) إِذَا مَا رَأَتْنِي
عَابِسَ الْوَجْهِ وَارِمَ الْعِرْنِينِ(٥)
فَتُغَنِّي طَوْراً وَتَرْقُصُ طَوْراً وَتَلَهَّى بِكُلِّ مَا يُلْهِينِي
لَا أُرِيدُ الصِّلَاءَ(٦) إِنْ ضَاجَعَتْنِي
عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي كَانُونِ
وَإِذَا مَا حَكَكْتُهَا لَحَسَتْنِي بِلِسَانٍ كَالْمِبْرَدِ الْمَسْنُونِ
وَإِذَا مَا جَفَوْتُهَا اسْتَعْطَفَتْنِي بِأَنِينٍ مِنْ صَوْتِهَا وَرَنِينِ
وَإِذَا مَا وَتَرْتُهَا كَشَفَتْ لِي
عَنْ جِرَابٍ لَيْسَتْ مَتَاعَ الْعُيُونِ(٧)

---

(١) الملة: الرماد الحار (٢) الخلة: الحاجة (٣) خضبت: صبغت، والشوى: الأطراف من يدين ورجلين: الجلد، والرقون كصبور وكتاب: الحناء والزعفران (٤) أى كثيرة اللعب . (٥) أى الأنف، كناية عن الغضب (٦) أى الاستدفاء من البرد بالنار (٧) يريد بالجراب ما تخرج منه براثنها حين المغاضبة

أَمْلَحُ الْخَلْقِ حِينَ تَلْعَبُ بِالْفَا رِ فَتُلْقِيهِ فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ
وَإِذَا مَاتَ حِسُّهُ أَنْشَرَتْهُ بِشِمَالٍ مَكْرُوبَةٍ أَوْ يَمِينِ
وَتُصَادِيهِ بِالْغُفُولِ فَإِنْ رَا مَ انْجِحَاراً عَلَتْهُ كَالشَّاهِينِ (١)
وَإِذَا مَا رَجَا السَّلَامَةَ مِنْهَا عَاجَلَتْهُ بِنَشْطَةِ التِّنِّينِ (٢)
وَكَذَاكَ الْأَقْدَارُ تَفْتَرِسُ الْمَرْ ءَ وَتَغْتَالُهُ بِقَطْعِ الْوَتِينِ (٣)
بَيْنَمَا كَانَ فِى نَشَاطٍ وَأُنْسٍ إِذْ سَقَاهُ سَاقٍ بِكَاسِ الْمَنُونِ

وَيُرْوَى لَهُ .

عُلِّقْتُهَا بَيْضَاءَ ظَامِيَةَ الْحَشَا (٤)
تَسْبِى الْقُلُوبَ بِحُسْنِهَا وَبِطِيبِهَا
مِثْلَ الشَّقَائِقِ فِى احْمِرَارِ خُدُودِهَا
لِلنَّاظِرِينَ وَفِى اسْوِدَادِ قُلُوبِهَا

وَلَهُ

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْمَرْءُ فِيمَا يَنُوبُهُ
كَمَا يَسْتَقِيمُ الْعَوْدُ فِى عَرْكِ أُذْنِهِ (٥)

---

(١) تصاديه : تداريه وتداجيه ، والغفول : الترك والنسيان . والانجحار : دخول الجحر . والشاهين : طائر من جنس الصقر (٢) أى بنشاط الحية العظيمة وخفتها وسرعتها . (٣) تغتاله : تهلكه وتقتله على غرة ، والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . (٤) علقتها : مبنى للمجهول : أى تعلقت بها وأحببتها ، وظامية الحشا : ضامرة البطن وهو يدل على الرشاقة . (٥) فيما ينوبه : فيما ينتابه ويصيبه . والعود : المسن من الابل ، وعرك أذنه : دلكها .

وَيَرْجَحُ مِنْ فَضْلِ الكَلَامِ (١) إِذَا مَشَى
كَمَا يَرْجَحُ المِيزَانُ مِنْ فَضْلِ وَزْنِهِ

﴿ ٣٢ – الْفَضْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ * ﴾

الفضل بن إبراهيم الكوفى

أَبُو الْعَبَّاسِ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ ، أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِيِّ ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ عَلَى عِيسَى ابْنِ عُمَرَ الْهَمَذَانِيِّ (٢) عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ حَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ، وَلَهُ اخْتِيَارٌ فِي أَحْرُفٍ يَسِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ لِأَنَّهُ يُعْرَفُ بِالنَّحْوِيِّ .

﴿ ٣٣ – الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبِ ابْنِ صَخْرٍ * ﴾

الفضل بن الحباب الجمحى

الْجُمَحِيُّ يُكْنَى أَبَا خَلِيفَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ : هُوَ ابْنُ أُخْتِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الْجُمَحِيِّ مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَنْسَابِ ، مَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ وَكَانَ أَعْمَى ، رَوَى عَنْ خَالِهِ كُتُبَهُ فَأَكْثَرَ

---

(١) يرجح : مثلة العين والماضى بالفتح : يميل ، وفضل الكلام : الزائد منه والحشو .

(٢) فى التهذيب أن عيسى بن عمر مات سنة ١٥٦ وحمزة ، الزيات : هو حمزة بن حبيب المتوفى سنة ١٥٨

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة أيضا

وَعَنْ غَيْرِهِ، وَرُوِيَ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ طَبَقَاتِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، كِتَابُ الفُرْسَانِ، وَكَانَ شَاعِراً. فَمِنْ شِعْرِهِ مَا أَنْشَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ الْبَغْدَادِيُّ عَنْهُ.

قَالُوا: نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ قُلْتُ لَهُمْ:
مَا طُولُ صَمْتِيَ مِنْ عِيٍّ وَلَا خَرَسِ
لَكِنَّهُ أَحْمَدُ الْأَمْرَيْنِ عَاقِبَةً
عِنْدِي وَأَبْعَدُهُ مِنْ مَنْطِقٍ شَكِسِ (١)
أَأَنْشُرُ الْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ
أَوْ أَنْثُرُ الدُّرَّ لِلْعُمْيَانِ فِي الْغَلَسِ (٢)
قَالُوا: نَرَاكَ أَدِيباً لَسْتَ ذَا خَطَلٍ
فَقُلْتُ: هَاتُوا أَرُونِي وَجْهَ مُقْتَبِسِ (٣)
لَوْ شِئْتُ قُلْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَداً
يَرْوِي الْكَلَامَ فَأُعْطِيهِ مَدَى النَّفَسِ

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِابْنِ دُرَيْدٍ لَمَّا نَزَلَ سِيرَافَ سُئِلَ أَنْ يَجْلِسَ لِلْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ فَأَبَى ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُسَاوِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُ، فَكَتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي قِبْلَةِ مَسْجِدِ سِيرَافَ وَانْصَرَفَ.

(١) أي صعب (٢) بالأصل « البر » تحريف ، والغلس : ظلمة آخر الليل
(٣) الخطل : الخفة والحمق والمنطق الكثير الفاسد . والمقتبس : الآخذ المستفيد

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِى سَعْدٍ السَّمْعَانِىِّ بِإِسْنَادٍ لَهُ قَالَ : أُلْقِيَتْ رُقْعَةٌ إِلَى أَبِى خَلِيفَةَ الْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْقَاضِى فِيهَا :

قُلْ لِلْحَكِيمِ أَبِى خَلِيفَه   يَا زَيْنَ شِيعَةِ أَبِى حَنِيفَه
إِنِّى قَصَدْتُكَ لِلَّذِى   كَاتَمْتُ مِنْ حَذَرٍ وَخِيفَه (١)
مَاذَا تَقُولُ لِطِفْلَةٍ   فِى الْحُسْنِ مَنْزِلُهَا شَرِيفَه ؟
تَصْبُو إِلَى زَيْنِ الْوَرَى   مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ عَفِيفَه (٢)

فَقَرَأَ الرُّقْعَةَ ثُمَّ كَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا :

يَا مَنْ تَكَامَلَ ظَرْفُهَا   حَالُ الْهَوَى حَالٌ شَرِيفَه
إِنْ كُنْتِ صَادِقَةَ الَّذِى   كَاتَمْتِ مِنْ حُزْنٍ وَخِيفَه
فَلَكِ السَّعَادَةُ وَالشَّهَا   دَةُ وَالْجَلَالَةُ يَا شَرِيفَه
هَذَا النِّصَاحُ (٣) بِعَيْنِهِ   وَبِهِ يَقُولُ أَبُو حَنِيفَه

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْإِمَامِ الْحَافِظِ حَقًّا صَدِيقِنَا وَمُفِيدِنَا أَبِى نَصْرٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ النَّفِيسِ بْنِ وَهْبَانَ مِنْ كِتَابِ الْإِرْشَادِ فِى مَعْرِفَةِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ تَصْنِيفِ الْخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٤) الْحَافِظِ الْقَاضِى ، أَنْشَدَنِى الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ الْوَزِيرُ ،

---

(١) كاتمت : كتمت عن غيرى وأخفيت عنه . والحذر والخيفة : بمعى واحد : الخوف (٢) ما بأس : ما زائدة ، والبأس : الحرج والخوف ، يقال : لا بأس عليك : لا خوف عليك ، والعفيفة : ذات العفة ، والعفة : الكف عما لا يحل ولا يجمل قولا أو فعلا (٣) النصاح بالكسر . الخيط والسلك (٤) عند الذهبي : هو ابن أحمد « طبقات الحفاظ ٣ ص ٣١٩ »

أَنْشَدَنِى أَبِى ، أَنْشَدَنِى أَبُو خَلِيفَةَ لِنَفْسِهِ :

شَيبَانُ وَالْكَبْشُ حَدَّثَانِى شَيْخَانِ بِاللّٰهِ عَالِمَانِ
قَالَا : إِذَا كُنْتَ فَاطِمِيًّا فَاصْبِرْ عَلَى نَكْبَةِ الزَّمَانِ

قَالَ : إِنِّى سَأَلْتُ أَبَا خَلِيفَةَ عَنِ الْكَبْشِ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِىُّ ، وَشَيْبَانُ هُوَ ابْنُ فَرُّوخٍ الْأُبُلِّىُّ ، قَالَ الْخَلِيلُ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مُحَمَّدٍ : هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا خَلِيفَةَ كَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّشَيُّعِ ، فَقَالَ نَعَمْ . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى سَعْدٍ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ لَهُ إِلَى أَبِى سَهْلٍ هَارُونَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الْأَسْتَرَابَاذِىِّ قَالَ : أَنْشَدَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ الْجُمَحِىُّ الْقَاضِى لِنَفْسِهِ :

وَمُتْعَبُ السَّفْرِ (١) مُرْتَاحٌ إِلَى بَلَدٍ
وَالْمَوْتُ يَرْصُدُهُ (٢) فِى ذَلِكَ الْبَلَدِ
وَضَاحِكٌ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْبًا مَاتَ مِنْ كَمَدِ
آمَالُهُ فَوْقَ ظَهْرِ النَّجْمِ شَامِخَةٌ
وَالْمَوْتُ مِنْ تَحْتِ إِطْلَيْهِ (٣) عَلَى الرَّصَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُعْطَ عِلْمًا فِى بَقَاءِ غَدٍ
مَاذَا تَفَكُّرُهُ فِى رِزْقِ بَعْدِ غَدِ ؟

(١) هم جماعة المسافرين (٢) أى يرقبه . (٣) أى خاصرتيه

قَرَأْتُ فِى كِتَابِ هَرَاةَ لِلْفَامِىِّ قَالَ: رُوِىَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدَوَيْهِ بْنِ سَدُوسِ بْنِ عَلِىِّ أَبِى عَبْدِ اللهِ الْمُسْنِدِىِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِى خَلِيفَةَ الْقَاضِى بِالْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ اللِّصُّ دَارَهُ فَصَاحَ ابْنُهُ بِاللِّصِّ، فَخَرَجَ أَبُو خَلِيفَةَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ وَقَالَ: أَيُّهَا اللِّصُّ، مَا لَكَ وَلَنَا؟ إِنْ أَرَدْتَ الْمَالَ فَعَلَيْكَ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ، إِنَّمَا عِنْدَنَا قِمَطْرَانِ [1]: قِمَطْرٌ فِيهِ أَحَادِيثُ، وَقِمَطْرٌ فِيهِ أَخْبَارٌ، إِنْ أَرَدْتَ الْحَدِيثَ حَدَّثْنَاكَ عَنْ أَبِى الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِىِّ، وَأَبِى عُمَرَ الْحَوْضِىِّ [2] وَابْنِ كَثِيرٍ وَهُوَ مُحَمَّدٌ [3] وَإِنْ أَرَدْتَ الْأَخْبَارَ أَخْبَرْنَاكَ عَنِ الرِّيَاشِىِّ عَنِ الْأَصْمَعِىِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ. فَصَاحَ ابْنُهُ إِنَّمَا كَانَ كَلْبًا. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى مَسَخَهُ كَلْبًا وَرَدَّ عَنَّا حَرْبًا.

وَذَكَرَ التَّنُوخِىُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَقَالَ فِى آخِرِهَا: فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: يَا مَوْلَاىَ، لَيْسَ إِلَّا الْخَيْرُ، إِنَّمَا هُوَ سِنَّوْرٌ. فَقَالَ أَبُو خَلِيفَةَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى مَسَخَهُ هِرًّا وَكَفَانَا شَرًّا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ تُحْكَى عَنْ أَبِى حَيَّةَ النُّمَيْرِىِّ مَشْهُورَةً عَنْهُ وَقَالَ فِى آخِرِهَا: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى مَسَخَهُ كَلْبًا وَرَدَّنَا حَرْبًا.

---

(١) القمطر: ما يصان به الكتب (٢) بهامش الأصل «اسمه أبو الحسين أحمد»
(٣) بهامش الأصل «ذكر العسقلانى أربعة محدثين، اسم كل واحد منهم محمد بن كثير»

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ :

حَدَّثَنِي أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ صَدِيقاً لِأَبِي خَلِيفَةَ الْقَاضِي اجْتَازَ عَلَيْهِ رَاكِباً وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ فَيُحَادِثَهُ . فَقَالَ : أَمْضِي وَأَعُودُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : إِيحَاشُكَ فَقْدٌ ، وَإِينَاسُكَ وَعْدٌ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو خَلِيفَةَ كَثِيرَ الِاسْتِعْمَالِ لِلسَّجْعِ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يَتَحَامَقُ(١) وَيَتَشَبَّهُ بِهِ يُعْرَفُ بِأَبِي الرَّطْلِ ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالسَّجْعِ هَزْلًا كُلَّهُ ، فَقَدَّمَتْ هَذَا الرَّجُلَ امْرَأَتُهُ إِلَى أَبِي خَلِيفَةَ وَهُوَ يَلِي قَضَاءَ الْبَصْرَةِ إِذْ ذَاكَ وَادَّعَتْ عَلَيْهِ الزَّوْجِيَّةَ وَالطَّلَاقَ ، فَأَقَرَّ لَهَا بِهِمَا . فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : أَعْطِهَا مَهْرَهَا . فَقَالَ أَبُو الرَّطْلِ : كَيْفَ أُعْطِيهَا مَهْرَهَا وَلَمْ تُقْلِعْ مِسْحَاتِي نَهْرَهَا(٢) ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : فَأَعْطِهَا نِصْفَ صَدَاقِهَا . فَقَالَ : لَا ، أَوْ أَرْفَعَ بِسَاقِهَا وَأَضَعَهُ فِي طَاقِهَا . فَأَمَرَ بِهِ أَبُو خَلِيفَةَ فَصُفِعَ(٣) . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَبَا الرَّطْلِ هَذَا ، كَانَ إِذَا سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : لَا نُنْكِرُ لِلَّهِ قُدْرَةً ، قَالَ هُوَ : وَلَا لِلْهِنْدِبَا(٤) خُضْرَةً .

---

(١) يتحامق . يتكلف الحماقة : وهى قلة العقل وفساده . (٢) المسحاة : ما يسحى به كالمجرفة إلا أنها من حديد ، والجمع مساح — والجملة كناية عن عدم تغشيه إياها (٣) صفع : ضرب على قفاه بجمع الكف ضربا غير شديد ، أو الصفع : الضرب ببسطة الكف (٤) الهندبا : بقل يؤكل

وَلا لِلزَّرْدَجِ (١) صُفْرَةً ، وَلا لِلنَّخْلَةِ بُسْرَةً (٢) ، وَلا لِلعُصْفُرِ حُمْرَةً (٣) ، وَلا لِلقَفَا نُقْرَةً .

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الإِيذَجِيُّ ، وَكَانَ يَخْلُفُ أَبَا عَلِيٍّ عَلَى الْقَضَاءِ بِإِيذَجَ وَرَامَهُرْمُزَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْحُكْمِ ، وَنَادَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ فِي وَزَارَتِهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَعَلَا مَحَلُّهُ عِنْدَهُ وَتَخَالَعَ وَتَهَتَّكَ (٤) فِيمَا لَا يَجُوزُ لِلقُضَاةِ ، وَكَانَ يُدْعَى بِالْقَضَاءِ وَيُخَاطِبُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي الْوَزَارَةِ فِي كُتُبِهِ بِسَيِّدِي الْقَاضِي ، وَكَانَ لَهُ مَحَلٌّ مَكِينٌ مِنَ الْأَدَبِ . قَالَ : وَرَدْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لِأَكْتُبَ الْعِلْمَ وَأَتَأَدَّبَ ، فَلَزِمَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِسْمَعِيُّ وَكُنْتُ أَقْتَصِرُ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ يَوْمًا وَقَدْ قَرَصَ (٥) الْهَوَاءُ :

أَيُّهَذَا الْفَتَى وَأَنْتَ فَتَى الدَّهْرِ إِذَا عَزَّ أَنْ يُقَالَ فَتَى
طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الشِّتَاءِ لَهُ
كَاسٌ وَكِيسٌ وَكُسْوَةٌ وَكِسَا (٦)

وَكَتَبَ فِي الرُّقْعَةِ : وَقَدْ بَقِيَتْ كَافٌ أُخْرَى لَوْلَا أَنِّي أُحِبُّ

---

(١) فى الأصل يعنى الزرنك وهو زهر الزعفران « قاله ابن البيطار »

(٢) البسرة : واحدة البسر وهو التمر اذا لون قبل النضج (٣) العصفر : صبغ يصبغ به الأثواب (٤) تخالع : استخف ، وتهتك : لم يبال أن يهتك ستره

(٥) أى اشتد برده (٦) الكاس : للشراب ، والكيس : للدراهم والكسوة : مطلق الثياب ، والكسا مقصور الكساء : ثوب معروف

تَقْلِيلَ الْمَئُونَةِ عَلَيْكَ لَذَكَرْتُهَا يَعْنِي الْكُسَّ(١) فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا الْتَمَسَهُ . قَالَ التَّنُوخِيُّ : وَحَدَّثَنِي قَالَ : كَانَ أَبُو خَلِيفَةَ الْقَاضِي صَدِيقاً لِأَبِي وَعَمِّي أَيَّامَ وَفَدَ إِلَى كُوَرِ الْأَهْوَازِ فِي فِتْنَةِ الزِّنْجِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ قَدِمْتُهَا مَعَ أَبِي فَأَنْزَلَنَا أَبُو خَلِيفَةَ دَارَهُ وَأَكْرَمَنَا وَأَمْكَنَنِي مِنْ كُتُبِهِ ، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا أُرِيدُ ، وَأَسْمَعُ كَيْفَ شِئْتُ ؟ وَأَكْتُبُ وَأَنْسَخُ لِنَفْسِي ، وَأُصُولُهُ لِي مَبْذُولَةٌ(٢) ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ جَلَسْنَا وَتَحَادَثْنَا ، فَرُبَّمَا أَحْبَبْتُ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ فَيُجِيبُنِي فَإِذَا أَضْجَرْتُهُ يَقُولُ : يَا بُنَيَّ رَوِّحْنِي(٣) فَأَقْطَعُ الْقِرَاءَةَ ، وَإِذَا اسْتَرَاحَ أَخْرَجَ مِنْ كُمِّهِ دَفْتَراً مِنْ وَرَقٍ أَصْفَرَ فَيَقُولُ : اقْرَأْ عَلَيَّ مِنْهُ فَإِنَّهُ خَطِّي ، وَمَا تَقْرَؤُهُ عَلَيَّ فَهُوَ مِنْ خَطِّ غَيْرِي ، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، وَكَانَ فِيهِ دِيوَانُ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ ، فَكَانَ يَبْكِي عَلَى مَوَاضِعَ مِنْهُ ، فَأَنْشَدْتُهُ لَيْلَةً الْقَصِيدَةَ الَّتِي فِيهَا الْبَيْتَانِ الْمَشْهُورَانِ(٤) — :

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

(١) بالضم للحر مولدة ، وبهامش الأصل قد نقل الحريرى عن ابن سكرة سبع كافات الشتاء فى المقامة الـ ٢٥
(٢) مبذولة : أى معطاة لى ليس هناك ما يمنعنى منها
(٣) روحنى . أرحنى
(٤) بهامش الأصل « ليراجع » كتاب الأغانى « ج ١٦ ص ١٥٣ »

إِنِّى لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ
أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

فَبَكَى عَلَيْهِمَا لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَادَ يَعْمَى، فَاسْتَطْرَفْتُ ذَلِكَ(١) وَعَجِبْتُ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعْتُ مَعَ الْمُفَجَّعِ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ وَاغْتَرَرْتُ(٢) بِهِ لِلْأَدَبِ وَاسْتَكْتَمْتُهُ إِيَّاهُ فَأَشَاعَهُ وَأَذَاعَهُ وَعَمِلَ:

أَبُو خَلِيفَةَ مَطْوِىٌّ عَلَى دَخَنٍ(٣)
لِلْهَاشِمِيِّينَ فِى سِرٍّ وَإِعْلَانِ
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ مَا يُخْفِى وَأُنْكِرُهُ
حَتَّى اصْطَفَى شِعْرَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانِ

وَأَنْشَدَنِيهَا لِنَفْسِهِ وَأَنْشَدَهَا غَيْرِى، فَكَتَبَهَا عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ فِى رُقْعَةٍ لَطِيفَةٍ وَجَعَلَهَا فِى مِقْلَمَتِهِ(٤) وَحَضَرْنَا عِنْدَ أَبِى خَلِيفَةَ فِى مَجْلِسٍ عَامٍّ فَنَفَضَ الرَّجُلُ مِقْلَمَتَهُ وَقَدْ أُنْسِىَ مَا فِيهَا فَسَقَطَتِ الرُّقْعَةُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَوَجَدَهَا أَبُو خَلِيفَةَ وَقَرَأَهَا فَاسْتَشَاطَ(٥). وَقَالَ ابْنُ الْإِيذَجِىِّ: قَبَّحَهُ اللهُ وَتَرَّحَهُ أَشَاطَ بِدَمِى(٦)؟ عَلَىَّ بِأَبِى الْعَبَّاسِ السَّاعَةَ، يَعْنِى وَالِدِى،

(١) أى عددته طريفا غريبا نادرا (٢) أى خدعت وظننت به الأمن فلم أتحفظ (٣) الدخن: الحقد وسوء الخلق (٤) المقلمة: وعاء أقلام الكتابة
(٥) أى التهب غضبا (٦) أشاط بدمى: عرضنى للقتل والهلاك

فجاءه وحدثه الحديث، فوقعت في ورطة (١) وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني (٢)، فحملت إليه ثيابا لها قدر، وأهديت إليه من مأكل الجند واعتذرت إليه، فرجع إلي وقبل عذري، وعاود تدريسي ومكنني من القراءة عليه، فقرأت كتاب الطبقات وغيره مما كان عنده. وقال: لا أظهر الرضا عنك أو تكذب نفسك، ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوبا دبيقيا (٣) حتى كف عن إنشاد الأبيات وجحدها (٤) واعتذر إلى أبي خليفة قال: وقال أبو علي عقيب هذا: أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية (٥) كأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي حاتم سهل السجستاني، وفلان وفلان وعدد جماعة. وقرأت بخط ابن مختار اللغوي المصري: أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جارية فوجدها خشنة فقال: ياجارية، هل من بزاق أو بصاق أو بساق؟، العرب تنقل السين صادا أو زايا، فتقول: أبو الصقر والزقر

(١) الورطة: الهلكة والشدة، وكل أمر شاق تعسر النجاة منه (٢) احتشمني: غضب وانقبض عني (٣) دبيقيا: منسوب إلى دبيق، بلد بمصر منها الثياب الدبيقية (٤) جحدها: أنكرها شدة الانكار (٥) الخوارج: قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة — سموا بذلك، لخروجهم على الجماعة. والشعوبية: فرقة لا تفضل العرب على العجم، وإنما تسوى بين الشعوب وإن كانت خرجت إلى ذم العرب

وَالسقرِ ، فقالَتْ : الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى مَا أَمَاتَنِى حَتَّى رَأَيْتُ جِرِى قَدْ صارَ ابْنُ الأَعْرَابِىّ يقرأُ عَلَيْهِ غرائبَ اللُّغَةِ .

٣٤ — الفَضْلُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو مُعَاذٍ النَّحْوِىُّ (*)

الفضل بن خالد المروزى

المَرْوَزِىُّ مَوْلَى بَاهِلَةَ ، رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَعُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمٍ . رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ وَأَهْلُ بَلَدِهِ ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ بْنُ الْبَيِّعِ فِى تَارِيخِ نَيْسَابُورَ .

قَالَ الأَزْهَرِىُّ : وَلِأَبِى مُعَاذٍ كِتَابٌ فِى الْقُرْآنِ حَسَنٌ . قُلْتُ : وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الأَزْهَرِىُّ فِى كِتَابِ التَّهْذِيبِ فَأَكْثَرَ ، وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ فِى تَارِيخِ الثِّقَاتِ فِى الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ سَوَاءً ، وَلَعَلَّ الْحَاكِمَ عَنْهُ نَقَلَ .

٣٥ — الفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ الْعَلَوِىُّ الْحَسَنِىُّ (*)

الفضل بن صالح العلوى

النَّحْوِىُّ أَبُو الْمَعَالِى الْيَمَانِىُّ ، مَاتَ فِى سَنَةِ نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : قَالَ : وَحَضَرَ نَيْسَابُورَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ مَشَايِخِنَا الَّذِينَ رَأَيْنَاهُمْ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَمِعَ فِى أَسْفَارِهِ الْكُتُبَ .

(*) ترجم له فى طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب طبقات المفسرين وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

٣٦ – الْفَضْلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ *

الفضل بن عمر الكاتب

أَبُو مَنْصُورٍ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الرَّائِضِ الْكَاتِبُ ، مِنْ أَهْلِ بَابِ الْأَزَجِ (١) ، كَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ ، قَرَأَ بِالْعَشْرِ عَلَى عَلِيِّ ابْنِ عَسَاكِرَ الْبَطَائِحِيِّ ، وَخَطُّهُ غَايَةٌ فِي الْجَوْدَةِ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ هِلَالٍ الْبَوَّابِ ، وَلِذَلِكَ أَوْرَدْنَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ . بَلَغَنِي أَنَّ مَوْلِدَهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّمِائَةٍ .

٣٧ – الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ *

الفضل بن محمد اليزيدى

يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا نَسَبَهُ وَنَسَبَ أَهْلِهِ وَالسَّبَبَ الَّذِي لِأَجْلِهِ سُمُّوا الْيَزِيدِيِّينَ فِي بَابِ جَدِّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ أَحَدَ الرُّوَاةِ الْعُلَمَاءِ ، وَالنُّحَاةِ النُّبَلَاءِ ، أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ الْكَثِيرُ ، وَرَوَاهُ مِنْ جِهَتِهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَمَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (٢) .

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الصُّولِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ : اجْتَمَعَ عِنْدِي يَوْمًا الْفَضْلُ

---

(١) باب الأزج : محلة ببغداد (٢) بهامش الأصل سقط هذا التاريخ من النسخة المطبوعة من الفهرست « ص ٥٠ »

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى هذه

(*) ترجم فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاه

اليَزِيدِىُّ وَالبُحْتُرِىُّ وأَبُو العَيْنَاء ، فجلس الفضلُ يُلقِى على بَعْضِ فِتيانِنا نَحْواً فقالَ لهُ أبو العَيْناء : هذا بابي وبابُ الوَالِدَةِ حفظها اللهُ . فغضبَ الفضلُ وانصرفَ ، وخرجَ البُحْتُرِىُّ إِلَى سامَرّا مِنْ بغدادَ وكتبَ إِلَىَّ شِعْراً أَوَّلُهُ :

ذَكَّرَتْنِيكَ رَوْحَةٌ لِلشَّمُولِ

وَهَجَا فيها الفضلَ فقالَ :

جَلَّ ما عِندهُ التردُّدُ فى الفا علِ مِنْ والِدَيهِ والمفعولِ

قالَ إِبْرَاهِيمُ : فأمرْتُ أَنْ يُكتَبَ جوابُ الكِتابِ وَيُوجَّهَ إِليهِ بمائةِ دِينارٍ . وَدَخلَ أَبُو العَيْنَاء فأقرأْتُهُ الشِّعْرَ فقالَ : أَعطِنِي نِصفَ المِائةِ فإِنَّهُ هجاهُ واللهِ بكلامى ، فأخذ خمسينَ ووَجَّهْتُ إِلَى البُحْتُرِىِّ بخمسينَ وعرَّفْتُه الخبرَ فكتبَ إِلَىَّ : صدقَ واللهِ ما بنَيتُ أبياتى إِلَّا على معناهُ .

وحدَّثَ المرزُبانىُّ فى كتابِ المُعْجَمِ قالَ : كتبَ الفضلُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ اليَزِيدِىُّ إِلَى أَبِي صالِحِ بْنِ يَزْدَادَ وَكانَ يُداعِبهُ وجرَتْ بينهُما جفوةٌ .

أَسْتَحِي مِنْ نَفْسِكَ فِى هَجْرِى وَأُعْرِفُ بِنَفْسِي أَنتَ لِى قَدْرِى
وَاذْكُرْ دُخُولِى لَكَ فِى كُلِّ مَا يَجْمُلُ أَوْ يَقْبُحُ مِنْ أَمْرِ
قَدْ مَرَّ لِى شَهْرٌ وَلَمْ أَلْقَكُمْ لا صَبْرَ لِى أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ

وَحدَّثَ ابْنُ ناقِياءَ فِى كِتابِ مُلَحِ المُمالَحَةِ قالَ : قالَ الفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ اليَزِيدِىُّ : كانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسّامٍ الكاتِبُ اشْتَرَى[1] مَنْزِلًا وآلَةً وطَعامًا وعَبِيدًا ، وكانَ ناقِصَ الأَدَبِ ، وكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى وَلَدِهِ ووَلَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْحاقَ بْنِ إِبْراهِيمَ لِيَقْرَءُوا عَلَىَّ الأَشْعارَ ، وكانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحاقَ سَرِيًّا جاهِلًا ، فَدَخَلْتُ يَوْمًا والسِّتارَةُ مَضْرُوبَةٌ ، ومُحَمَّدُ بْنُ بَسّامٍ وعَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحاقَ يَشْرَبانِ وأَوْلادُهُما بَيْنَ أَيْدِيهِما وكانُوا قَدْ تَأَدَّبُوا وفَهِمُوا ، فَغُنِّىَ بِشِعْرِ جَرِيرٍ :

أَلا حَىِّ الدِّيارَ بِسُعْدَ إِنِّى أُحِبُّ لِحُبِّ فاطِمَةَ الدِّيارا

فَقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحاقَ : لَوْلا جَهْلُ العَرَبِ ما كانَ ذِكْرُ لِسُعْدَ هٰهُنا . فَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَسّامٍ : لا تَفْعَلْ يا أَخِى فَإِنَّهُ يُقَوِّى مَعِدَتَهُمْ ويُصْلِحُ أَسْنانَهُمْ . قالَ الفَضْلُ اليَزِيدِىُّ : فَقالَ لِى عَلِىُّ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ : بِاللهِ يا أُسْتاذُ أَصْفَعْهُما وأَبْدَأُ بِأَبِى .

قالَ المُؤَلِّفُ : أَرادَ بِسُعْدَ هٰهُنا اسْمَ مَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ[2] ، وكَتَبَ الحَمْدُونِىُّ إِلَى الفَضْلِ :

يا أَبا العَبّاسِ إِنّا فِى نَعِيمٍ وسُرُورِ

---

(١) فى الأصل : أسرى (٢) سعد بضم الأول : قرية وماء ونخل من جانب اليمامة الغربى بقرقرى ، وبهامش الأصل « منافع السعد ذكرها ابن البيطار ج ٣ ص ١٥ وعنده ما يوضح معنى عبد الله بن إسحاق »

وَلَدَيْنَا أَسْعَدُ الْأُمَّـــةِ فِى كُلِّ الْأُمُورِ
مَا لَنَا عَيْبٌ سِوَى بُعْـــدِكَ فَامْنُنْ بِحُضُورِ

فَأَجَابَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

٣٨ – الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ *

الفضل بن محمد القصبانى

الْقَصَبَانِىُّ أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِىُّ الْبَصْرِىُّ ، كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ غَزِيرَ الْفَضْلِ إِمَامًا فِى عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الرِّحْلَةُ فِى زَمَانِهِ (١) وَكَانَ مُقِيمًا بِالْبَصْرَةِ ، مَاتَ فِى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِى أَيَّامِ الْقَائِمِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى ابْنُ التَّبْرِيزِىِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِىُّ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابٌ فِى النَّحْوِ ، وَكِتَابٌ فِى حَوَاشِى الصِّحَاحِ ، وَكِتَابُ الْأَمَالِى ، وَكِتَابٌ فِى أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمُخْتَارِهَا كَبِيرٌ وَسَمَهُ بِالصَّفْوَةِ .

قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَرِيرِىِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ : أَنْشَدَنَا شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْقَصَبَانِىُّ النَّحْوِىُّ لِنَفْسِهِ :

فِى النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مُسَّ بِإِضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا يُطْمَعُ فِى رِيحِهِ إِلَّا إِذَا أُحْرِقَ بِالنَّارِ

(١) أى كان يرحل إليه فى طلب العلم عليه والاستفادة منه
(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

﴿ ٣٩ – قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ بْنِ زِيَارٍ * ﴾

قابوس بن وشمكير الديلمى

الدَّيْلَمِيُّ الْمُلَقَّبُ بِشَمْسِ الْمَعَالِي مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ صَاحِبَ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ، وَكَانَ أَخُوهُ بِهِسْتُونُ (١) وَأَبُوهُ وَشْمَكِيرُ وَعَمُّهُ مَرْدَاوِيجُ مُلُوكَ الرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ مِنَ الدَّيْلَمِ لَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ فَاسْتَوْلَى عَلَى نَيْسَابُورَ فِي أَيَّامِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ، وَقَامَ بَعْدَهُ أَسْفَارُ بْنُ شِيرَوَيْهِ، وَكَانَ مَرْدَاوِيجُ بْنُ زِيَارٍ أَحَدَ قُوَّادِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ فَحَارَبَهُ فَظَفِرَ بِهِ مَرْدَاوِيجُ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مَكَانَهُ، وَعَمِلَ لِنَفْسِهِ سَرِيراً مِنْ ذَهَبٍ فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَاشْتَرَى عَبِيدًا كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ وَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا سُلَيْمَانُ وَهَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ، وَكَانَ فِيهِ ظُلْمٌ وَجَبَرُوتٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ غِلْمَانُهُ الْأَتْرَاكُ فَقَتَلُوهُ فِي الْحَمَّامِ، وَكَانَ بَنُو بُوَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَوَلَّاهُمْ وِلَايَةً اسْتَظْهَرُوا بِهَا عَلَيْهِ وَحَارَبُوهُ حَتَّى مَلَكُوا، وَأَمَّا هُوَ فَلَمَّا مَاتَ وَلَّتِ الدَّيْلَمُ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ وَشْمَكِيرَ، فَاسْتَوْلَى عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَرَكِبَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ فَرَساً لَهُ فَعَارَضَهُ خِنْزِيرٌ فَشَبَّ بِهِ الْفَرَسُ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ فَسَقَطَ عَلَى دِمَاغِهِ فَهَلَكَ.

(١) زدنا « أخوه بهستون » لتطابق كلمة ملوك وتتفق مع الواقع كما هو المذكور بعد

(*) ترجم له فى كتاب يتيمة الدهر

وَكَتَبَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَنْ رُكْنِ الدَّوْلَةِ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : أَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَغْنَانَا بِالْوُحُوشِ عَنِ الْجُيُوشِ : وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ بِهِسْتُونُ بْنُ وَشْمَكِيرَ مَقَامَهُ ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَبُو شُجَاعٍ فَنَاخُسْرُو ابْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ زَوْجَ ابْنَةِ بِهِسْتُونَ ، فَنَفَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمُطِيعِ وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَالْعَهْدَ عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَلَقَّبَهُ ظَهْرَ الدَّوْلَةِ ، وَوَصَلَهُ مَا نُفِّذَ إِلَيْهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَزَيَّنَ بِلَادَهُ لِلرَّسُولِ وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ عِنْدَ وُصُولِ الْخِلَعِ إِلَيْهِ وَنَثَرَ عَلَيْهِ النِّثَارَ (١) الْعَظِيمَ : وَنَفَذَ لِلْمُطِيعِ لِلهِ فِي جَوَابِ اللَّقَبِ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ وَالْخَيْلِ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ خَلَفَ أَخُوهُ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ ، وَنَفَذَ إِلَيْهِ الطَّائِعُ لِلهِ الْخِلَعَ وَالْعَهْدَ عَلَى طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ وَلَقَّبَهُ شَمْسَ الْمَعَالِي ، وَكَانَ فَاضِلًا أَدِيبًا مُتَرَسِّلًا (٢) شَاعِرًا ظَرِيفًا ، وَلَهُ رَسَائِلُ بِأَيْدِي النَّاسِ يَتَدَاوَلُونَهَا ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ مُكَاتَبَةٌ : مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ فِيهِ عَسْفٌ وَشِدَّةٌ فَسَئِمَهُ عَسْكَرُهُ فَتَغَيَّرُوا عَلَيْهِ وَحَسَّنُوا لِابْنِهِ مَنُوجِهْرَ حَتَّى قَبَضَ

(١) النثار : ما ينثر فى العرس للحاضرين من الكعك والخبيص ، والمراد : الهدايا المتنوعة الكثيرة (٢) أى منشئا للرسائل الأدبية .

عَلَى أَبِيهِ وَقَالُوا لَهُ : إِنْ لَمْ تَقْبِضْ أَنْتَ عَلَيْهِ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ ، وَإِذَا قَتَلْنَاهُ فَلَا نَأْمَنُكَ عَلَى نُفُوسِنَا فَنَحْتَاجُ أَنْ نُلْحِقَكَ بِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي الْقَلْعَةِ وَمَنَعَهُ مَا يَتَدَثَّرُ بِهِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ : أَعْطُونِي وَلَوْ جُلَّ دَابَّةٍ [1] حَتَّى هَلَكَ ، وَكَانَ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ فِي النُّجُومِ أَنَّ مَنِيَّتَهُ عَلَى يَدِ وَلَدِهِ ، فَأَبْعَدَ ابْنَهُ دَارًا لِمَا كَانَ يَرَاهُ مِنْ عُقُوقِهِ ، وَقَرَّبَ ابْنَهُ مَنُوجِهْرَ لِمَا رَأَى مِنْ طَاعَتِهِ وَكَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِسَبَبِهِ ، ثُمَّ إِنَّ مَنُوجِهْرَ قَتَلَ قَتَلَتَهُ ، وَكَانُوا سِتَّةً تَوَاطَئُوا عَلَيْهِ فَقَتَلَ خَمْسَةً وَهَرَبَ السَّادِسُ إِلَى خُرَاسَانَ فَقَبَضَهُ مَحْمُودُ ابْنُ سُبُكْتِكِينَ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِئَلَّا يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِ الْمُلُوكِ — فَقَتَلَ الْآخَرَ — ، ثُمَّ مَاتَ مَنُوجِهْرُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَامَ ابْنُهُ أَنُوشِرْوَانُ ابْنُ مَنُوجِهْرَ مَقَامَهُ ، وَتُوُفِّيَ أَنُوشِرْوَانُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ وُلِّيَ ابْنُهُ حَسَّانُ بْنُ أَنُوشِرْوَانَ .

وَمِنْ شِعْرِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَثِيرُ صَبَابَتِي ... فَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ ... فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

(١) الجل بالضم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به . والجمع جلال وأجلة

وَمِنْ رَسَائِلِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ : كَتَبْتُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — وَمَا فِي جِسْمِي جَارِحَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَوَدُّ لَوْ كَانَتْ يَداً تُكَاتِبُهُ ، وَلِسَاناً يُخَاطِبُهُ ، وَعَيناً تُرَاقِبُهُ ، وَقَرِيحَةً تُعَاتِبُهُ بِنَفْسٍ وَلْهَى (١) ، وَبَصِيرَةٍ وَرْهَى (٢) ، وَعَيْنٍ عَبْرَى (٣) ، وَكَبِدٍ حَرَّى (٤) ، مُنَازَعَةً (٥) إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْهُ ، وَتَمَسُّكاً بِمَا يَتَّصِلُ عَنْهُ ، وَمُثَابَرَةً (٦) عَلَى أَمَلٍ هُوَ غَايَتُهُ ، وَتَعَلُّقاً بِحَبْلِ عَهْدٍ هُوَ نِهَايَتُهُ ، وَخَاطِرِي (٧) يَمِيلُ نَحْوَهُ ، وَنَفْسِي تَأْمُلُ دُنُوَّهُ وَتَرْجُو وَتَقُولُ أَتَرَاهُ ، بَلْ لَعَلَّهُ وَعَسَاهُ يَرِقُّ لِنَفْسٍ قَدْ تَصَاعَدَ (٨) نَفَسُهَا ، وَيَرْحَمُ رُوحاً (٩) قَدْ فَارَقَهَا رَوْحُهَا وَمُؤْنِسُهَا ؟ وَكَيْفَ بِقَلْبِهِ لَوْ عَايَنَ صُورَةً هَذِهِ صُورَتُهَا ؟ وَشَاهَدَ مُهْجَةً (١٠) هَذِهِ جُمْلَتُهَا ؟ فَلْيَرْفُقْ جُعِلْتُ فِدَاهُ بِمَنْ عَانَدَ بَرْحاً عَظِيماً (١١) ، وَكَابَدَ قَرْحاً أَلِيماً (١٢) ، وَلْيَرِقَّ لِكَبِدٍ قَذَفَهَا

---

(١) أى حزينة . (٢) أى حمقاء خرقاء (٣) أى ذات عبرة وحزن .
(٤) أى شديدة العطش ، والمراد التلهف كالعطشان . (٥) أى اشتياقا ، وهو مصدر مفعول لأجله . (٦) أى مداومة . (٧) أى قلبي ، وهو مجاز ، وأصله الهاجس (٨) هذا كقولهم : تنفس الصعداء : أى تنفسا طويلا من تعب أو كرب
(٩) الروح : بضم الراء : ما به حياة الأنفس ، والروح بفتح الراء ، الراحة والرحمة والنصرة والعدل الذى يريح المشتكى والفرح والسرور . (١٠) المهجة : الروح
(١١) عاند : قاوم ، والبرح : بسكون الراء ، الشدة ، يقال : لقيت منه برحا بارحا : شدة وأذى . (١٢) كابد : قاسى وتحمل المشاق ، والقرح بالفتح : الجراحة ، وبالضم : ألمها ، والمناسب هنا الضم .

الْبِعَادُ، وَعَيْنٍ أَرَّقَهَا السُّهَادُ [1]، وَأَحْشَاءٍ مُحْرَقَةٍ بِنَارِ الْفِرَاقِ، وَأَجْفَانٍ مَقْرُوحَةٍ بِدَمْعِهَا الْمِهْرَاقِ [2]، وَقَلْبٍ فِي أَوْصَابِهِ [3] مُتَقَلِّبٍ، وَلُبٍّ فِي عَذَابِهِ مُعَذَّبٍ، فَلَوْ أَنِّي أُسْعِدْتُ فَأُعْطِيتُ الرِّضَا، وَخُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ الْمُنَى، لَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَتَصَوَّرَ صُورَتَكَ وَأُطَالِعَ طَلْعَتَكَ، وَأُمَثِّلَ لَهَا مِثَالِي لِتَرَاهُ، فَأُخْبِرُهَا بِكُنْهِ [4] حَالِي وَمَعْنَاهُ، لِتَرْفُقَ لِإِزَالَةِ مَا أَزَلَّهُ [5] الدَّهْرُ إِلَيَّ، وَلِتَتَلَطَّفَ لِإِمَاطَةِ مَا أَمَاطَهُ عَلَيَّ [6]، وَأَشْكُو بَعْضَ مَا نَابَنِي مِنْ نَوَائِبِهِ وَغَوَائِلِهِ [7]، وَأَطْلَقَنِي مِنْ أَشْرَاكِهِ وَحَبَائِلِهِ [8].

وَكَانَ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْهِ نَكْبَةٌ أَخْرَجَتْهُ مِنْ مَقَرِّ عِزِّهِ وَمَوْطِنِ مُلْكِهِ، فَشَتَّتَتْهُ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَأَلْحَقَتْهُ بِخُرَاسَانَ، فَأَقَامَ بِهَا بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ أَسْفَرَ صُبْحُهُ [9] وَفَازَ بَعْدَ الْخَيْبَةِ قِدْحُهُ [10]، وَتَحَرَّجَ الزَّمَانُ مِنْ جَوْرِهِ عَلَيْهِ [11] فَرَدَّ مُلْكَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ فِي حَالِ نَكْبَتِهِ [12]:

---

(١) أرقنى : أسهرنى ، والسهاد : الأرق بمعنى اليقظة . (٢) مقروحة : مجروحة والمهراق : المراق المصبوب (٣) أوصاب جمع وصب محركة : المرض والوجع الدائم (٤) الكنه : الحقيقة . (٥) ما أزله : ماأسقطه وأنزله (٦) الاماطة : التنحية والابعاد ، وأماطه على : أسدله (٧) نوائبه : مصائبه ، جمع نائبة ، وغوائله : دواهيه وشروره ، جمع غائلة . (٨) أطلقنى: أرسلنى ، والأشراك جمع شرك : وهو حبائل الصيد . (٩) أسفر صبحه : أضاء — والمراد انكشاف مانزل به (١٠) القدح بالكسر : السهم قبل أن ينصل ويراش وهو أيضا سهم الميسر ، والمراد : النصيب (١١) وتحرج الزمان الخ : تجنب الحرج أى الأثم . (١٢) جاء بهامش الأصل « ألف ليلة وليلة طبع مكناطين ج ١ ص ١١ ثمانية أبيات من هذه القصيدة »

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ؟
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ يَطْفُو فَوْقَهُ جِيَفٌ وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ؟
فَإِنْ تَكُنْ عَبِثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا
وَنَالَنَا مِنْ تَأَذِّي بُؤْسِهِ ضَرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

أَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَغَدَا الشَّرِيفُ (١) يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلًا وَيَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

وَقَوْلُهُ : وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ (٢) قَصَفَتْ
عِيدَانَ نَخْلٍ وَلَا يَعْبَأْنَ بِالرَّتَمِ (٣)
بَنَاتُ نَعْشٍ وَنَعْشٌ لَا كُسُوفَ لَهَا
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْهَا الدَّهْرَ فِي الرَّقَمِ (٤)

---

(١) كانت فى الأصل « الفراق » والصواب « الشريف » كما نبه بهامشه
(٢) أعصفت الرياح : اشتدت ، فهى معصفة ، وقصفت : كسرت ما يعترضها
(٣) الرتم : شجر بذره كالعدس واحده رتمة ، ولا يعبأن : لايبالين ، وجاء بهامش الأصل « فى النسخة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٨٥ ص ٢٨٠ نجد » يريد بدل نخل .
(٤) بنات نعش كبرى : وهي سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات . وصغرى وهي مثلها . واحدها ابن نعش ، ومنها : أى من دونها ، والرقم : السواد ويعنى به الخفاء للكسوف والخسوف .

وَكَتَبَ شَمْسُ الْمَعَالِى قَابُوسُ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ أَهْدَى لَهُ سَبْعَةَ أَقْلامٍ :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلا ... مٍ لَهَا فِى الْبَهَاءِ (١) حَظٌّ عَظِيمُ
مُرْهَفَاتٍ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْحَيْـ ... ـيَاتِ قَدْ جَازَ حَدَّهَا التَّقْوِيمُ (٢)
وَتَفَاءَلْتُ أَنْ سَتَحْوِى (٣) الْأَقَالِيـ ... ـيمَ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِقْلِيمُ

وَهَذَا يُشْبِهُ قَوْلَ ابْنِ الصَّابِئِ وَقَدْ ذُكِرَ فِى بَابِهِ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَكُنْتُ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّمَائَةٍ قَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَى الشَّامِ وَفِى صُحْبَتِى كُتُبٌ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ أَتَّجِرُ فِيهَا ، وَكَانَ فِى جُمْلَتِهَا كِتَابُ صُوَرِ الْأَقَالِيمِ لِلْبَلْخِىِّ نُسْخَةً رَائِقَةً مَلِيحَةَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ فَقُلْتُ فِى نَفْسِى : لَوْ كَانَتْ هَذِهِ النُّسْخَةُ لِمَنْ يَجْتَدِى بِهَا بَعْضَ الْمُلُوكِ وَيَكْتُبُ مَعَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ « وَقُلْتُهَا ارْتِجَالًا » لَكَانَ حَسَنًا ، وَالْأَبْيَاتُ فِى مَعْنَى أَبْيَاتِ قَابُوسَ ، وَلَمْ أَكُنْ شَهِدَ اللهُ وَقَعْتُ عَلَيْهَا (٤) وَلَا سَمِعْتُهَا . وَهِىَ :

---

(١) البهاء : الحسن والظرف . (٢) قوله كأنها ألسن الحيات الخ : أى أنها تشبه ألسن الحيات فى الحدة والأثر ، غير أنها معدلة بخلاف ألسن الحيات

(٣) أى تيمنت خيراً ، وستحوى من حواه يحويه : جمعه وملكه وأحرزه

(٤) أى عثرت عليها .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ جَارَ وَلَمْ أَجِدْ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْدَى عَلَى الدَّهْرِ (١) عَدْوَاكَا
رَكِبْتُ الْفَلَا يَحْدُو بِيَ الْأَمَلُ الَّذِي
يُدَنِّي عَلَى بُعْدِ التَّنَائِفِ مَثْوَاكَا (٢)
وَرُمْتُ بِأَنْ أُهْدِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً
فَلَمْ أَرَ مَا يُهْدِيهِ مِثْلِي لِشَرْوَاكَا (٣)
فَجِئْتُكَ بِالْأَرْضِينَ جَمْعًا تَفَاؤُلًا
لِعِلْمِي بِأَنَّ الْفَالَ رَائِدُ عُقْبَاكَ (٤)
فَخُذْ هَذِهِ وَاسْتَخْدِمِ الْفَلَكَ الَّذِي
بَرَاهُ إِلَهِي كَيْ يَدُورَ بِبُغْيَاكَا (٥)

ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ النُّسْخَةَ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ حَلَبَ بِتَخْيِيرِ الْمُشْتَرِي مِنْ غَيْرِ مَكْسَبٍ، وَجَرَتْ لِي فِيهَا قِصَّةٌ ظَرِيفَةٌ أُنَزِّهُ هَذَا السُّلْطَانَ عَنْ ذِكْرِهَا، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْحَظُّ حَرَمَنِي فَإِنَّهُ جَوَادٌ عِنْدَ

(١) أى من يستعدى على الدهر أى يستنصر به عليه (٢) الفلا : الصحراء . ويحدوبى : يبعثنى ويسوقنى ، والتنائف جمع تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس ، والثوى : مكان الاقامة . (٣) أى لمثلك (٤) الأرضين : ملحق بجمع المذكر السالم واحده أرض وسكنت هاؤها ضرورة ، والرائد : الجاسوس ، وعقبى الشىء : آخرته (٥) براه مخفف برأه . خلقه ، وفى الأصل « يراه » تحريف ، وببغياك : بما تبغيه وتطلبه

غَيْرِى . وَكَانَ السَّبَبُ فِى خُرُوجِ قَابُوسَ عَنْ دَارِ مُلْكِهِ وَلُحُوقِهِ بِخُرَاسَانَ : أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شُجَاعٍ فَنَّاخُسْرُو نَقَمَ(١) عَلَى أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ أَمْرًا خَالَفَهُ فِيهِ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، فَقَصَدَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى هَمَذَانَ وَكَانَ مَالِكَهَا وَمَا وَالاهَا فَهَرَبَ مِنْهُ حَتَّى لَحِقَ بِجِبَالِ طَبَرِسْتَانَ فَتَلَقَّاهُ قَابُوسُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ وَآوَاهُ ، فَأَنْفَذَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ الْآخَرَ الْمُلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ نَحْوَهُمَا فَانْحَازَا عَنْهُ(٢) وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَبَعَثَا إِلَى أَبِى الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمْجُورَ وَكَانَ يَتَوَلَّى إِمَارَةَ نَيْسَابُورَ وَمَادُونَ جَيْحُونَ مِنْ قِبَلِ السَّدِيدِ أَبِى صَالِحٍ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ السَّامَانِىِّ يَسْتَجْدِيَانِهِ وَيَسْتَعِينَانِهِ فَوَعَدَهُمَا وَأَبْطَأَ عَلَيْهِمَا لِانْحِلَالِ الْأَحْوَالِ(٣) بِخُرَاسَانَ لِاخْتِلَافِ الْأَيْدِى بِهَا ، فَسَارَا هَارِبَيْنِ حَتَّى وَرَدَا نَيْسَابُورَ وَمِنْهَا إِلَى بُخَارَى ، فَأَرْسَلَ صَاحِبُ بُخَارَى مَعَهُمَا جَيْشًا صُحْبَةَ تَاشٍ الْحَاجِبِ وَوَلَّاهُ نَيْسَابُورَ فَلَمْ يَصْنَعْ مَعَهُمَا شَيْئًا ، وَقَالَ قَابُوسُ فِى تِلْكَ الْحَالِ :

---

(١) نقم « كضرب وعلم » الخ : أنكره عليه وعابه وكرهه أشد الكراهة

(٢) أى عدلا عنه وتركاه جانبا (٣) أى انفكا كها واضطرابها

لَئِنْ زَالَ أَمْلاكِى وَفَاتَ ذَخَائِرِى
وَأَصْبَحَ جَمْعِى فِى ضَمَانِ التَّفَرُّقِ (١)
فَقَدْ بَقِيَتْ لِى هِمَّةٌ مَا وَرَاءَهَا
مَنَالٌ لِرَاجٍ أَوْ بُلُوغٌ لِمُرْتَقِ (٢)
وَلِى نَفْسُ حُرٍّ تَأْنَفُ الضَّيْمَ مَرْكَباً
وَتَكْرَهُ وِرْدَ الْمَنْهَلِ الْمُتَدَفِّقِ (٣)
فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِى فَلِلَّهِ دَرُّهَا
وَإِنْ بَلَغَتْ مَا تَرْتَجِيهِ فَأَخْلِقِ (٤) !
وَمَنْ لَمْ يُرِدْنِى وَالْمَسَالِكُ جَمَّةٌ
فَأَىَّ طَرِيقٍ شَاءَ فَلْيَتَطَرَّقِ (٥) ؟

وَلَهُ :

بِاللهِ لَا تَنْهَضِى يَا دَوْلَةَ السِّفَلِ
وَقَصِّرِى فَضْلَ مَا أَرْخَيْتِ مِنْ طِوَلِ (٦)

---

(١) يقول . لئن ذهب ملكى وضاعت أموالى وعدتى ، وانفض أشياعى ومؤيدى وتشتتوا ، فقد بقيت الخ (٢) الهمة : العزم القوى ، والمنال : اسم مكان ، والمرتقى : البالغ نهاية أمره بالصعود إليه (٣) جاء بهامش الأصل لعله « المترنق » يريد الكدر ، ولكن المعنى مستقيم على « المتدفق » إذ المراد أن النفس تكرهه إن كان فى ورده مساس بكرامتها . (٤) قوله فأخلق تعجب : أى فأجدر بها ما بلغته ، فهى جديرة به (٥) أى ومن لم يطلبنى مع كثرة الطرق الموصلة إلى ، وجوابه فليتطرق : فليتخذ أى طريق شاء (٦) السفل من الناس : أسافلهم وسقاطهم وهو جمع سافل ، والطول : الحبل

أَسْرَفْتِ فَاقْتَصِدِي جَاوَزْتِ فَانْصَرِفِي
عَنِ التَّهَوُّرِ (١) ثُمَّ امْشِي عَلَى مَهَلِ
مُخَدَّمُونَ وَلَمْ تُخْدَمْ أَوَائِلُهُمْ مُخَوَّلُونَ وَكَانُوا أَرْذَلَ الْخَوَلِ (٢)

فَأَمَّا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهَ فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ أَخُوهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ اسْتَدْعَاهُ ابْنُ عَبَّادٍ وَأَقَامَهُ مُقَامَ أَخِيهِ، وَأَمَّا قَابُوسُ فَإِنَّهُ لَمَّا تَطَاوَلَتْ مُدَّتُهُ وَلَمْ يَرَ عِنْدَ السَّامَانِيَّةِ نَاصِراً قَصَدَ أَطْرَافَ بِلَادِهِ فَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِ الْجُيُوشُ وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ، وَقَاتَلَ الْمُسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا حَتَّى عَادَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً. وَذَكَرَ أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَيْرُونِيُّ فِي رِسَالَةٍ لَهُ سَمَّاهَا التَّعَلُّلَ بِإِجَالَةِ الْوَهْمِ فِي مَعَانِي مَنْظُومِ أُولِي الْفَضْلِ قَالَ: وَكُنْتُ أَسْتَحْسِنُ مِنْ شَمْسِ الْمَعَالِي قَابُوسَ إِعْرَاضَهُ عَنْ إِنْشَادِ مَدَائِحِهِ فِي وَجْهِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ يُطْلِقُ لِلشُّعَرَاءِ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى بَابِهِ فِي النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ (٣) مِقْدَاراً مِنَ الْبِرِّ، وَيَرْسُمُ (٤) لِأَبِي اللَّيْثِ الطَّبَرِيِّ تَوْزِيعَهُ عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ رُتَبِهِمْ «وَيَقُولُ»: إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُسْتَمِيحُونَ (٥)

(١) التهور: عدم المبالاة (٢) مخدمون: كثيرو الخدم والحشم، ومخولون: مملكون ما خولهم الله من الخول أي النعم والعبيد والاماء وغيرها (٣) هما عيدان من أعياد الفرس، الأول لاستقبال الربيع، والثاني لاستدبار الخريف (٤) من باب نصر: بين، ومن ضرب لرسيم الابل: وهو نوع من سيرها (٥) أي طالبون العطاء على حسب تفاوتهم وطبقاتهم

بِمَا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ، لَكِنِّي لَا أَسْتَجِيزُ سَمَاعَ أَكَاذِيبِهِمُ الَّتِي أَعْرِفُ مِنْ نَفْسِي خِلَافَهَا، وَأَتَحَرَّزُ بِذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِغْبَانِ[1].

وَلِقَابُوسَ فَصْلٌ يُعَزِّي: حَشْوُ هَذَا الدَّهْرِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — أَحْزَانٌ وَهُمُومٌ، وَصَفْوُهُ مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ مَعْدُومٌ، فَمَا أَوْلَاهُ - أَيَّدَهُ اللهُ - بِأَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهُ، وَيَسْتَشِفَّ[2] ضُرُوبَهُ وَأَحْكَامَهُ، فَإِنْ وَجَدَ أَحَدًا سَلِمَ مِنْ وَجْدٍ أَوْ عَرِيَ مِنْ فَقْدٍ[3] لَقِيَ خِلَافَ الْمَعْهُودِ، وَحَقَّ لَهُ التَّأَسِّي[4] عَلَى الْمَفْقُودِ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ شَرَعٌ[5] وَأَنَّ الْبَاقِيَ لِلْمَاضِي تَبَعٌ قَدَّمَ مِنَ السَّلْوَةِ وَالصَّبْرِ، مَا لَا بُدَّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ آخِرَ الْأَمْرِ، لِيَحْصُلَ لَهُ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ، وَالسَّلَامُ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: قَالَ لِي الْبَدِيهِيُّ: مَدَحْتُ وَشْمَكِيرَ[6] بِمَدَائِحَ فَاحَتْ رَيَّاهَا شَرْقًا وَغَرْبًا، بُعْدًا وَقُرْبًا، فَمَا أَثَابَنِي عَلَيْهَا إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، وَقَصَدَهُ بَعْضُ الْأَغْتَامِ[7] مِنَ الْجِبَالِ فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ رَكِيكَةٍ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ تَعَلَّقُهَا بِالْهِجَاءِ

---

(١) الاستغبان من الغبن: الخداع والنقص فى الحقوق (٢) أى يتبينها ويستقصيها. (٣) عرى من فقد: خلا منه (٤) التأسى: الحزن
(٥) شرع محركة: أى سواء (٦) بهامش الأصل: «لعله قابوس بن وشمكير» وهو ما نؤيده (٧) الاغتام: جمع غتمى: وهو من لا يفصح شيئا كالأغتم

أَكْثَرُ مِنْ تَعَلُّقِهَا بِالْمَدِيحِ ، فَأَعْطَاهُ مَا أَغْنَاهُ وَأَعْقَابَهُ بَعْدَهُ ، فَشَكَوْتُ إِلَى ابْنِ سَاسَانَ ذَلِكَ فَقَالَ لِي : إِفْرَاطُ الْعِلْمِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ (١) ، وَالْجَدُّ وَالْعِلْمُ قَلَّمَا يَجْتَمِعَانِ ، وَالْكَدُّ لِلْعِلْمِ ، وَالْجَدُّ لِلْجَهْلِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ أَلْحَقَتِ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ

وَلِلصَّاحِبِ يَهْجُو قَابُوسَ :

قَدْ قَبَسَ الْقَابِسَاتِ قَابُوسُ (٢) وَنَجْمُهُ فِي السَّمَاءِ مَنْحُوسُ
وَكَيْفَ يُرْجَى الْفَلَاحُ مِنْ رَجُلٍ
يَكُونُ فِي آخِرِ اسْمِهِ بُوسُ ؟

فَأَجَابَهُ قَابُوسُ :

مَنْ رَامَ أَنْ يَهْجُو أَبَا قَاسِمٍ فَقَدْ هَجَا كُلَّ بَنِي آدَمِ
لِأَنَّهُ صُوِّرَ مِنْ مُضْغَةٍ تَجَمَّعَتْ مِنْ نُطَفِ الْعَالَمِ (٣)

قَالَ أَبُو سَعْدٍ الْآبِيُّ فِي تَارِيخِهِ : فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَانَتِ الْأَخْبَارُ تَوَاتَرَتْ بِمَوْتِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، ثُمَّ وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّهُ نُكِبَ وَأُزِيلَ عَنِ الْمُلْكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْرَفَ فِي الْقَتْلِ

(١) الجد بالفتح : الحظ والبخت (٢) قبس : أخذ ، والقابسات : المقتبسات وهى المكارم ، وقابوس فى اللغة معناه : الرجل الجميل الوجه الحسن اللون . ولكنه هنا لقب
(٣) فى هامش الأصل « كأنه يريد من عباد » أى من خلق كثير

وَتجاوَزَ الحَدَّ فى سَفكِ الدِّماء ، وَلَمْ يكُنْ يَعرِفُ حَدًّا فى التَّأْديبِ وَإقامَةِ السِّياسَةِ غَيْرَ ضَرْبِ الأَعْنَاقِ وَإِمَاتَةِ الْأَنْفُسِ ، وَكانَ يأْتِى ذَلِكَ فِى الأَقْرَبِ فالأَقْرَبِ ، والأَخصّ فالأَخصّ مِنَ الجُنْدِ وَالحَاشِيَةِ حَتّى أَفْنى جَميعَهُمْ وَأَتى عَلى جُلِّهِمْ ، وَأذلَّ الخَيْلَ وَأصْنافَ العَسْكَرِ لِلرَّعِيَّةِ وَجرّأَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَظَلَّمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ أَكابِرِ عَسْكَرِهِ إلّا قَتَلَهُ وَأَتى عَلى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَفَحَّصَ عَنِ الشَّكْوَى [1] ، أَصَحيحَةٌ أَمْ بَاطِلَةٌ ؟ فَتَبَرَّمَ بِهِ عَسْكَرُهُ وَحَاشِيَتُهُ [2] ، وَخَافُوا سَطْوَتَهُ وَلَمْ يَأْمَنُوا نَاحِيَتَهُ ، فَمَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَمالَئُوا عَلَيْهِ [3] ، وَتَعاهَدُوا وَتَحالَفُوا وَخَفِىَ الأَمْرُ ، لِأَنَّهُ كانَ خَرَجَ إِلَى حِصْنٍ بَناهُ وَسَمّاهُ « شَمْرَاباذ » ، وَعَزَمَ القَوْمُ أَنْ يَتَسَلَّقُوا عَلَيْهِ وَيَغْتالُوهُ وَقَدْ وَاطَأَهُمْ عَلَى الأَمْرِ جَميعُ مَنْ كانَ مَعَهُ فى الحِصْنِ ، فَتَعذَّرَ عَلَيْهِمُ الصُّعُودُ إِلَيْهِ وَالهُجُومُ عَلَيْهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ قَدْ أَصْبَحُوا وَقَدْ عَرَفَ الخَبَرَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَنَعَوْهُ إِلَى النَّاسِ [4] وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، فَانْتُهِبَتْ أَصْطَبْلاتُهُ ، وَسِيقَتْ دَوَابُّهُ وَبِغالُهُ ، وَلَمْ يَقْدِرْ هُوَ عَلَى مُفارَقَةِ المَوْضِعِ لِإعْوازِ الظُّهُورِ [5] الَّتِى تَحْمِلُ وَتَنْقُلُ عَلَيْها خَزَائِنَهُ ، وَكانَ عِنْدَهُ

(١) أى من غير أن يبحث عنها (٢) فتبرم الخ : ملوا وسئموا حكمه (٣) أى اجتمعوا وتعاونوا عليه . (٤) أى أخبروا بوفاته (٥) أى لتعذر الدواب وعدم وجودها

وَزِيرُهُ أَبُو العَبَّاسِ الغَانِمِيُّ فَاتَّهَمَهُ بِمُمَالَأَةِ الْقَوْمِ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَتَلَهُ. وَخَاطَبَ العَسْكَرُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَمِنْ جُرْجَانَ مَنُوجِهْرَ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُقِيماً بِطَبَرِسْتَانَ، فَاسْتَدْعَوْهُ وَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِالْحُضُورِ، وَأَنَّهُ مَتَى تَأَخَّرَ قَدَّمُوا غَيْرَهُ فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ فَقَلَّدُوهُ الْأَمْرَ وَبَلَغَ ذَلِكَ قَابُوسَ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ مَنْ غَدَرَ بِهِ، فَجَمَعَ أُمَرَاءَ الرُّسْتَاقِ (١) وَفَارَقَ الْمَكَانَ وَصَحِبَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْجُنْدِ، وَخَرَجَ إِلَى بِسْطَامَ (٢) مَعَ خَزَائِنِهِ وَأَسْبَابِهِ، وَتَبِعَهُ مَنُوجِهْرُ ابْنُهُ مَعَ الْعَسْكَرِ فَحَصَرَهُ، وَامْتَنَعَ هُوَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ، وَتَقَرَّرَ أَمْرُ ابْنِهِ مَنُوجِهْرَ وَلُقِّبَ «بِفَلَكِ الْمَعَالِي» وَكَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ «شَمْسَ الْمَعَالِي»، ثُمَّ وَرَدَ الْخَبَرُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بِصِحَّةِ مَوْتِ قَابُوسَ وَأَقَامَ التَّعْزِيَةَ فِي مَمَالِكِهِ عَنْهُ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي مَجْلِسِهِ بِقَلْعَةِ جَنَاشْكَ (٣) وَذُكِرَ أَنَّهُ اغْتِيلَ وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرْجَانَ وَدُفِنَ فِي مَشْهَدٍ عَظِيمٍ كَانَ بَنَاهُ لِنَفْسِهِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ وَبَالَغَ فِي تَحْصِينِهِ وَتَحْسِينِهِ.

---

(١) الرستاق: كلمة فارسية معربها رزداق: السواد والقرى.

(٢) بلدة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور (٣) من أشهر قلاع جرجان وأستراباذ مشهورة بالحصانة والعظمة

القاسم بن أحمد الأندلسى

٤٠ — القَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ المُوَفَّقِ أَبُو مُحَمَّدٍ الأَنْدَلُسِيُّ *

اللُّورَقِيُّ، يُلقبُ علمَ الدِّينِ، مَوْلِدُهُ فِيما أخبرَنى عَنْ نَفْسِهِ فى حُدُودِ سَنَةِ إِحْدَى وَستِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ إِمامٌ فِى العَرَبِيَّةِ وَعَالِمٌ بِالقُرْآنِ وَالقِرَاءَةِ، اشْتَغَلَ بِالأَنْدَلُسِ فِى صِبَاهُ، وَأَتعبَ نَفْسَهُ حَتَّى بَلَغَ مِنَ العِلْمِ مُنَاهُ، فَصَارَ عَيْناً لِلزَّمانِ يُنظَرُ بِهِ إِلَى حقَائِقِ الفَضَائِلِ، فَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ وَحَصلَ مِنهُ عَلَى أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَكُنتُ لَقِيتُهُ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ فِى سَنَةِ ثَمانَ عشْرَةَ وَستِّمائَةٍ، فَفُزْتُ مِنْ لِقَائِهِ بِالأُمْنِيَّةِ، وَاقْتَضَبْتُ مِنْ فَوائِدِهِ كُلَّ فَضِيلَةٍ شَهِيَّةٍ.

وَحَدَّثَنِى أَنَّهُ قَرَأَ القُرْآنَ بِمُرْسِيَةَ مِنْ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُرَادِىِّ المُرْسِىِّ، وَعَلى أَبِى الحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الشَّرِيكِ الدَّانِىِّ بِمُرْسِيَةَ. وَبِبَلَنْسِيَةَ عَلَى أَبِى عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ الغَافِقِىِّ الفَقِيهِ وَعَلى الشَّيْخِ المُقْرِىءِ أَبِى العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنِ اللهِ الأَنْدَلُسِىِّ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلى أَبِى الحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ الشَّرِيكِ المَذْكُورِ وَابْنِ نُوحٍ المَذْكُورِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَستِّمائَةٍ فَقَرَأَ بِهَا القُرْآنَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى الجُودِ غِيَاثِ بْنِ فَارِسِ بْنِ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

مَكِّيٍّ اللَّخْمِيِّ ، وَبِدِمَشْق عَلَى الشَّيْخِ الإِمَامِ تَاجِ الدِّينِ أَبِي الْيُمْنِ الْكِنْدِيِّ ، قَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ بِكِتَابِ الْمُهِجِ تَصْنِيفِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُقْرِىءِ ، وَكِتَابَ سِيبَوَيْهِ وَكَثِيراً مِنْ كُتُبِ الأَدَبِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَكْثَرَ سَمَاعَاتِهِ كَتَارِيخِ الْخَطِيبِ وَالْحُجَّةِ وَأَدَبِ الْكَاتِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ وُرُودُهُ إِلَى دِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَبِبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْبَقَاءِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْعُكْبَرَاوِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ، وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُ بِالْفِقْهِ وَالأُصُولِ وَعُلُومِ الأَوَائِلِ كَالْمَنْطِقِ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْغَايَةُ فِيهِ .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ الْمُفَصَّلِ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَكِتَابٌ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ الشَّاطِبِيِّ ، وَكِتَابُ شَرْحِ مُقَدِّمَةِ الْجُزُولِيِّ مُجَلَّدَانِ . وَأَنْشَدَنِي قَالَ : أَنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيُمْنِ لِنَفْسِهِ — رَحِمَهُ اللهُ — :

تَرَكْتُ قِيَامِي لِلصَّدِيقِ يَزُورُنِي
وَلَا عُذْرَ لِي إِلَّا الإِطَالَةُ فِي عُمْرِي
وَلَوْ بَلَغُوا مِنْ عَشْرِ تِسْعِينَ نِصْفَهَا (١)
تَبَيَّنَ فِي تَرْكِي الْقِيَامَ لَهُمْ عُذْرِي

---

(١) عشر تسعين : أى العشر المكملة للتسعين . ونصفها : خمسة ، أى صاروا فى الخامسة والثمانين

﴿ ٤١ — الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو ذَكْوَانَ الرَّاوِيَةُ * ﴾

القاسم بن اسماعيل الراوية

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ النَّدِيمُ قَالَ أَبُوسَعِيدٍ يَعْنِي السِّيرَافِيَّ : وَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُبَرِّدِ جَمَاعَةٌ نَظَرُوا فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَبَاهَتُهُ : مِنْهُمْ أَبُو ذَكْوَانَ الْقَاسِمُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ . وَلِأَبِي ذَكْوَانَ كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، وَوَقَعَ أَبُو ذَكْوَانَ إِلَى السِّيرَافِ أَيَّامَ الزَّنْجِ ، وَكَانَ عَلَّامَةً أَخْبَارِيًّا[١] قَدْ لَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَكَانَ التَّوَّزِيُّ زَوْجَ أُمِّ أَبِي ذَكْوَانَ .

﴿ ٤٢ — قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ نَاصِحِ * ﴾

قاسم بن أصبغ البيانى

ابْنِ عَطَاءٍ الْبَيَانِيُّ[٢] أَبُو مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ ، حَافِظٌ مُكْثِرٌ مُصَنِّفٌ ، كَانَ أَصْلُهُ مِنْ بَيَّانَةَ وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ ، وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ شَيْءٌ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ ، ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ : سَمِعَ مُحَمَّدَ ابْنَ وَضَّاحٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُشَنِيَّ وَجَمَاعَةً ، وَرَحَلَ

---

(١) أى عالما بالأخبار والسير . (٢) نسبة إلى بيانة : وهى قصبة كورة قبرة بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ٢ ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

فَسمِعَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ، وَأَبَا إِسْمَاعِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ ، وَالْحَارِثَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ ، وَأَبَا قِلَابَةَ الرَّقَاشِيَّ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ جَمَاعَةً ثُمَّ قَالَ وَغَيْرَهُمْ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا: كِتَابُ الْخَمْرِ [(١)]، وَكِتَابٌ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، وَكِتَابُ الْمُجْتَنَى عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ ابْنِ الْجَارُودِ الْمُنْتَقَى.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ [(٢)] : وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ انْتِقَاءً وَأَنْقَى حَدِيثاً وَأَعْلَى سَنَداً وَأَكْثَرُ فَائِدَةً ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي فَضَائِلِ قُرَيْشٍ ، وَكِتَابٌ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، وَكِتَابٌ فِي غَرَائِبِ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مِمَّا لَيْسَ فِي الْمُوَطَّإِ ، وَكِتَابٌ فِي الْأَنْسَابِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِيعَابِ [(٣)] . وَكَانَ مِنَ الثِّقَةِ وَالْجَلَالَةِ بِحَيْثُ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَغَيْرُهُمْ

﴿ ٤٣ – قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ السَّرَقُسْطِيُّ * ﴾

قاسم بن ثابت السرقسطى

ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ : هُوَ مُؤَلِّفُ كِتَابِ غَرِيبِ

(١) جاء بهامش الأصل لعله : « السنن » . (٢) بهامش الأصل يعنى : ابن حزم .

(٣) بهامش الأصل : قد ذكر الذهبي له كتبا غير هذه « ٣ — ٧ » .

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ٢ ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

الْحَدِيثِ ، رَوَاهُ عَنْهُ ٱبْنُهُ ثَابِتٌ وَلَهُ فِيهِ زِيَادَاتٌ ، وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ ، وَذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا شَآهُ[(١)] أَبُو عُبَيْدٍ إِلَّا بِتَقَدُّمِ الْعَصْرِ .

﴿ ٤٤ — الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُوَارِزْمِيُّ * ﴾

القاسم بن الحسين الخوارزمي

صَدْرُ الْأَفَاضِلِ حَقًّا[(٢)] ، وَوَاحِدُ الدَّهْرِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ صِدْقًا ، ذُو الْخَاطِرِ الْوَقَّادِ[(٣)] ، وَالطَّبْعِ النَّقَّادِ[(٤)] ، وَالْقَرِيحَةِ الْحَاذِقَةِ ، وَالنَّحِيزَةِ الصَّادِقَةِ[(٥)] ، بَرَعَ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ ، وَفَاقَ فِي نَظْمِ الشِّعْرِ وَنَثْرِ الْخُطَبِ ، فَهُوَ إِنْسَانُ عَيْنِ الزَّمَانِ[(٦)] ، وَغُرَّةُ جَبْهَةِ هَذَا الْأَوَانِ[(٧)] . سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : مَوْلِدِي فِي اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَحَضَرْتُ فِي مَنْزِلِهِ بِخُوَارِزْمَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ صَدْرًا يَمْلَأُ الصَّدْرَ[(٨)] ، ذَا بَهْجَةٍ سَنِيَّةٍ وَأَخْلَاقٍ هَنِيَّةٍ ، وَبِشْرٍ طَلْقٍ وَلِسَانٍ ذَلْقٍ[(٩)] ، فَمَلَأَ قَلْبِي وَصَدْرِي ، وَأَعْجَزَ وَصْفُهُ نَظْمِي وَنَثْرِي ، وَٱسْتَنْشَدْتُهُ مِنْ قِبَلِهِ فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي خُوَارِزْمَ ،

---

(١) ماشآه : ما سبقه (٢) أى رئيسهم ومقدمهم . (٣) أى صاحب القلب السريع التوقد فى النشاط والمضاء الحاد . (٤) أى صاحب الطبيعة والسجية السريعة النقد .
(٥) أى الطبيعة الصادقة . (٦) أى رئيس أهل زمانه . (٧) وغرة الخ : الغرة : بياض فى جبهة الفرس : يريد أنه ظاهر ذائع الصيت والشهرة فى أوانه .
(٨) صدرا الخ : أى تقدما ورياسة تملأ القلب (٩) يقال هو طلق الوجه بسكون اللام مع تثليث الطاء وطلق ككتف وأمير أى ضاحكه مشرق ، ويقال هو ذلق اللسان بفتح فسكون وكصرد وعنق وكريم : أى حديده بليغ .

فِى سَلْخِ ذِى الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتَّمائةٍ :

يَا زُمْرَةَ الشُّعَرَاءِ دَعْوَةَ نَاصِحٍ
لَا تَأْمُلُوا عِنْدَ الْكِرَامِ سَمَاحَا[1]
إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْرِهِمْ قَدْ أَغْلَقُوا
بَابَ السَّمَاحِ وَضَيَّعُوا الْمِفْتَاحَا

وَرَأَيْتُهُ شَيْخاً ، بَهِىَّ الْمَنْظَرِ ، حَسَنَ الشَّيْبَةِ ، كَبِيرَهَا ، سَمِيناً بَدِيناً عَاجِزاً عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَكَانَ لَهُ فِى حَلْقِهِ حَوْصَلَةٌ كَبِيرَةٌ[2] . وَقُلْتُ لَهُ : مَا مَذْهَبُكَ ؟ فَقَالَ : حَنَفِىٌّ وَلَكِنْ لَسْتُ خُوَارِزْمِيًّا لَسْتُ خُوَارِزْمِيًّا يُكَرِّرُهَا ، إِنَّمَا اشْتَغَلْتُ بِبُخَارَى فَأَرَى رَأْىَ أَهْلِهَا ، نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَزِلِيًّا رَحِمَهُ اللهُ. قَالَ : وَسَأَلَنِى قَاضِى الْقُضَاةِ بِخُوَارِزْمَ أَنْ أُنْشِئَ لَهُ أَبْيَاتاً يَكْتُبُهَا عَلَى جُدْرَانِ دَارٍ اسْتَحْدَثَ بِنَاءَهَا فَقُلْتُ :

مَنْ كَانَ يَفْخَرُ بِالْبُنْيَانِ وَالشُّرَفِ[3]
فَلَيْسَ فَخْرِى بِغَيْرِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
مَا قِيمَةُ الدَّارِ لَوْلَا فَضْلُ سَاكِنِهَا ؟
وَأَىُّ وَزْنٍ[4] بِدُونِ الدُّرِّ لِلصَّدَفِ ؟؟

(١) يازمرة الخ : الزمرة : الفوج والجماعة فى تفرقة . والسماح : العطاء (٢) الحوصلة : من الطير كالمعدة من الانسان ، أى هنة تشبه حوصلة الطائر (٣) الشرف : جمع شرفة ، ما أشرف من البناء ، والشرف : المجد والحسب (٤) أى قيمة ؟

إِنْ كَانَ يُعْجِبُنِى خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ
فَلَسْتُ أَكْرَمَ نَجْلٍ مِنْ بَنِى خَلَفِ
قَدْ صَحَّ لِى بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمِ
رِوَايَةُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَنْ سَلَفِى
إِنِّى لِمَنْ مَعْشَرٍ كَانَتْ مَعَايِشُهُمْ
بِالْقَصْدِ أَمَّا عَطَايَاهُمْ فَبِالسَّرَفِ (١)
قَوْمٌ مَتَى طَلَعَتْ لَيْلًا مَآثِرُهُمْ (٢)
رَأَيْتَ بَدْرَ الدُّجَى فِى زِىِّ مُنْخَسِفِ (٣)
بِدَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
أَنَّى تَوَجَّهْتُ فَالْإِقْبَالُ مُكْتَنِفِى (٤)؟

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ :

أَيَا سَائِلِى عَنْ كُنْهِ عَلْيَاهُ إِنَّهُ   لَأُعْطِىَ مَا لَمْ يُعْطَهُ الثَّقَلَانِ
فَمَنْ يَرَهُ فِى مَنْزِلٍ فَكَأَنَّمَا   رَأَى كُلَّ إِنْسَانٍ وَكُلَّ مَكَانِ

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ فِى أَنْبَاءِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الرُّسْتَانِىِّ ،

(١) القصد : التوسط بين الافراط والتقتير ، والسرف : الاسراف والافراط ، يتمدح بأن آباءه يقتصدون فى معيشتهم ويسرفون فى عطاياهم ، وهذا نهاية الكرم . (٢) أى أفعالهم الحميدة ومكارمهم المتوارثة . (٣) يقول إن مكارم آله إذا انتشرت أضاءت الكون وعمته ، حتى ترى القمر مظلما لا ضوء له لطغيانها عليه . (٤) الميمون طائره : المبارك الطلعة — أنى توجهت : ظرف مكان ، أى إلى أى مكان قصدت ، ومكتنفى : محيط بى .

ـ وَرِشْتَانُ مِنْ قُرَى مَرْغِينَانَ ، وَمَرْغِينَانُ مِنْ بِلَادِ فَرْغَانَةَ :ـ

فُدِيتَ إِمَامًا صِيغَ مِنْ عِزَّةِ النَّفْسِ
أَنَامِلُهُ وَالسُّحْبُ نَوْعَانِ مِنْ جِنْسِ (١)

أَشَدَّ ارْتِيَاحًا نَحْوَ طَلْعَةِ مُعْتَفٍ
مِنَ الْمُفْلِسِ الْخَاوِى الْيَدَيْنِ إِلَى الْفَلْسِ (٢)

وَأَفْقَهَ فِى تَدْرِيسِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَجْوَدَ مِنْ كَعْبٍ وَأَخْطَبَ مِنْ قُسِّ (٣)

مَنَاقِبُ لَوْ أَنَّ الْحَرَابِىَّ مَرَّةً
بَصُرْنَ بِهَا اسْتَنْكَفْنَ عَنْ خِدْمَةِ الشَّمْسِ (٤)

وَيَغْدُو عَلَى طِرْفٍ مِنَ الشُّقْرِ كُلَّمَا
رَأَتْهُ إِمَاءُ الْحَىِّ وَافَتْهُ لِلْقَبْسِ (٥)

عَلَى سَابِحٍ مِنْ خِلْقَةِ الْوَهْمِ طَالِعٍ
وَأَهْوَنُ شَىْءٍ عِنْدَهُ دَرْكُ الْأَمْسِ (٦)

---

(١) فديت مجهول : حماك الله ، وصيغ : أخذ وأنشى ، وأنامله والسحب نوعان من جنس ، كناية عن كثرة الكرم (٢) معتف : طالب المعروف ، والخاوى اليدين : الخالى اليدين ، كناية عن الافلاس والامحال . (٣) يريد بمحمد : الامام محمد صاحب أبى حنيفة النعمان ، ويريد بقس : قس بن ساعدة الايادى (٤) الحرابى جمع حرباء : دويبة تتلون ألواناً بحر الشمس ، يقول : إذا أبصرت الحرابى مناقبه وعرفتها استكبرت عن خدمة الشمس ، مع أنها تدور معها وتستقبلها بعينها لتستدفىء بها (٥) الطرف : الكريم من الخيل ، والشقر جمع أشقر وهو الأحمر حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب . وافته للقبس : جاءته للأخذ (٦) على سابح : فرس سريع ، وخلقة الوهم : فطرته وتركيبه . والطالع عند أصحاب الفأل : ما يتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب ، وأهون شىء الخ : أسهل شىء لديه معرفة حوادث اليوم الماضى

فَتًى ساوَمَتْهُ خَلْقَهُ وَهُوَ فاغِمٌ
وَلَا فَغْمَةَ الْمِسْكِ، الْخَرائِدُ لِلْعُرْسِ (١)
لَهُ الصَّفْوُ مِنْ وُدِّى وَإِخْوَتُهُ الْأُلَى
غَدَوْا مِنْ سِهامِ الزَّيْغِ لِلدِّينِ كَالتُّرْسِ (٢)
لِفِتْيانِ صِدْقٍ مَا اقْتَنَوْا (٣) طُولَ عُمْرِهِمْ
سِوَى الْبَحْثِ وَالْإِفْتاءِ وَالْوَعْظِ وَالدَّرْسِ
لِأَرْبَعَةٍ شادُوا الْهُدَى (٤) بَعْدَ شَيْخِهِمْ
فَقَدْ بُنِىَ الْإِسْلامُ مِنْهُمْ عَلَى خَمْسِ
بِنُورٍ إِلَهِىٍّ عَلَيْهِمْ وَزُهْدِهِمْ
وَعِلْمِهِمُ أَضْحَوْا مَلائِكَةَ الْإِنْسِ (٥)
فَعاشُوا لِتَرْشِيحِ الْهُدَى وَيَراعُهُمْ
بِصائِبَةِ الْأَحْكامِ يَقْطُرُ فِى الطِّرْسِ (٦)

وَقالَ بَعْضُ الْفُضَلاءِ الْخُراسانِيَّةِ فِى الْإِمامِ صَدْرِ الْأَفاضِلِ يَمْدَحُهُ :

---

(١) ساومته : طلبت منه ، والفاغم : المتطيب بالطيب ذى الرائحة الطيبة ، والفغمة : العبقة أى رائحة الطيب ، والخرائد جمع خريدة : وهى البكر التى لم تمس ، والعرس : الزفاف
(٢) سهام الزيغ : نبال الشك والجور عن الحق ، والترس : الوقاية وما يتوقى به
(٣) اقتنوا : ادخروا (٤) شادوا الهدى : رفعوا أعلام الدين والهداية
(٥) ملائكة الانس : رسلهم والمصطفون منهم (٦) ترشيح الهدى : تقويتها ورعايتها ، واليراع : القلم ، وصائبة الأحكام : الصواب منها ، والطرس : الورق

إِنَّ لِلْعَالَمِينَ فَخْرًا وَزَيْنًا ... وَجَمَالاً يَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْنِ
بِفَتًى وَافِرِ الْعُلُومِ نِقَابٍ(١) ... مِثْلُهُ مَا رَأَيْتُ قَطُّ بِعَيْنِي
لَيْسَ ذَاكَ الْفَتَى الْمُبَرِّزُ(٢) إِلَّا ... أَفْضَلَ النَّاسِ قَاسِمَ بْنَ الْحُسَيْنِ

وَحَدَّثَنِي صَدْرُ الْأَفَاضِلِ : قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ الْعِرَاقِيَّةِ فِي، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِي :

يَقُولُونَ إِنَّ الْأَصْمَعِيَّ لَبَارِعٌ ... وَبِالنَّحْوِ وَالْآدَابِ وَالشِّعْرِ عَالِمُ
كَذَا ابْنُ دُرَيْدٍ وَالْخَلِيلُ وَجَاحِظٌ ... وَكُلٌّ لِدُرِّ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ نَاظِمُ
فَقُلْتُ أَجَلْ ، قَدْ جَلَّ فِي النَّاسِ شَأْنُهُمْ ... وَأَفْضَلُ مِنْهُمْ صَدْرُ خُورِزْمَ(٣) قَاسِمُ

وَأَنْشَدَنِي صَدْرُ الْأَفَاضِلِ لِنَفْسِهِ :

أَتَحْمِلُ مِنِّي نَحْوَ ذَيَّالِكَ الرَّشَا ... سَلَامًا كَصُدْغَيْهِ وَحَالِي مُشَوَّشَا(٤) ؟
وَإِنِّي لِوَجْدِي أَسْتَفِيءُ لِذِي الْحِمَى ... بِشُعْلَةِ أَنْفَاسِي إِذَا اللَّيْلُ أَغْطَشَا(٥)

---

(١) نقاب : علامة . (٢) المبرز : الفائق أصحابه فضلا والموثوق بعقله ورأيه .

(٣) مخفف خوارزم مخفف خواررزم (٤) ذيالك : تصغير ذلك ، والرشا : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ، والمراد الحبيب المشبه به فى الرشاقة وخفة الحركة ، وحالى مشوشا : مضطرب من الوجد والشوق . (٥) أغطش الليل : أظلم

وَيَرْحَمُنِي الْعُذَّالُ حَتَّى يَقُولَ لِي
أَمُوقِدُ نَارٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ أَمْ حَشَا[1] ؟

وَهَلْ تَوَدُّ الْجَرْعَاءَ مِنِّي بِحَنَّةٍ
عَلَى طَرَفَيْهَا رَوْنَقُ الْعَهْدِ قَدْ مَشَى[2] ؟

وَإِنِّي قَدْ كَتَّمْتُ سِرِّي وَإِنَّمَا
بِرَغْمِي صَوْبُ الْمَدْمَعَيْنِ بِهِ فَشَا[3]

كَمَا أَنَّ صَدْرَ الشَّرْقِ أَخْفَى سَخَاءَهُ
وَلَكِنَّهُ بِشْرُ الْجَبِينِ بِهِ وَشَى[4]

مَتَى جُحِدَتْ نُعْمَاهُ أَنْهَضَ جُودُهُ
شُهُوداً مِنَ الْإِحْسَانِ لَا تَقْبَلُ الرِّشَا[5]

وَإِنْ هَزَّهُ الْإِطْرَاءُ ثُمَّ تَبَجَّسَتْ
أَيَادِيهِ لَمْ يَسْكَرْ لَهُ فَقَدِ انْتَشَى[6]

أَيَلْحَقُهُ الْوَهْمُ الْقَطُوفُ ، إِذَا سَعَى
لِإِدْرَاكِ غَايَاتِ الْعُلَا مُتَكَمِّشَا ؟[7]

---

(١) يرحمني العذال : يرق لي اللوام ، والحشا : ما في البطن من الامعاء وغيرها .

(٢) الجرعاء : الرملة الطيبة النبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، والحنة : المرة من الحنين ، وهو الترحم والشفقة ، ورونق العهد : حسنه — يقول : هل تمر بالجرعاء ترحماً وشفقة،وتتذكر العهد الذي بيننا ؟ (٣) فشا به : أظهره

(٤) وشى به : نم عليه . (٥) الرشا : الرشوة مثلثة الراء . (٦) تبجست أياديه : تفجرت، من تبجس الماء : إذا تفجر ، والمراد : العطاء الكثير ، وانتشى : عاوده مرة بعد أخرى (٧) القطوف: البطيء ، والمتكمش من الرجال : السريع ، والاستفهام للانكار ، أي لا يلحقه ولا يدركه

لَكَ الْمَنْهَلُ الْمِسْكِىُّ مَا زَالَ نَقْعُهُ
يُعَلِّلُ صِلاًّ فِى يَمِينِكَ أَرْقَشَا (١)

فَيَلْفِظُ فِى مَنْسَابِهِ مِنْ لُعَابِهِ
حُتُوفًا وَأَرْزَاقًا عَلَى حَسْبِ مَاتَشَا (٢)

وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا.

وَحَدَّثَنِى الْإِمَامُ صَدْرُ الْأَفَاضِلِ قَالَ: كَتَبَ إِلَىَّ الصُّوفِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالصَّوَّافِ يَسْأَلُنِى عَنْ بَيْتِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَهُوَ:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّ فِيهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَرْفُوعًا فَأَجَبْتُهُ:

أَفْدِى إِمَامًا وَمِيضُ الْبَرْقِ مُنْصَرِعٌ
مِنْ خَلْفِ خَاطِرِهِ الْوَقَّادِ حِينَ خَطَا (٣)

يَبْغِى الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنْ مَبَاحِثِهِ
أَمَا دَرَى أَنَّ مَا يَعْدُو الصَّوَابَ خَطَا؟ (٤)

الَّذِى يَحْضُرُنِى فِى هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْمَرْفُوعَاتِ اثْنَا عَشَرَ،

---

(١) المنهل المسكى : المورد الطيب الرائحة كالمسك ، والنقع : الماء المجتمع ، والصل : الثعبان ، والأرقش : المنقط من الحيات وهو أخبثها (٢) فيلفظ الخ : فيرمى فى انسيابه حتوفا : أى منايا للأعداء جمع حتف ، وأرزاقا : للأصحاب على وفق إرادتك ومشيئتك .

(٣) وميض البرق : لمعانه ، ومنصرع : مصروع ومهزوم ، وحين خطا : مشى ، من الخطو . (٤) يبغى الصواب لدينا : يطلب منا الصواب فى هذا السؤال والجواب عنه ، وما يعدو : ما يجاوز ، وخطا : هنا أصلها خطأ بالهمز ، لمقابلته بالصواب .

فَمِنْهَا قَوْلُهُ : فَمَنْ يَهْجُوهُ ، فِيهِ ثَلَاثَةُ مَرْفُوعَاتٍ ، الْمُبْتَدَأُ ، وَالْفِعْلُ الْمُضَارِعُ ، وَالضَّمِيرُ الْمُسْتَكِنُّ ، وَمِنْهَا الْمُبْتَدَأُ الْمُقَدَّرُ فِى قَوْلِهِ وَيَمْدَحُهُ ، الْمَعْنَى (١) : وَمَنْ يَمْدَحُهُ ، فَيَكُونُ هَاهُنَا عَلَى حَسَبِ الْمِثَالِ الْأَوَّلِ ثَلَاثَةُ مَرْفُوعَاتٍ أَيْضاً ، وَمِنْهَا الْمَرْفُوعَانِ فِى قَوْلِهِ وَيَنْصُرُهُ (٢) ، أَحَدُهُمَا الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ ، وَالثَّانِى الضَّمِيرُ الْمُسْتَكِنُّ ، وَمِنْهَا الْمَرْفُوعَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِى قَوْلِهِ سَوَاءٌ ، إِثْنَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِى مَقَامِ الْخَبَرَيْنِ لِلْمُبْتَدَأَيْنِ ، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ فِى كُلِّ وَاحِدٍ ضَمِيراً رَاجِعاً إِلَى الْمُبْتَدَإِ ، فَهَذَا يَاسَيِّدِى جَهْدُ الْمُقِلِّ (٣) وَغَيْرُ مَرْجُوٍّ قَطْعُ الْمَدَى مِنَ الْكُلِّ ، فَلْيَعْذِرْنِى سَيِّدِى قَبِلَ اللهُ مَعَاذِيرَهُ مِنَ الْمَرْفُوعِ الثَّالِثَ عَشَرَ ، فَإِنَّهُ لَعَمْرِى قَدِ اسْتَكَنَّ وَاسْتَتَرَ حَتَّى لَا أَعْرِفُ لَهُ عَيْناً ، وَكَيْفَ يُعْرَفُ لَهُ وِجَارٌ (٤) وَقَدْ صَارَ أَعْزَبَ (٥) مِنَ الْعَنْقَاءِ ، وَأَشَدَّ عَوَزاً مِنَ الْوَفَاءِ .

وَأَنْشَدَنِى صَدْرُ الْأَفَاضِلِ لِنَفْسِهِ :

سَرَى نَاشِداً أُنْسِى قَضِيبٌ مِنَ الْآسِ
فَنَاوَلَنِى الصَّهْبَاءَ وَالشَّهْدَ فِى كَاسِ (٦)

(١) يريد إذ المعنى ومن يمدحه لتضاد الفعلين (٢) لا يصح تقديمه من هنا لأنه معطوف على الفعل قبله بمعناه (٣) جهد المقل : أى طاقة القليل العلم مثلى . (٤) الوجار : جحر الضبع وغيره (٥) أعزب من العنقاء : أبعد منها وأخفى ، والعنقاء طائر محال الوجود ، يضرب به المثل فى استحالة وجود الشىء . (٦) ناشدا : طالبا ، أنسى : إيناسى وعدم وحشتى ، وقضيب من الآس : يريد حبيبته على التشبيه فى الرشاقة والحسن والطول ، والصهباء : الخمر ، والشهد : العسل ما دام لم يعصر من شمعه .

وَأَرْشَدَنِى وَهْنًا لِتَقْبِيلِ خَالِهِ (١)
وَمِيضُ ثَنَايَاهُ وَشُعْلَةُ أَنْفَاسِى

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يُلْقِى عَلَى جَمْرِ خَدِّهِ
مِنَ الطُّرَّةِ السَّوْدَاءِ ظُلَّةَ أَنْقَاسِ (٢)

إِذًا لَأَضَاءَ اللَّيْلَ حَتَّى انْجَلَتْ لَنَا
هَوَاجِسُ تُخْفِيهِنَّ أَفْئِدَةُ النَّاسِ (٣)

وَكَتَبَ الْإِمَامُ صَدْرُ الْأَفَاضِلِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ :

كِتَابِى إِلَى الْمَجْلِسِ الرَّفِيعِ جَمَالِ الْحَرَمَيْنِ ، إِمَامِ الْفَرِيقَيْنِ يُدِيمُ اللهُ رِفْعَتَهُ ثُمَّ يُدِيمُ ، وَيُنِيمُ عَنْهُ طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ (٤) ثُمَّ يُنِيمُ ، وَأَنَا إِلَيْهِ كَالصَّادِى إِلَى قَعْقَعَةِ الْجَمْدِ (٥) ، وَبِجَمَالِهِ (٦) كَهُوَ بِجَمَالِ الْمَجْدِ ، لَا أَرْوِى إِلَّا عَنْ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ (٧) وَلَا أَرْتَوِى إِلَّا مِنْ وِرْدِهِ وَزُلَالِهِ ، وَلَا أَتَحَسَّرُ إِلَّا عَلَى لَيَالٍ وَشَّيْتُهَا (٨) بِجِوَارِهِ ، ثُمَّ طَرَّزْتُهَا بِحِوَارِهِ :

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ بَاتَتْ كَأَنَّهَا
عَلَى حَدِّ سَيْفٍ يَنْ جَنْبَى يَنْتَضِى (٩)

(١) وهنا مصدر وهن : دخل فى الوهن من الليل أى فى جزء منه ، والخال : شامة فى الخد (٢) الطرة السوداء : عقرب الصدغ يعمل من الشعر ، والأنقاس : جمع نقس : وهو المداد (٣) هواجس : خواطر جمع هاجس ، أفئدة الناس : قلوبهم جمع فؤاد (٤) طوارق جمع طارقة : الداهية ، والحدثان : الليل والنهار (٥) الصادى : العطشان ، والقعقعة : الصوت ، والجمد : ما جمد من الماء (٦) بهامش الأصل : « لعله سقط مشغوف » ولانوافق عليه (٧) الافضال : الاحسان وإنالة الفضل (٨) وشيتها : نقشتها (٩) ينتضى : يستل من غمده

تَوَلَّى الصِّبَا وَالمَالِكِيَّةُ أَعْرَضَتْ

وَزَالَ التَّصَابِى (١) وَالشَّبَابُ قَدِ انْقَضَى

رَفَعَ اللهُ الْبَيْنَ مِنَ الْبَيْنِ (٢) ، حَتَّى أَرَى نُضَارَهُ فِي قَمِيصٍ مِنَ اللُّجَيْنِ (٣) .

وَمِنْ إِنْشَائِهِ إِلَى الدَّارِ الْعَزِيزَةِ بِبَغْدَادَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى : رَايَاتُ مَوْلَانَا الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ (٤) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الْإِمَامِ الَّذِى لَيْسَ لِلتَّابِعِينَ غَيْرُهُ إِمَامٌ ، وَلَا دُونَ عَتَبَتِهِ (٥) مُتَمَسَّكٌ وَاعْتِصَامٌ ، هِيَ الَّتِي لَمْ أَزَلْ أَدْعُو اللهَ أَنْ يَعْقِدَ بِعَذَبَاتِهَا (٦) النَّصْرَ ، وَيَجْعَلَ مِنْ أَشْيَاعِهَا الذِّئْبَ وَالنَّسْرَ ، تُسَايِرُهَا الْآمَالُ ، وَتَحُلُّ حَيْثُمَا رُفِعَتِ الْآجَالُ ، وَيَحْتَفُّ بِهَا الْجُدُودُ ، وَيُرَفْرِفُ عَلَيْهَا السُّعُودُ ، وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُهُ ، وَأَمَلٌ إِنْ لَمْ أَسْأَلْهُ فَقَدْ أُوتِيتُهُ ، مُنَى الْعَبْدِ أَنْ يَسْعَى إِلَى الْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ مَسْعَى الْقَلَمِ ، يَحْبُو عَلَى رَأْسِهِ لَا عَلَى الْقَدَمِ ، لِيَشَمَّ بِثَرَاهَا الثَّرِيِّ خَلْخَةَ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ (٧) ، وَيُعَفِّرَ

(١) التصابى : الميل إلى الصبوة واللهو واللعب (٢) البين : الأول الفراق ، والثانى كلمة تنصيف وتشريك وهى ظرف بمعنى وسط ومعنى الجملة ، رفع الله الفراق من وسطنا (٣) النضار : الذهب ، واللجين : الفضة (٤) الصوام : مبالغة فى الصائم وقوام : مبالغة فى قائم ، أى كثير الصيام والصلاة فى جوف الليل (٥) العتبة محركة : أسكفة الباب أو العليا من الأسكفتين ، وكل مرقاة من الدرج ، وهو مجاز عن جنابه ورحابه (٦) عذباتها جمع عذبة : وهى ما يسبل من العمامة بين الكتفين وهو مجاز أيضاً (٧) خلخة المسك : رائحته ، وثراها الثرى : ترابها الندى بعد الجدوبة واليبس

بِهَا جَبِينَهُ وَأَنفَهُ ، وَيُجِيلَ فِى مَسَارِحِ الْحَمْدِ طَرْفَهُ ، وَيَسْتَلِمَ عَتَبَةً بِهَا الْتَفَّ الثَّقَلَانِ ، وَدَانَتْ لَهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ حِرَانٍ ، لَكِنَّ الْحَوَادِثَ قَلَّمَا تُوَافِقُهُ ، وَالْأَيَّامَ تُمَاكِسُهُ [١] فِى ذَلِكَ وَتُضَايِقُهُ ، وَظَنِّى بِأَنَّ اللهَ سَوْفَ يُرِيكَ . وَلَمَّا وَرَدَ الرَّسْمُ [٢] — أَعْلَى نُورُ اللهِ بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا — ، تَلَقَّاهُ الْعَبْدُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى قِمَّةِ الِامْتِثَالِ ، وَفَضَّ خِتَامَهُ عَنِ الدُّرِّ الْمَكْنُونِ ، بَلْ أَنَاسِىِّ الْعُيُونِ [٣] ، وَعَنْ مَشْمُولٍ مِنَ الرَّوْضِ مَجْنُوبٍ [٤] ، وَكَلِمٍ عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مَكْتُوبٍ ، فَمَا زَالَتْ أَعْضَاؤُهُ تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ شِفَاهاً تُقَبِّلُهُ ، وَخَوَاطِرَ تَتَأَمَّلُهُ ، تَمَنِّياً يَلَذُّ بِهِ الْمُسْتَهَامُ ، وَيَحْلُو لَهُ الْغَرَامُ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْأَرَامِلَ وَالْأَيَامَى [٥] فَأَعْطَاهُمْ ، وَاسْتَحْضَرَ الْمَسَاكِينَ وَالْيَتَامَى فَأَغْنَاهُمْ ، وَأَنْحَى [٦] عَلَى مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَسْرَى فَأَعْتَقَهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ شُكْراً ، وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ أَكْنَافَ [٧] الْعَرْصَةِ الْفَيْحَاءِ مَرْتَعاً لِلْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

---

(١) تماكسه : تشاحه وتظالمه (٢) الرسم : الأمر (٣) أناسى العيون جمع إنسان العين : وهو سوادها (٤) مجنوب : أى أصابته ريح الجنوب ، وكذا المشمول : من أصابته ريح الشمال ، وهما متضادان (٥) الأرامل جمع أرملة : وهى المحتاجة أو المسكينة ، والأيامى جمع أيم : وهى من لا زوج لها بكرا أو ثيبا

(٦) أنحى على ما ملكت الخ : أقبل عليهم (٧) الأكناف : الجوانب والنواحى ، جمع كنف .

سَنَا جَبِينِكَ مَهْمَا لَاحَ فِى الظُّلَمِ
بِتْنَا نُطَالِعُ مِنْهُ نُسْخَةَ الْكَرَمِ
إِنْ يَزْرَعِ النَّاسُ فِى أَخْلَاقِهِمْ كَرَماً
فَالْبَذْرُ مِنْ جُودِكَ الطَّنَّانِ بِالدِّيَمِ (١)
تَبْدُو عَلَى أَشْقَرٍ خُضْرٍ حَوَافِرُهُ
بَحْراً يُلَاطِمُ أَمْوَاجاً عَلَى ضَرَمِ (٢)
تَشَمُّ عِنْدَكَ صِيدُ الْعُجْمِ خَلْخَلَةً
مِنَ الرَّغَامِ بِآنَافٍ مِنَ الْقِمَمِ (٣)
كَادَتْ لِحُبِّكَ تَأْتِى وَهْىَ سَاعِيَةٌ
عَلَى الرُّؤُوسِ بِدُونِ السَّاقِ كَالْقَلَمِ
مَنْ ظَنَّ غَيْرَ نِظَامِ الْمُلْكِ ذَا كَرَمٍ
نَادَى بِهِ لُؤْمُهُ اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمِ (٤)

لَمَّا أَنْشَدَنِى هَذَا الْبَيْتَ قَالَ لِى: مَنْ نِظَامُ الْمُلْكِ؟. قُلْتُ: أَنْتَ – حَرَسَكَ اللهُ – قَائِلُ الشِّعْرِ تَسْأَلُنِى عَنْ مَمْدُوحِكَ. فَقَالَ لِى مُتَبَسِّماً: لَسْتَ تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ. قَالَ: وَلَا أَنَا شَهِدَ اللهُ أَعْرِفُهُ، لِأَنِّى مَا تَعَرَّضْتُ لِمَدْحِ أَحَدٍ قَطُّ، وَلَا رَغِبْتُ

(١) الطنان: ذو الطنين وهو الصوت الذى له طنين يسمع ، والديم جمع ديمة: وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق (٢) يلاطم أمواجاً: يضاربها ، والضرم: اشتعال النار (٣) صيد العجم: ملوكهم ، جمع أصيد ، والقمة: أعلى الرأس وكل شىء (٤) استسمنت ذا ورم: مثل يضرب لمن يغتر بالظاهر المخالف حقيقة الواقع

فِى جِدَاهُ ، وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَفْضَلَ عَلَىَّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَإِنَّ الْغُرْبَةَ أَحْوَجَتْنِى إِلَيْهِ فَلَعَنَ اللهُ الْغُرْبَةَ . قُلْتُ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنِّى مَضَيْتُ إِلَى بُخَارَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَقَاصِدًا لِلْقِرَاءَةِ عَلَى الرَّضِىِّ ، فَاجْتَمَعَ إِلَىَّ أَوْلَادُ صَدْرِ جِيهَانَ (١) وَغَيْرُهُ فَقَدْ أُنْسِيتُ الْقِصَّةَ ، فَلَمَّا حَذَقُوا الْأَدَبَ بَرُّونِى بِسَبْعِينَ دِينَارًا رُكْنِيَّةً (٢) ، وَوَعَدُونِى بِوُعُودٍ جَمِيلَةٍ ، وَلَوْلَا الْحَاجَةُ وَالْغُرْبَةُ مَا قَبِلْتُهَا مِنْهُ ، وَلَقَدْ عَرَضَ عَلَىَّ الشِّهَابُ الْخَوْقِىُّ (٣) ، وَهُوَ أَحَدُ صُدُورِ خُوَارِزْمَ الْمُتَقَرِّبِينَ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَنْ يَنْصِبَ لِى مَنْصِبًا وَمَجْلِسًا بِطَرَّاحَةٍ سَوْدَاءَ (٤) إِلَى جَانِبِهِ ، وَيُعْطِينِى كُلَّ شَهْرٍ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ لِأَقْرَأَ الْأَدَبَ فَلَمْ أَفْعَلْ . قُلْتُ : فَمِنْ أَيْنَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ ؟ قَالَ لِى : خَلَّفَ لِى وَالِدِى قَدْرًا يَسِيرًا لَا يَقْنَعُ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَصْحَابُ الزَّوَايَا ، فَأَنَا أُنْفِقُهُ بِالْمَيْسُورِ ، وَأَتَلَذَّذُ بِالْغِنَى عَنِ الْجُمْهُورِ ، وَأَنَا أَقُولُ الشِّعْرَ وَالنَّثْرَ تَطَرُّبًا لَا تَكَسُّبًا ، وَأَسْتَعِيرُ اسْمًا لَا أَعْرِفُهُ :

أَفْدِيكَ ذَا مَنْظَرٍ بِالْبِشْرِ مُلْتَحِفٍ
عَنِ الْيَمِينِ وَلِلْإِقْبَالِ مُبْتَسِمِ

---

(١) مدينة بخراسان ينسب إليها أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير السامانية ببخارى وفى الأصل « جهان » محرفة (٢) أى من ضرب ركن الدولة بن بويه (٣) الحوق : كذا بالأصل ولعله « الحوفى » بالفاء كما ذكرنا (٤) الطراحة : فراش مربع يجلس عليه

يَدُ الجَلَالِ وَشَتْ (١) فِى لَوْحِ جَبْهَتِهِ :
«النَّاسُ مِنْ خَوَلِى وَالدَّهْرُ مِنْ خَدَمِى»

وَلَوْ أَنَافَ (٢) عَلَى هَامِ السُّهَا وَطَنِى
لَمَا لَوَتْ نَحْوَهُ أَجْيَادَهَا هِمَمِى

عَلَى النَّدَى وُقِفَتْ أَيَّامُهُ وَعَلَى
نَشْرِ الْمَحَامِدِ مِنْهُ أَلْسُنُ الأُمَمِ

مَا جِئْتُ أَخْدُمُهُ إِلَّا وَقَدْ سَحَقَتْ (٣)
يَدَا تَلَطُّفِهِ عِطْرًا مِنَ الشِّيَمِ

زَفَّ النَّدَى نَحْوَهُ بِكْرًا مُخَدَّرَةً
لَوْلَاهُ زُفَّتْ إِلَى كَفْنٍ (٤) مِنَ الْعَدَمِ

يُرِيهِ شِعْرِى نُجُومَ اللَّيْلِ طَالِعَةً
وَالنَّيِّرَيْنِ مَعًا مِنْ مَشْرِقِ الْكَلِمِ

لَا زَالَ مِثْلَ هِلَالِ الْعِيدِ حَضْرَتُهُ
فِى الْحُسْنِ وَالْيُمْنِ وَالْإِقْبَالِ وَالشَّمَمِ

---

(١) وشت : من الوشى : نقشت أى كتبت الشطر الثانى من البيت

(٢) أناف : ارتفع ، والسهى : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى — أى لو ارتفع فوق هذا النجم لما الخ (٣) سحقت : دقت ، والتلطف : الترفق فى الأمور ، والشيم : جمع شيمة : وهى التراب الذى يحفر من الأرض (٤) مخدرة : لازمة للخدر ، مستترة من الرجال ، والكفن : ما يكفن فيه الميت من الثياب : وسكنت عينه للشعر .

وَعَاشَ لِلْمُلْكِ يَحْمِيهِ وَيَنْصُرُهُ
فَالْمُلْكُ مِنْ دُونِهِ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ (١)

وَدَامَ كَالْيَمِّ لِلْعَافِينَ مُلْتَطِماً
بَنَانُهُ وَهُوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمِ (٢)

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْمَجْمَرَةِ فِى شَرْحِ الْمُفَصَّلِ صَغِيرٌ، وَكِتَابُ السَّبِيكَةِ فِى شَرْحِهِ أَيْضاً وَسَطٌ، وَكِتَابُ التَّجْمِيرِ فِى شَرْحِ الْمُفَصَّلِ أَيْضاً بَسِيطٌ، كِتَابُ شَرْحِ سَقْطِ الزَّنْدِ (٤) كِتَابُ التَّوْضِيحِ فِى شَرْحِ الْمَقَامَاتِ، كِتَابُ لَهْجَةِ الشَّرْعِ فِى شَرْحِ أَلْفَاظِ الْفِقْهِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُفْرَدِ وَالْمُؤَلَّفِ، كِتَابُ شَرْحِ النَّمُوذَجِ (٥)، كِتَابُ شَرْحِ الْأَحَاجِى لِجَارِ اللهِ، كِتَابُ خَلْوَةِ الرَّيَاحِينِ فِى الْمُحَاضَرَاتِ، كِتَابُ عَجَائِبِ النَّحْوِ، كِتَابُ السِّرِّ فِى الْإِعْرَابِ، كِتَابُ شَرْحِ الْأَبْنِيَةِ، كِتَابُ الزَّوَايَا وَالْخَبَايَا فِى النَّحْوِ، كِتَابُ الْمُحَصَّلِ لِلْمُحَصَّلَةِ فِى الْبَيَانِ، كِتَابُ عُجَالَةِ السَّفَرِ فِى الشِّعْرِ، كِتَابُ بَدَائِعِ الْمُلَحِ، كِتَابُ شَرْحِ الْيَمِينِىِّ لِلْعُتْبِىِّ.

---

(١) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم ، ومعنى الجملة ، فالملك بدونه ضائع

(٢) العافين : الطالبين للمعروف ، ملتطما : ملتصقا : ومرشوف : من الرشف : وهو المص (٤) سقط الزند مثلث السين : ما سقط قبل استحكام الورى ويؤنث

(٥) كانت فى الأصل : « الأنموذج » وهو خطأ فى اللغة ، وقد سبق الكلام فى ذلك وبين فى موضع آخر من هذا الكتاب أجمل تبيين

﴿ ٤٥ – القَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ أَبُو عُبَيْدٍ * ﴾

القاسم بن سلام

كَانَ أَبُوهُ رُومِيًّا مَمْلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَرَاةَ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ إِمَامَ أَهْلِ عَصْرِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ طَرَسُوسَ أَيَّامَ ثَابِتِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَمَعَ وَلَدِهِ وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ أَيَّامَ الْمُعْتَصِمِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ قَصَدَهَا مُجَاوِرًا (١) فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ عَنْ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَالْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ ، وَأَخَذَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَبِي زِيَادٍ الْكِلَابِيِّ ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ (٢) ، وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، وَالْفَرَّاءِ ، وَالْكِسَائِيِّ مِنَ الْكُوفِيِّينَ ، وَرَوَى النَّاسُ مِنْ كُتُبِهِ الْمُصَنَّفَةِ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ كِتَابًا فِي الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فَإِنَّهُ مُصَنِّفٌ حَسَنُ التَّأْلِيفِ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلُ الرِّوَايَةِ ، يَقْتَطِعُهُ (٣)

(١) مجاورا : معتكفا أو مقيما (٢) بضم الهمزة قياسا وبفتحها سماعا

(٣) أى يحجزه ويمنعه

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان

عَنِ اللُّغَةِ عُلُومٌ أُفْتَنَّ (١) فِيهَا . وَأَمَّا كِتَابُهُ الْمُتَرْجَمُ بِالْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى كِتَابٍ عَمِلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَعَهُ لِنَفْسِهِ . وَأَخَذَ كُتُبَ الْأَصْمَعِيِّ فَبَوَّبَ مَا فِيهَا وَأَضَافَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَرِوَايَاتٍ عَنِ الْكُوفِيِّينَ . وَأَمَّا كِتَابُهُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَكَذَلِكَ كِتَابُهُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ مُنْتَزَعٌ مِنْ كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا ثِقَةً وَرِعًا لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ . سَمِعَ مِنْ أَبِي زَيْدٍ شَيْئًا وَقَدْ أُخِذَتْ عَلَيْهِ مَوَاضِعُ فِي غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ ، وَكَانَ نَاقِصَ الْعِلْمِ بِالْإِعْرَابِ ، وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ : عَمِلْتُ كِتَابَ غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَجِئْتُ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ . وَذَكَرَهُ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَالَ : كَانَ مُؤَدِّبًا لَمْ يَكْتُبِ النَّاسُ أَصَحَّ مِنْ كُتُبِهِ وَلَا أَكْثَرَ فَائِدَةً . وَبَلَغَنَا أَنَّهُ إِذَا أَلَّفَ كِتَابًا حَمَلَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَيُعْطِيهِ مَالًا خَطِيرًا ، فَلَمَّا صَنَّفَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ عَقْلًا بَعَثَ (٢) صَاحِبَهُ عَلَى عَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ لَحَقِيقٌ أَلَّا يُحْوَجَ إِلَى طَلَبِ مَعَاشٍ ،

(١) افتن فيها : أخذ فى فنون من القول وأتى بالأفانين . وأفانين الكلام : أساليبه وأجناسه وطرقه (٢) أى حضه وحثه وحفزه

وَأَجْرَى لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ. وَسَمِعَهُ مِنْهُ يَحْيَى ابْنُ مُعِينٍ وَكَانَ دَيِّنًا وَرِعًا جَوَادًا، وَسَيَّرَ أَبُو دُلَفَ القَاسِمُ ابْنُ عِيسَى إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ يَسْتَهْدِي مِنْهُ أَبَا عُبَيْدٍ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ فَأَنْفَذَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ وَصَلَهُ أَبُو دُلَفَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَقَالَ: أَنَا فِي جَنْبَةِ(١) رَجُلٍ لَا يُحْوِجُنِي إِلَى غَيْرِهِ، فَلَمَّا عَادَ أَمَرَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَاشْتَرَى بِهَا سِلَاحًا وَجَعَلَهُ لِلثَّغْرِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُجَاوِرًا فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: يُحِبُّ اللهُ الْحَقَّ، أَبُو عُبَيْدٍ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ. قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ذَاكَ الْبَيَانُ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ وَضَعَ(٢). وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عُبَيْدٍ مَكَّةَ وَقَضَى حَجَّهُ أَرَادَ الِانْصِرَافَ فَاكْتَرَى إِلَى الْعِرَاقِ لِيَخْرُجَ فِي صَبِيحَةِ غَدٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَقَوْمٌ يَحْجُبُونَهُ وَالنَّاسُ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُصَافِحُونَهُ. قَالَ: فَلَمَّا دَنَوْتُ لِأَدْخُلَ مَعَ

---

(١) فى جنبة فلان: فى كنفه وناحيته (١) إذا وضع وضع: كناية عن أنه كان كافياً فى كل شىء

النَّاسِ مُنِعْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ : لِمَ لَا تُخَلُّونَ [١] بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا : إِي [٢] وَاللهِ ، لَا تَدْخُلْ إِلَيْهِ وَلَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَأَنْتَ خَارِجٌ غَداً إِلَى الْعِرَاقِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : فَإِنِّي لَا أَخْرُجُ إِذاً ، فَأَخَذُوا عَهْدِي ثُمَّ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ وَصَافَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فَاسَخَ [٣] كَرِيَّهُ وَسَكَنَ مَكَّةَ حَتَّى مَاتَ بِهَا وَدُفِنَ فِي دُورِ جَعْفَرٍ .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ : عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ أَرْبَعَةٌ : عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي زَمَانِهِ ، وَالشَّعْبِيُّ فِي زَمَانِهِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ فِي زَمَانِهِ ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فِي زَمَانِهِ . ثُمَّ قَالَ يَرْثِيهِ :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ قَدْ مَاتَ ابْنُ سَلَّامِ
وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مِحْجَامِ
كَانَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ رُبْعَ [٤] أَرْبَعَةٍ
لَمْ نَلْقَ مِثْلَهُمُ إِسْتَارَ أَحْكَامِ

إِسْتَارَ أَيْ أَرْبَعَةً . وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ

(١) لا تخلون بيني الخ : من خلى بينهما : تركهما يجتمعان (٢) إي : حرف جواب بمعنى نعم (٣) فاسخ كريه : نقض عقد مكاريه ، والمكارى : مكرى الدواب (٤) ربع أربعة : أي رابع أربعة أي واحدهم ، والاستار بالكسر في العدد : أربعة وفي الزنة : أربعة مثاقيل ونصف ، والأول المعنى ، والأحكام جمع حكم .

قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اللُّحَنَةُ (١) صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ : قِيلَ لِأَبِي عُبَيْدٍ وَقَدِ اجْتَازَ عَلَى دَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ كَانَ يَكْتُبُ عَنْهُ النَّاسُ وَكَانَ يُزَنُّ بِشَرٍّ (٢) إِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الدَّارِ يَقُولُ : أَخْطَأَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي مِائَتَيْ حَرْفٍ مِنَ المُصَنَّفِ . فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ — وَلَمْ يَقَعْ فِي الرَّجُلِ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ يُعْرَفُ بِهِ — : فِي المُصَنَّفِ مِائَةُ أَلْفِ حَرْفٍ ، فَلَمْ أُخْطِئْ فِي كُلِّ أَلْفِ حَرْفٍ إِلَّا حَرْفَيْنِ ، مَا هَذَا بِكَثِيرٍ مِمَّا اسْتُدْرِكَ عَلَيْنَا ، وَلَعَلَّ صَاحِبَنَا هَذَا لَوْ بَدَا لَنَا فَنَاظَرْنَاهُ فِي هَاتَيْنِ المِائَتَيْنِ بِزَعْمِهِ لَوَجَدْنَا لَهَا مَخْرَجاً .

وَحَدَّثَ عَنْ عَبَّاسٍ الخَيَّاطِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي عُبَيْدٍ فَاجْتَازَ بِدَارِ إِسْحَاقَ المَوْصِلِيِّ فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ عِلْمَهُ بِالحَدِيثِ وَالفِقْهِ وَالشِّعْرِ مَعَ عِنَايَتِهِ بِالعُلُومِ ! فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ يَذْكُرُكَ بِضِدِّ هَذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّكَ صَحَّفْتَ فِي المُصَنَّفِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ حَرْفاً . فَقَالَ : مَا هَذَا بِكَثِيرٍ ، فِي الكِتَابِ عَشَرَةُ آلَافِ حَرْفٍ مَسْمُوعَةٌ يُغْلَطُ فِيهَا بِهَذَا لَيَسِيرٌ ، لَعَلِّي لَوْ نَاظَرْتُ فِيهَا لَاحْتَجَجْتُ (٣) عَنْهَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ إِسْحَاقَ إِلَّا بِخَيْرٍ :

(١) اللحنة كهمزة : الكثير اللحن (٢) أى يتهم ويظن به الشر
(٣) أى دافعت عنها

قَالَ الزَّبِيدِيُّ : وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ هَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ فِي الْعَدَدِ امْتَحَنْتُ ذَلِكَ فِي الْمُصَنَّفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ حَرْفٍ وَتِسْعَمِائَةٍ وَسَبْعِينَ حَرْفًا . وَحَدَّثَ مُوسَى بْنُ نُجَيْحٍ السُّلَمِيُّ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فَسَأَلَهُ عَنِ الرَّبَابِ فَقَالَ : هُوَ الَّذِي يَتَدَلَّى دُونَ السَّحَابِ ، وَأَنْشَدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ حَسَّانَ :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ[1] السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ

فَقَالَ : لَمْ أَدْرِ هٰذَا ، فَقَالَ : الرَّبَابُ اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَأَنْشَدَ :

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْمَلَاحَةَ بَيْنَنَا وَكَسَا وُجُوهَ الْغَانِيَاتِ جَمَالَا
وَهَبَ الْمَلَاحَةَ لِلرَّبَابِ وَزَادَهَا فِي الْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ الْمَلَاحَةِ خَالَا

فَقَالَ : لَمْ أَدْرِ هٰذَا أَيْضًا ، فَقَالَ : عَسَاكَ أَرَدْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَبَابٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا سَبْعُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فَقَالَ : هٰذَا أَرَدْتُ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ . قَالَ : مِنَ الْبَصْرَةِ . قَالَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ ، عَلَى الظَّهْرِ أَوْ فِي الْمَاءِ ؟

(١) دوين : تصغير دون ، بمعنى تحت

قَالَ : فِى الْمَاء . قَالَ : كَمْ أَعْطَيْتَ الْمَلَّاحَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ . قَالَ : اُذْهَبْ اُسْتَرْجِعْ مِنْهُ مَا أَعْطَيْتَهُ وَقُلْ : لَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا ، فَعَلَامَ تَأْخُذُ مِنِّى الْأُجْرَةَ ؟ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلِأَبِى عُبَيْدٍ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ مَعَانِى الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ ، كِتَابُ الْأَمْوَالِ ، كِتَابُ النَّسَبِ ، كِتَابُ الْأَحْدَاثِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، كِتَابُ عَدَدِ آىِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ أَدَبِ الْقَاضِى ، كِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ ، كِتَابُ الْحَيْضِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الْحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ .

قَالَ عَلِىُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبِ الْمَشْعَرِىُّ عَنْ أَبِى عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ ابْنِ سَلَّامٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : هَذَا الْكِتَابُ « يَعْنِى غَرِيبَ الْمُصَنَّفِ » أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ : فَاسْتَفْهَمْتُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : قَدِمَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ وَهُوَ حَدَثٌ (١) فِى حَيَاةِ أَبِيهِ يُرِيدُ الْحَجَّ ،

(١) حدث محركة : فتى

فَنَزَلَ فِى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَّهَ إِسْحَاقُ إِلَى الْعُلَمَاءِ، فَأَحْضَرَهُمْ لِيَرَاهُمْ طَاهِرٌ وَيَقْرَأَ عَلَيْهِمْ، فَحَضَرَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَأُحْضِرَ ابْنُ الْأَعْرَابِىِّ وَأَبُو نَصْرٍ صَاحِبُ الْأَصْمَعِىِّ، وَوُجِّهَ إِلَى أَبِى عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فِى الْحُضُورِ فَأَبَى أَنْ يَحْضُرَ وَقَالَ: الْعِلْمُ يُقْصَدُ، فَغَضِبَ إِسْحَاقُ مِنْ قَوْلِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ يُجْرِى لَهُ فِى الشَّهْرِ أَلْفَىْ دِرْهَمٍ، فَقَطَعَ إِسْحَاقُ عَنْهُ الرِّزْقَ وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بِالْخَبَرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: قَدْ صَدَقَ أَبُو عُبَيْدٍ فِى قَوْلِهِ وَقَدْ أَضْعَفْتُ[1] لَهُ الرِّزْقَ مِنْ أَجْلِ فِعْلِهِ، فَأَعْطِهِ فَائِتَهُ[2] وَأَدِرْ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

٤٦ — الْقَاسِمُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ *

القاسم بن على الحريرى

ابْنِ الْحَرِيرِىِّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَصْرِىُّ، مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ قَرِيبٍ مِنَ الْبَصْرَةِ يُسَمَّى الْمَشَانَ، مَوْلِدُهُ وَمَنْشَؤُهُ بِهِ، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ فِى مَحَلَّةِ بَنِى حَرَامٍ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِى الْقَاسِمِ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَصَبَانِىِّ الْبَصْرِىِّ بِهَا، وَمَاتَ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ فِى سَادِسِ رَجَبٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمَائَةٍ عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَمَوْلِدُهُ

(١) أضعفت له الخ: ضاعفت له، أى جعلته ضعفين: والضعف بالكسر: المثل الواحد (٢) أى مافات منه

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له كذلك فى كتاب بغية الوعاة

فى حُدُودِ سنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبعمائَةٍ فى خِلافَةِ الْمُسْتَرْشِدِ ، وَبِالْبَصْرَةِ كَانَتْ وَفَاتُهُ ، وَكَانَ غَايَةً فى الذَّكاء وَالْفِطْنَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ وَتُقِرُّ بِنُبْلِهِ ، وَكَفَاهُ شَاهِداً كِتَابُ الْمَقَامَاتِ الَّتِى أَبَرَّ بِهَا عَلَى الْأَوَائِلِ (١) ، وَأَعْجَزَ الْأَوَاخِرَ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا الْفَضْلِ قَذِراً فى نَفْسِهِ وَصُورَتِهِ وَلِبْسَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، قَصِيراً ذَمِيماً بَخِيلاً مُبْتَلًى بِنَتْفِ لِحْيَتِهِ .

قَالَ الْعِمَادُ فى كِتَابِ الْخَرِيدَةِ : لَمْ يَزَلِ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ صَاحِبَ الْخَبَرِ بِالْبَصْرَةِ فى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ ، وَوَجَدْتُ هَذَا الْمَنْصِبَ لِأَوْلَادِهِ إِلَى آخِرِ الْعَهْدِ الْمُقْتَفَوِىِّ : أَخْبَرَنِى عَبْدُ الْخَالِقِ ابْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِىِّ بْنِ زَيْدَانَ الْمِسْكِىُّ الْبَصْرِىُّ بِهَا فى سَنَةِ إِثْنَتَىْ عَشْرَةَ وَسِتِّمائَةٍ فى صَفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَسْعُودِىُّ الْبَنْدَهِىُّ — قَالَ : وَكَانَ يَكْتُبُ هُوَ بِخَطِّهِ : الْفَنْجَدِيهِىُّ قَالَ : وَهِىَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ — قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الثِّقَةَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّقُورَ الْبَزَّازَ بِبَغْدَادَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الرَّئِيسَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْقَاسِمَ بْنَ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْحَرِيرِىَّ صَاحِبَ

---

(١) أبر بها على الأوائل : غلبهم وفاتهم

المَقَامَاتِ يَقُولُ : أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِىُّ (١) كانَ شَيْخًا شَحَّاذًا بَلِيغًا ، وَمُكْدِيًا (٢) فَصِيحًا ، وَرَدَ عَلَيْنَا البَصْرَةَ فَوَقَفَ يَوْمًا فى مَسْجِدِ بَنِى حَرَامٍ فَسَلَّمَ ثُمَّ سَأَلَ النَّاسَ ، وَكَانَ بَعْضُ الْوُلَاةِ حَاضِرًا وَالْمَسْجِدُ غَاصٌّ بِالْفُضَلَاءِ ، فَأَعْجَبَتْهُمْ فَصَاحَتُهُ ، وَحُسْنُ صِيَاغَةِ كَلَامِهِ وَمَلَاحَتُهُ ، وَذَكَرَ أَسْرَ الرُّومِ وَلَدَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِى الْمَقَامَةِ الْحَرَامِيَّةِ وَهِىَ الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُونَ . قَالَ : وَاجْتَمَعَ عِنْدِى عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَمَاعَةٌ مِنْ فُضَلَاءِ الْبَصْرَةِ وَعُلَمَائِهَا ، فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا شَاهَدْتُ مِنْ ذَلِكَ السَّائِلِ وَسَمِعْتُ مِنْ لَطَافَةِ عِبَارَتِهِ فِى تَحْصِيلِ مُرَادِهِ ، وَظَرَافَةِ إِشَارَتِهِ فِى تَسْهِيلِ إِيرَادِهِ (٣) ، فَحَكَى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ جُلَسَائِهِ أَنَّهُ شَاهَدَ مِنْ هَذَا السَّائِلِ فِى مَسْجِدِهِ مِثْلَ مَا شَاهَدْتُ ، وَأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ فِى مَعْنًى آخَرَ فَصْلًا أَحْسَنَ مِمَّا سَمِعْتُ ، وَكَانَ يُغَيِّرُ فِى كُلِّ مَسْجِدٍ زِيَّهُ وَشَكْلَهُ ، وَيُظْهِرُ فِى فُنُونِ الْحِيلَةِ فَضْلَهُ ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ جَرَيَانِهِ فِى مَيْدَانِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِى تَلَوُّنِهِ وَإِحْسَانِهِ ، فَأَنْشَأْتُ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ ثُمَّ بَنَيْتُ عَلَيْهَا سَائِرَ الْمَقَامَاتِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ شَىْءٍ صَنَعْتُهُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِىِّ فِى تَارِيخِهِ مِثْلَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ، وَزَادَ فِيهَا أَنَّ ابْنَ الْحَرِيرِىِّ عَرَضَ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ

(١) نسبة إلى سروج بلد قرب حران (٢) مكديا : سائلا ؛ من أكدى الرجل إكداء : سأل فهو مكد (٣) أى إحضاره

عَلَى أَنُو شِرْوَانَ بْنِ خَالِدٍ وَزِيرِ السُّلْطَانِ فَاسْتَحْسَنَهَا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهَا مَا يُشَاكِلُهَا ، فَأَتَمَّهَا خَمْسِينَ مَقَامَةً .

وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ : أَنَّ الْحَرِيرِيَّ لَمَّا صَنَعَ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ وَتَعَانَى[1] الْكِتَابَةَ فَأَتْقَنَهَا وَخَالَطَ الْكُتَّابَ، أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَ يَوْماً إِلَى دِيوَانِ السُّلْطَانِ وَهُوَ مُنْغَصٌ[2] بِذَوِي الْفَضْلِ وَالْبَلَاغَةِ ، مُحْتَفِلٌ بِأَهْلِ الْكِفَايَةِ وَالْبَرَاعَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ وُرُودُ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا فَضْلَهُ ، وَلَا أُشْهِرَ بَيْنَهُمْ بَلَاغَتُهُ وَنُبْلُهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ : أَيَّ شَيْءٍ تَتَعَانَى مِنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ حَتَّى نُبَاحِثَكَ فِيهِ ؟ فَأَخَذَ بِيَدِهِ قَلَماً وَقَالَ : كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْقَلَمِ فَقِيلَ لَهُ : هَذِهِ دَعْوَى عَظِيمَةٌ ، فَقَالَ : امْتَحِنُوا تَخْبُرُوا[3] ، فَسَأَلَهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَّا يَعْتَقِدُ فِي نَفْسِهِ إِتْقَانَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ ، فَأَجَابَ عَنِ الْجَمِيعِ أَحْسَنَ جَوَابٍ ، وَخَاطَبَهُمْ بِأَتَمِّ خِطَابٍ حَتَّى بَهَرَهُمْ ، فَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى الْوَزِيرِ أَنُو شِرْوَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ وَمَالَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَنَادَاهُ ، فَتَحَادَثَا يَوْماً فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، وَأَوْرَدَ

---

(١) وتعانى الكتابة : قاساها وعالجها وتناولها (٢) وهو منغص الخ : الضمير للديوان ، أى ممتلئ بهم ضيق عليهم . (٣) تخبروا : تعلموا حقيقتى وكنهى وخبرى

أَبْنُ الْحَرِيرِيّ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ الَّتِي عَمِلَهَا فِيهِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا أَنُو شِرْوَانَ جِدًّا وَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ يُضَافَ إِلَى هَذِهِ أَمْثَالُهَا وَيُنْسَجَ عَلَى مِنْوَالِهَا عِدَّةٌ مِنْ أَشْكَالِهَا . فَقَالَ : أَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ رُجُوعِي إِلَى الْبَصْرَةِ وَتَجَمُّعِ خَاطِرِي بِهَا ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَصَنَعَ أَرْبَعِينَ مَقَامَةً ، ثُمَّ أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَادَ وَهِيَ مَعَهُ وَعَرَضَهَا عَلَى أَنُو شِرْوَانَ فَاسْتَحْسَنَهَا وَتَدَاوَلَهَا النَّاسُ ، وَاتَّهَمَهُ مَنْ يَحْسُدُهُ بِأَنْ قَالَ : لَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ عَمَلِهِ لِأَنَّهَا لَا تُنَاسِبُ فَضَائِلَهُ وَلَا تُشَاكِلُ أَلْفَاظَهُ وَقَالُوا : هَذَا مِنْ صِنَاعَةِ رَجُلٍ كَانَ اسْتَضَافَ بِهِ وَمَاتَ عِنْدَهُ فَادَّعَاهَا لِنَفْسِهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْعَرَبُ أَخَذَتْ بَعْضَ الْقَوَافِلِ وَكَانَ مِمَّا أُخِذَ جِرَابٌ[١] بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ وَبَاعَهُ الْعَرَبُ بِالْبَصْرَةِ ، فَاشْتَرَاهُ ابْنُ الْحَرِيرِيّ وَادَّعَاهُ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي أَنَّهَا مِنْ عَمَلِهِ فَلْيَصْنَعْ مَقَامَةً أُخْرَى . فَقَالَ : نَعَمْ سَأَصْنَعُ ، وَجَلَسَ فِي مَنْزِلِهِ بِبَغْدَادَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ تَرْكِيبُ كَلِمَتَيْنِ وَالْجَمْعُ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ ، وَسَوَّدَ كَثِيرًا مِنَ الْكَاغِدِ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا فَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالنَّاسُ يَقَعُونَ فِيهِ وَيَغِيطُونَ فِي قَفَاهُ[٢] كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ ، فَمَا غَابَ عَنْهُمْ إِلَّا مُدَيْدَةً حَتَّى

(١) الجراب بالكسر : الوعاء مطلقاً ، أو المزود (٢) يدخلون فيه كينوطون

عَمِلَ عشْرَ مقَامَاتٍ وَأَضافها إِلَى تِلْكَ ، وَأَصعَدَ بها إِلَى بَغْدَادَ فَحِينَئِذٍ بَانَ فَضْلُهُ ، وعَلِمُوا أَنَّها مِنْ عَمَلِهِ ، وَكَانَ مُبْتَلَى بِنَتْفِ لحيَتِهِ ، فَلِذَلِكَ قولُ ابْنِ جكينا فيهِ :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبِيعَةِ الفَرَسِ يَنْتِفُ عثْنُونَهُ (١) مِنَ الهَوَسِ
أَنْطَقَهُ اللهُ بِالمَشَانِ وَقَدْ أَلْجَمَهُ فِي العِرَاقِ بِالخَرَسِ

وَقَرَأْتُ بِخطِّ صَدِيقِنَا الكَمَالِ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الدَّبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَابِرِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ حَاكِمُ سَاقِيَةِ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي وَالِدِي جَابِرُ بْنُ هِبَةِ اللهِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى القَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الحَرِيرِيِّ المَقَامَاتِ فِي شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ : وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ قَوْلَهُ :

يَا أَهْلَ ذَا المَغْنَى (٢) وُقِيتُمْ شَرًّا
وَلَا لَقِيتُمْ مَا بَقِيتُمْ ضُرًّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي اكْفَهَرَّا (٣)
إِلَى ذَرَاكُمْ شَعِثًا مُغْبَرًّا (٤)

أَنَّهُ سَغِبًا مُعْتَرًّا ، فَقَرَأْتُ كَمَا ظَنَنْتُ سَغِبًا مُعْتَرًّا ، فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ لَقَدْ أَجَدْتَ فِي التَّصْحِيفِ فَإِنَّهُ أَجْوَدُ ،

(١) عثنونه : لحيته ، والهوس محركة : طرف من الجنون وخفة العقل
(٢) المغنى : مكان الاقامة (٣) اكفهر الليل : اشتدظلامه (٤) الذرى بالفتح : الدار ، وقيل فناؤها ونواحيها ، والأشعث :مغبر الرأس متلبد الشعر لقلة تعهده

فَرُبَّ شَعِثٍ مُغْبَرٍّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ ، وَالسَّغِبُ الْمُعْتَرُّ مَوْضِعُ الْحَاجَةِ ؛ وَلَوْلَا أَنِّي قَدْ كَتَبْتُ خَطِّي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ عَلَى سَبْعِمِائَةِ نُسْخَةٍ قُرِئَتْ عَلَيَّ لَغَيَّرْتُ الشَّعِثَ بِالسَّغِبِ ، وَالْمُغْبَرَّ بِالْمُعْتَرِّ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَلَقَدْ وَافَقَ كِتَابُ الْمَقَامَاتِ مِنَ السَّعْدِ مَا لَمْ يُوَافِقْ مِثْلَهُ كِتَابٌ أَلِفْتُهُ (١) فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ حَقِيقَةِ الْجَوْدَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَاتَّسَعَتْ لَهُ الْأَلْفَاظُ ، وَانْقَادَتْ لَهُ نُورُ (٢) الْبَرَاعَةِ حَتَّى أَخَذَ بِأَزِمَّتِهَا (٣) وَمَلَكَ رِبْقَتَهَا (٤) ، فَاخْتَارَ أَلْفَاظَهَا وَأَحْسَنَ نَسَقَهَا (٥) ، حَتَّى لَوِ ادَّعَى بِهَا الْإِعْجَازَ لَمَا وَجَدَ مَنْ يَدْفَعُ فِي صَدْرِهِ (٦) وَلَا يَرُدُّ قَوْلَهُ ، وَلَا يَأْتِي بِمَا يُقَارِبُهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا ، ثُمَّ رُزِقَتْ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الشُّهْرَةِ وَبُعْدِ الصِّيتِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى اسْتِحْسَانِهَا مِنَ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ مَا اسْتَحَقَّتْ وَأَكْثَرَ .

وَمِنْ عَجِيبِ مَا رَأَيْتُهُ وَشَاهَدْتُهُ : أَنِّي وَرَدْتُ آمِدَ (٧) فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَنَا فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَرَيْعِهِ ، فَبَلَغَنِي أَنَّ بِهَا عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ (٨) بْنِ عَنْتَرٍ الْمَعْرُوفَ بِالشُّمَيْمِ الْحِلِّيِّ

---

(١) فى الأصل « إليه » وعلق عليه هامش الأصل بقوله : لعله « أعرفه » ولكن الأقرب ما أثبته وهو « ألفته » (٢) جمع نوار : وهي البقرة النافرة وفى الأصل « وفور » تحريف (٣) بأزمتها جمع زمام : وهو حبل القياد (٤) الربقة : حبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، واحده ربقة . والمراد شدة تمكنه منها (٥) أى ترتيبها (٦) أى من يزاحمه (٧) آمد : بلد من بلاد ديار بكر من بلاد الكرد (٨) فى الأصل « الحسين » والصواب الحسن

وَكَانَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ مَكِينٍ ، وَأَعْتَاقَ مِنْ حِبَالِهِ بِرُكْنٍ رَكِينٍ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يُقِيمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا الْمُتَأَخِّرِينَ وَزْنًا ، وَلَا يَعْتَقِدُ لِأَحَدٍ فَضِيلَةً ، وَلَا يُقِرُّ لِأَحَدٍ بِإِحْسَانٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ وَلَا حُسْنٍ ، فَحَضَرْتُ عِنْدَهُ وَسَمِعْتُ مِنْ لَفْظِهِ إِزْرَاءَهُ (١) عَلَى أُولِي الْفَضْلِ ، وَتَنْدِيدَهُ (٢) بِالْمَعِيبِ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَلَمَّا أَبْرَمَنِي وَأَضْجَرَ ، وَامْتَدَّ فِي غَيِّهِ وَأَصْحَرَ (٣) ، قُلْتُ لَهُ : أَمَا كَانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَشَغَفِ النَّاسِ بِهِمْ عِنْدَكَ قَطُّ مُجِيدٌ ؟ فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ : الْمُتَنَبِّي فِي مَدِيحِهِ خَاصَّةً ، وَلَوْ سَلَكْتُ طَرِيقَهُ لَمَا بَرَّزَ عَلَيَّ (٤) ، وَلَسُقْتُ فَضِيلَتَهُ نَحْوِي وَنَسَبْتُهَا إِلَيَّ . وَالثَّانِي ابْنُ نُبَاتَةَ فِي خُطَبِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ خُطَبِي أَحْسَنَ مِنْهَا وَأَسْيَرَ (٥) ، وَأَظْهَرَ عِنْدَ النَّاسِ قَاطِبَةً وَأَشْهَرَ . وَالثَّالِثُ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ . قُلْتُ : فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْلُكَ طَرِيقَتَهُ وَتُنْشِئَ مَقَامَاتٍ تُخْمِدُ بِهَا جَمْرَتَهُ ؟ وَتَمْلِكُ بِهَا دَوْلَتَهُ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ ، وَلَقَدْ أَنْشَأْتُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَتَأَمَّلُهَا فَأَسْتَرْذِلُهَا ، فَأَعْمِدُ إِلَى

(١) أى عيبه (٢) أى تصريحه بالعيب عليهم وتقبيح شأنهم (٣) أصحر الرجل : خرج إلى الصحراء ، والصحر : الأسد ، والمراد التظاهر بالخروج عن جادة الصواب (٤) أى فاقنى (٥) أي أكثر سيرا بين الناس وشيوعا

البِرْكَةِ فَأَغْسِلها ثُمَّ قَالَ : مَا أَظُنُّ اللهَ خَلَقَنِي إِلَّا لإِظْهَارِ فَضْلِ الْحَرِيرِيِّ . وَشَرَحَ مَقَامَاتِهِ بِشَرْحٍ قُرِئَ عَلَيْهِ وَأُخِذَ عَنْهُ .

وَكَتَبَ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ :

وَمَا نَوْمَةٌ بَعْدَ الضُّحَى لِمُسَهَّدٍ
زَوَى هَمُّهُ بِاللَّيْلِ عَنْ جَفْنِهِ السِّنَهْ (١)

بِأَحْلَى مِنَ الْبُشْرَى بِأَنَّ رِكَابَكُمْ
سَتَسْرِي إِلَى بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَهْ

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِبَعْضِ أُدَبَاءِ الْبَصْرَةِ : قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ حَرَسَ اللهُ نِعْمَتَهُ مُعَايَاةً (٢) :

مِيمَ مُوسَى مِنْ نُونِ نَصْرٍ فَفَسِّرْ
أَيُّهَذَا الْأَدِيبُ مَاذَا عَنَيْتُ ؟

تَفْسِيرُهُ : مِيمَ الرَّجُلُ : إِذَا أَصَابَهُ الْمُومُ وَهُوَ الْبِرْسَامُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَشَدُّ الْجُدَرِيِّ . وَنُونُ نَصْرٍ : حُوتُ نَصْرٍ ، وَالنُّونُ السَّمَكَةُ ، يَعْنِي أَنَّهُ أَكَلَ سَمَكَةَ نَصْرٍ فَأَصَابَهُ الْمُومُ .

وَلَهُ فِي مِثْلِهِ :

بَاءَ بَكْرٌ بِلَامِ لَيْلَى فَمَا يَنْـ ... ـفَكُّ مِنْهَا إِلَّا بِعَيْنٍ وَهَا

بَاءَ : أَيْ أَقَرَّ ، وَاللَّامُ : الدِّرْعُ ، فَلَمَّا أَقَرَّ لِلَيْلَى بِهِ أَلْزَمَتْهُ

---

(١) المسهد : المؤرق الذي لم ينم . وزوى الخ : نحى وصرف ، والسنة : النوم الخفيف . (٢) المعاياة : الاتيان بكلام لايهتدى له كالألغاز والأحاجى .

فَلَا يَنفكُّ مِنْهَا إِلَّا بِعَيْنٍ أَيْ بِالدِّرْعِ بِعَيْنِهِ وَهَاء أَيْ خُذِي.

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الدِّبِيثيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ جَابِرٍ ،حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو الْفَضْلِ جَابِرُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ :حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ فِي دَعْوَةٍ لِظَهِيرِ الدِّينِ بْنِ الْوَجِيهِ رَئِيسِ الْبَصْرَةِ فِي خِتَانِ ابْنِهِ أَبِي الْغَنَائِمِ وَكَانَ هُنَاكَ مُغَنٍّ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدٍ الْمِصْرِيِّ وَكَانَ غَايَةً فِي امْتِدَادِ الصَّوْتِ وَطِيبِ النَّغْمَةِ فَغَنَّى :

بِالَّذِي أَلْهَمَ تَعْذِيـ ـبِ ثَنَايَاكَ الْعِذَابَا (١)
مَا الَّذِي قَالَتْهُ عَيْنَا كَ لِقَلْبِي فَأَجَابَا ؟

فَطَرِبَ الْحَاضِرُونَ وَسَأَلُوا ابْنَ الْحَرِيرِيِّ أَنْ يَزِيدَ فِيهَا شَيْئًا فَقَالَ :

قُلْ لِمَنْ عَذَّبَ قَلْبِي وَهُوَ مَحْبُوبٌ مُحَابَى (٢)
وَالَّذِي إِنْ سُمْتُهُ الْوَصْـ ـلَ تَغَالَى وَتَغَابَى (٣)

ثُمَّ الْبَيْتَانِ . فَاسْتَحْسَنَهَا الْجَمَاعَةُ وَأَقْسَمُوا عَلَى الْمُغَنِّي أَلَّا يُغَنِّيَهُمْ غَيْرَهَا ،فَمَضَى يَوْمُهُمْ أَجْمَعُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

وَأَنْشَدَ أَيْضًا لِلْحَرِيرِيِّ :

---

(١) ألهم : لقن ودقق . والثنايا : الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل ، ومفردها : ثنية ، والعذاب : صفة للثنايا : أي حلوة كالماء العذب جمع عذبة (٢) محابى : منصور محبوب ، قد اختص بالميل إليه (٣) سمته الوصل : كلفته إياه ، أو أوليته إياه . تغالى من الغلو : بالغ ، وتغابى : تغافل .

لَا تَخْطُوَنَّ إِلَى خِطْءٍ وَلَا خَطَأٍ
مِنْ بَعْدِ مَا الشَّيْبُ فِى فَوْدَيْكَ قَدْ وَخَطَا(١)
وَأَىُّ عُذْرٍ لِمَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ
إِذَا سَعَى فِى مَيَادِينِ الصِّبَا وَخَطَا(٢)؟

وَمِنْ شِعْرِهِ :

خُذْ يَا بُنَىَّ بِمَا أَقُولُ وَلَا تُزِغْ
مَا عِشْتَ(٣) عَنْهُ تَعِشْ وَأَنْتَ سَلِيمُ
لَا تَغْتَرِرْ بِبَنِى الزَّمَانِ وَلَا تَقُلْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِى أَخٌ وَنَدِيمُ
جَرَّبْتُهُمْ فَإِذَا الْمُعَاقِرُ عَاقِرٌ وَالْآلُ آلٌ وَالْحَمِيمُ حَمِيمُ(٤)

وَلِابْنِ الْحَرِيرِىِّ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْمَقَامَاتِ ، كِتَابُ دُرَّةِ الْغَوَّاصِ فِى أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ ، كِتَابُ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ وَهِىَ قَصِيدَةٌ فِى النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ الْمُدَوَّنَةِ ، كِتَابُ شِعْرِهِ .

حَدَّثَنِى أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الدَّبِيثِىِّ قَالَ : سَمِعْتُ

(١) خطء : ذنب ، أو ما تعمد منه . والخطأ : ضد الصواب ، وما لم يتعمد من الذنب ، وفوديك : مثنى فود : وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن ، وناحية الرأس . ووخطه الشيب : خالطه أو فشا فيه ، أو استوى سواده وبياضه . (٢) خطا : من الخطو ، يقال : خطا خطوا : فتح مابين قدميه فى المشى ومشى : أو من الخطأ بمعنى الذنب (٣) ولا تزغ بضم الزاى وكسرها : ولا تمل . وماعشت : مامصدرية ظرفية : أى مدة عيشك (٤) المعاقر : الملازم أى يتعاقر معه الخمر ، وعاقر من العقر : وهو الجرح والايذاء ، والآل آل : أى والأهل سراب ، والحميم حميم : أى والصديق ماء حار

القَاضِى أَبَا الحَسَنِ عَلِىَّ بْنَ جَابِرِ بْنِ زُهَيْرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِى أَبَا الفَضْلِ جَابِرَ بْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِى مُحَمَّدٍ القَاسِمِ ابْنِ الحَرِيرِىِّ البَصْرِىِّ بِالمَشَانِ أَقْرَأُ عَلَيْهِ المَقَامَاتِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ صَاحِبَهُ أَبَا زَيْدٍ المُطَهَّرَ بْنَ سَلَّامٍ البَصْرِىَّ الَّذِى عَمِلَ المَقَامَاتِ عَنْهُ قَدْ شَرِبَ مُسْكِراً فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَأَنْشَدَنَاهُ لِنَفْسِهِ:

أَبَا زَيْدٍ اعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَرِبَ الطِّلَا(١)
تَدَنَّسَ فَافْهَمْ سِرَّ قَوْلِى المُهَذَّبِ
وَمِنْ قَبْلُ سُمِّيتَ المُطَهَّرَ وَالفَتَى
يُصَدِّقُ بِالأَفْعَالِ تَسْمِيَةَ الأَبِ
فَلَا تَحْسُهَا(٢) كَيْمَا تَكُونَ مُطَهَّراً
وَإِلَّا فَغَيِّرْ ذَلِكَ الإِسْمَ وَاشْرَبِ

قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَهُ الأَبْيَاتُ أَقْبَلَ حَافِياً إِلَى الشَّيْخِ أَبِى مُحَمَّدٍ وَبِيَدِهِ مُصْحَفٌ فَأَقْسَمَ بِهِ أَلَّا يَعُودَ إِلَى شُرْبِ مُسْكِرٍ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَلَا تُحَاضِرْ مَنْ يَشْرَبُ.

حَدَّثَنِى ابْنُ الدُّبَيْثِىِّ قَالَ: وَأَنْشَدَنِى ابْنُ جَابِرٍ قَالَ: أَنْشَدَنِى أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ المَنْقَبَةِ الفَقِيهُ بِالرَّحْبَةِ لِنَفْسِهِ يُعَارِضُ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ الحَرِيرِىِّ فِى بَيْتَيْهِ اللَّذَيْنِ قَالَ فِيهِمَا: أَسْكَتَا

(١) الطلا مقصور طلاء ككساء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب يسمى الخمر الطلاء، يريد بذلك تحسين اسمها، وعليه يحمل ما هنا.

(٢) أى فلا تشربها، والحسو: الشرب شيئا بعد شىء أو فى مهلة.

كُلَّ نَافِثٍ[١]، وَأَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ[٢] :

مَلْأَمَةُ[٣] الْوَكْعَاءِ بَيْنَ الْوَرَى
أَحْسَنُ مِنْ حُرٍّ أَتَى مَلْأَمَهْ
فَمَهْ إِذَا اسْتُجْدِيتَ عَنْ قَوْلِ لَا[٤]
فَالْحُرُّ لَا يَمْلَأُ مِنْهَا فَمَهْ

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَرِيرِيِّ ، أَنْشَدَنِي وَالِدِي لِنَفْسِهِ وَهُوَ مِمَّا كَاتَبَ بِهِ شَيْخَ الشُّيُوخِ أَبَا الْبَرَكَاتِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي سَعْدٍ :

سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضَارَةً
وَحُسْنًا عَلَى شَيْخِ الشُّيُوخِ الَّذِي صَفَا
وَلَوْ لَمْ يَعُقْنِي الدَّهْرُ عَنْ قَصْدِ رَبْعِهِ
سَعَيْتُ كَمَا يَسْعَى الْمُلَبِّي إِلَى الصَّفَا
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْهُ دَهْرٌ مُكَدَّرٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي وَاتَاهُ مِنْ دَهْرِهِ الصَّفَا ؟

وَمِنْ خَطِّهِ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ بُخْتَيَارَ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ ، أَنْشَدَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ لِنَفْسِهِ :

---

(١) النافث : الشاعر الساحر ، مستعار من النفث فى العقدة للسحر (٢) راجع المقامة الـ ٤٦ (٣) الملأمة : اللؤم ، والوكعاء : الحمقاء (٤) يريد انصرف عنه

أَخْمِدْ بِحِلْمِكَ مَا يُذْكِيهِ ذُو سَفَهٍ
مِنْ نَارِ غَيْظِكَ وَاُصْفَحْ إِنْ جَنَى جَانِى (١)

فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ مَا اُزْدَانَ اللَّبِيبُ بِهِ
وَالْأَخْذُ بِالْعَفْوِ أَحْلَى مَا جَنَى جَانِى (٢)

وَكَتَبَ اُبْنُ الْحَرِيرِيِّ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْأَنْبَارِيِّ كِتَابًا عَلَى يَدِ وَلَدِهِ قَالَ فِيهِ: كَتَبَ الْخَادِمُ وَعِنْدَهُ مِنْ تَبَارِيحِ الْأَشْوَاقِ (٣) إِلَى الْخِدْمَةِ مَا يُصَدِّعُ الْأَطْوَادَ (٤)، فَكَيْفَ الْفُؤَادُ؟ وَيُوهِي الْجِبَالَ (٥)، فَكَيْفَ الْبَالُ؟ وَلَكِنَّهُ يَسْتَدْفِعُ الْخَوْفَ (٦) بِسَوْفَ، وَيُبْرِدُ حَرَّ الْأَسَى بِعَسَى، «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ».

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى وَالتَّمَنِّى خُرَافَةٌ
وَإِنْ كَانَ فِيهِ رَاحَةٌ لِأَخِى الْكَرْبِ

أَتَدْرُونَ أَنِّى مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ
وَشَطَّ اُقْتِرَابِى مِنْ جَنَابِكُمُ الرَّحْبِ

أُكَابِدُ شَوْقًا مَا يَزَالُ أُوَارُهُ (٧)
يُقَلِّبُنِى بِاللَّيْلِ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

---

(١) أى ارتكب مرتكب (٢) أى قطف قاطف (٣) تباريح الاشواق: توهجاتها جمع تبريح (٤) يصدع الأطواد: يشقق الجبال العظيمة (٥) يوهى الجبال: يسقطها (٦) يستدفع الخوف: يطلب دفعه وإزالته (٧) الأوار: حر النار والشمس والعطش والدخان واللهب، والمراد: حرارة الشوق وألمه.

وَأَسْكُبُ لِلْبَيْنِ الْمُشِتِّ مَدَامِعًا(١)
كَأَنَّ عَزَالِيهَا امْتُرِينَ مِنَ السُّحْبِ(٢)
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ التَّلَاقِي فَأَنْثَنِي
لِتَذْكَارِهَا بَادِي الْأَسَى ذَاهِبَ اللُّبِّ
وَلِي حَنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَيْكُمُ
وَلَا حَنَّةُ الصَّادِي(٣) إِلَى الْبَارِدِ الْعَذْبِ
فَوَاللهِ إِنِّي لَوْ كَتَمْتُ هَوَاكُمُ
لَمَا كَانَ مَكْتُومًا بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبِ
وَمِمَّا شَجَا قَلْبِي الْمُعَنَّى وَشَفَّهُ(٤)
رِضَاكُمْ بِإِهْمَالِ الْإِجَابَةِ عَنْ كُتْبِي
عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِمَا تَرْتَضُونَهُ
وَأَنْخَرُ بِالْإِعْتَابِ فِيكُمْ وَبِالْعَتْبِ(٥)
وَلَمَّا سَرَى الْوَفْدُ الْعِرَاقِيُّ نَحْوَكُمْ
وَأَعْوَزَنِي الْمَسْرَى(٦) إِلَيْكُمْ مَعَ الرَّكْبِ

---

(١) فى الأصل « المشتت مدمعا » ولكن يظهر أنها « المشت مدامعا لتتفق مع ضمير التأنيث المتصل بعزالى ، وعزاليها كعزالاها جمع عزلاء : وهو مصب الماء من الراوية ونحوها ، ولو اختار الثانية لنجا من ضرورة هي عدم ظهور الفتحة على الياء (٢) امترين : استخرجن واحتلبن (٣) الصادى : العطشان (٤) المعنى : المعذب الحزين ، وشفه : أحرقه فهزله وأوهنه (٥) الاعتاب : الارضاء ، والعتب : اللوم والمخاطبة بالادلال (٦) أعوزنى : عز على ، والمسرى : مصدر ميمى بمعنى السير .

جَعَلْتُ كِتَابِي نَائِباً عَنْ ضَرُورَةٍ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً تَيَمَّمَ بِالتُّرْبِ
وَأَنْفَذْتُ أَيْضاً بَضْعَةً (١) مِنْ جَوَارِحِي
تُنَبِّئُكُمْ مَشْرُوحَ حَالِي وَتَسْتَنْبِي
وَقُلْتُ لَهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ وَقَلْبُهُ
شَجٍ وَأَبُوهُ الشَّيْخُ مُكْتَئِبُ الْقَلْبِ
أَلَا أَبْشِرْ بِمَا تَحْظَى بِهِ حِينَ تَجْتَلِي
مُحَيَّا سَدِيدِ الدَّوْلَةِ الْمَاجِدِ النَّدْبِ (٢)
وَلَسْتُ أَرَى إِذْكَارَكُمْ بَعْدَ خُبْرِكُمْ
بِمَكْرُمَةٍ، حَسْبِي اهْتِزَازُكُمُ (٣) حَسْبِي

هَذِهِ عَلَى عَاهَتِهَا بِنْتُ سَاعَتِهَا، فَإِنْ حَظِيَتْ مِنْهُ بِالْقَبُولِ الْمَأْمُولِ، فَيَابُشْرَى لِلْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ، وَإِنْ لُمِحَتْ (٤) لَمْحَةَ الْمُسْتَثْقَلِ، فَيَا خَيْبَةَ الْمُرْسِلِ وَالْمُرْسَلِ، وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ رَسَائِلِ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ رِسَالَةٌ (٥) الْتَزَمَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا السِّينَ نَثْراً وَنَظْماً، كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ يُعَاتِبُ صَدِيقاً لَهُ أَخَلَّ بِهِ فِي دَعْوَةٍ دَعَا غَيْرَهُ إِلَيْهَا

(١) والبضعة بفتح الباء وقد تكسر: القطعة من اللحم، والمراد ابنه.
(٢) الندب: السريع النجيب (٣) اهتزازكم: ارتياحكم ونشاطكم (٤) لمحت مبنى للمجهول: نظرت بنظر خفيف (٥) بهامش الأصل «طبعت فى منتخبات أرنلد».

وَكَتَبَ عَلَى رَأْسِهَا : بِاسْمِ الْقُدُّوسِ أَسْتَفْتِحُ ، وَبِإِسْعَادِهِ أَسْتَنْجِحُ ، سَجِيَّةُ سَيِّدِنَا سَيْفِ السُّلْطَانِ سُدَّةِ سَيِّدِنَا الْإِسْفَهْسِلَارِ السَّيِّدِ النَّفِيسِ سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ حُرِسَتْ نَفْسُهُ ، وَاسْتَنَارَتْ شَمْسُهُ ، وَبَسَقَ غَرْسُهُ [1] ، وَاتَّسَقَ أُنْسُهُ [2] أَسْمَالَةُ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَةُ الْأَنِيسِ ، وَمُوَاسَاةُ السَّحِيقِ [3] وَالنَّسِيبِ ، وَمُسَاعَدَةُ الْكَسِيرِ وَالسَّلِيبِ ، وَالسِّيَادَةُ تَسْتَدْعِي اسْتِدَامَةَ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِحْفَاظَ بِالرَّسْمِ الْحَسَنِ . وَسَمِعْتُ بِالْأَمْسِ تَدَارُسَ الْأَلْسُنِ [4] سَلَاسَةَ خَنْدَرِيسِهِ [5] ، وَسَلْسَالَ كُئُوسِهِ ، وَمَحَاسِنَ مَجْلِسِ مَسَرَّتِهِ ، وَإِحْسَانَ مَسْمَعَةِ سِتَارَتِهِ [6] فَاسْتَسْلَفْتُ الِاسْتِدْعَاءَ ، وَتَوَسَّمْتُ الْإِسْرَاءَ ، وَسَوَّفْتُ نَفْسِي بِالِاحْتِسَاءِ [7] وَمُؤَانَسَةِ الْجُلَسَاءِ ، وَجَلَسْتُ أَسْتَقْرِي [8] السُّبُلَ ، وَأَسْتَطْلِعُ الرُّسُلَ [9] ، وَأَسْتَطْرِفُ [10] تَنَاسِيَ رَسْمِي ، وَأُسَامِرُ الْوَسْوَاسَ لِاسْتِحَالَةِ وَسْمِي [11] :

وَسَيْفُ السَّلَاطِينِ مُسْتَأْثِرٌ [12] ... بِأُنْسِ السَّمَاعِ وَحَسْوِ الْكُئُوسِ

(١) أى ارتفعت أغصانه وطالت (٢) أى اجتمع وتم (٣) السحيق : البعيد (٤) أى تحادثها (٥) الخندريس : الخمر القديمة (٦) مسمعة : مصدر ميمى بمعنى سمع ، والستارة : مايستر به ، والمراد الحجاب (٧) سوفت : صبرت ، والاحتساء : الشرب (٨) أى أبحث عنها (٩) أى أسألهم (١٠) أستطرف الخ : أعده طريفا غريبا (١١) أى علامتى ، أو المراد بالوسم : المطر ، على التشبيه بالعطاء (١٢) مستأثر الخ : مستبد به

سَلَانِي وَلَيْسَ لِبَاسُ السُّلُوِّ يُنَاسِبُ حُسْنَ سِمَاتِ النَّفِيسِ
وَسَنَّ تَنَـــــاسِى جُلَاسِهِ
وَأَسْوَا (١) السَّجَايَا تَنَاسِى الْجَلِيسِ
وَسَرَّ حَسُودِى بِطَمْسِ الرُّسُومِ (٢)
وَطَمْسُ الرُّسُومِ كَرَمْسِ النُّفُوسِ (٣)
وَأَسْكَرَنِى حَسْرَةً وَاسْتَعَاضَ لِقَسْوَتِهِ سَـكْرَةَ الْخَنْدَرِيسِ
وَسَاقَ الْحُسَامَ بِـكَاسِ السُّلَافِ وَأَسْهَمَنِى بِعُبُوسٍ وَبُوسِ (٤)
سَأَكْسُوهُ لِبْسَـةَ مُسْتَعْتِبٍ وَأَلْبَسُ سِرْبَالَ سَالٍ يَئُوسِ (٥)
وَأَسْطُرُ سِينَاتِهِ سِـيرَةً تَسِيرُ أَسَاطِيرُهَا كَالْبَسُوسِ
وَحَسْبُنَا السَّلَامُ رَسُولُ السَّلَامِ .

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ (٦) ابْنِ النُّعْمَانِ الشَّاعِرِ لَمَّا قَصَدَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ يَمْدَحُـهُ وَيَشْـكُرُهُ ، وَيَتَأَسَّفُ عَلَى فِرَاقِهِ (٧) : بِإِرْشَادِ الْمُنْشِىءِ أُنْشِىءُ ، شَغَفِى بِالشَّيْخِ شَمْسِ الشُّعَرَاءِ ، رِيشَ (٨) مَعَاشُهُ وَفَشَا رِيَاشُهُ ، وَأَشْرَقَ شِهَابُهُ ،

(١) مخفف أسوأ (٢) أى محوها . (٣) أى دفنها فى الرموس وهى القبور
(٤) أسهمنى : جعل لى سهما أى نصيبا ، والعبوس : تقطيب الوجه من الحزن ، وبوس : أصلها بؤس : الفقر وسوء الحال (٥) مستعتب : مسترض ، ويئوس فعول صيغة مبالغة : أى كثير اليأس والقنوط (٦) بهامش الاصل « عند أرنلد : أبى محمد طلحة بن أحمد النعمانى » (٧) هذه «رسالة التزم الشين فى كلماتها كما التزم فى سابقتها السين » (٨) ريش معاشه : زين ؛ والرياش جمع ريش : اللباس الفاخر والخصب والمعاش

وَاعْشَوْشَبَتْ شِعَابُهُ (١) ، يُشَاكِلُ شَغَفَ الْمُنْتَشِي بِالنَّشْوَةِ (٢) ، وَالْمُرْتَشِي بِالرِّشْوَةِ (٣) ، وَالشَّادِنِ بِشَرْخِ الشَّبَابِ (٤) ، وَالْعَطْشَانِ بِشَمِّ الشَّرَابِ . وَشُكْرِي لِتَجَشُّمِهِ وَمَشَقَّتِهِ ، وَشَوَاهِدِ شَفَقَتِهِ ، يُشَابِهُ شُكْرَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ ، وَالْمُسْتَرْشِدِ لِلْمُرْشِدِ ، وَالْمُسْتَبْشِرِ لِلْمُبَشِّرِ (٥) ، وَالْمُسْتَجِيشِ لِلْجَيْشِ الْمُشْمَّرِ (٦) . وَشِعَارِي إِنْشَادُ شِعْرِهِ ، وَإِشْجَاءُ الْمُكَاشِرِ وَالْمُكَاشِحِ بِنَشْرِهِ (٧) . وَشُغْلِي إِشَاعَةُ وَشَائِعِهِ (٨) ، وَتَشْيِيدُ شَوَافِعِهِ (٩) ، وَالْإِشَارَةُ بِشُذُورِهِ وَشُفُوفِهِ (١٠) ، وَالْمَشُورَةُ بِتَشْيِيعِهِ وَتَشْرِيفِهِ ، وَأَشْهَدُ شَهَادَةً تَشْدَهُ الْمُقَشِّرَ الْمُكَاشِفَ (١١) ، وَالْمُشَنِّعَ الْكَاشِفَ . لَإِنْشَاؤُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ تُدْهِشُ الشَّائِبَ وَالنَّاشِي (١٢) ، وَتُلَاشِي شِعْرَ النَّاشِي (١٣) ، وَلَمُشَافَهَتُهُ تَبَاشِيرُ الرُّشْدِ ، وَاسْتِشْيَارُ الشُّهْدِ (١٤) ، وَلَمُشَاحَنَتُهُ تُشْقِي الْمُشَاحِنَ ، وَتَشِينُ الْمُشَانِئَ (١٥) ، وَلَمُشَاغَبَتُهُ

---

(١) اعشوشبت الخ : كثر عشب أغصانه ، والشعاب : جمع شعبة : غصن الشجر أو كثر عشب نواحيه (٢) المنتشى : السكران (٣) المرتشى : آخذ الرشوة (٤) الشادن : الظبي الذى استغنى عن أمه وقوى ، وشرخ الشباب : أوله (٥) جاء بهامش الأصل : « بالاصل » المستشعر للمشعر (٦) المستجيش : الجامع الجيش . (٧) المكاشر : المضاحك ، والمكاشح : المعادى (٨) وشائعه : جمع وشيعة : وهى الطريقة (٩) شوافعه : أى شفاعاته وإعاناته للناس (١٠) بشذوره : جمع شذرة : اللؤلؤة الصغيرة ، والشفوف : الأثواب الرقيقة جمع شف (١١) تشده : تدهش ، والمقشر : المجرح . والمكاشف : المظهر ماعنده (١٢) الناشى تخفيف الناشئ : وهو الصغير ، وجاء بهامش الأصل عن كلمة الشائب « بالأصل الشانئ » (١٣) تلاشى : تضعف وتزيل ، والناشى : شاعر عباسى (١٤) استشيار الشهد : استخراج العسل الأبيض وجنيه من الوقبة (١٥) المشانئ : العائب

تُشَظِّى الْأَشْطَانَ [١]، وَتُشِيطُ الشَّيْطَانَ [٢]. فَشَرَفًا لِلشَّيْخِ شَرَفًا، وَشَغَفًا بِشِنْشِنَتِهِ شَغَفًا [٣]:

فَأَشْعَارُهُ مَشْهُورَةٌ وَمَشَاعِرُهْ
وَعِشْرَتُهُ مَشْكُورَةٌ وَعَشَائِرُهْ [٤]
شَأَى الشُّعَرَاءَ الْمُشْمَعِلِّينَ شِعْرُهُ
فَشَانِيهِ مَشْجُوُّ الْحَشَا وَمُشَاعِرُهْ [٥]
وَشَوَّهَ تَرْقِيشَ الْمُرَقِّشِ رَقْشُهُ
فَأَشْيَاعُهُ يَشْكُونَهُ وَمَعَاشِرُهْ [٦]
وَشَاقَ الشَّبَابَ الشُّمَّ وَالشِّيبَ وَشْيُهُ
فَمَنْشُورُهُ بُشْرَى الْمَشُوقِ وَنَاشِرُهْ [٧]
شَكُورٌ وَمَشْكُورٌ وَحَشْوُ مُشَاشِهِ
شَهَامَةُ شِمِّيرٍ يَطِيشُ مُشَاجِرُهْ [٨]

(١) تشظى : تفرق ، والأشطان : الحبال ، جمع شطن (٢) تشيط الشيطان : تحرقه وتهلكه (٣) الشنشنة بكسر الشينين : العادة (٤) المشاعر : الحواس : جمع مشعر — والعشائر : قبيلة الرجل وأقاربه ، جمع عشيرة (٥) شأى : غلب وسبق ، والمشمعلين : المبادرين فى طلب الشعر ، والمشاعر : المغالب فى الشعر (٦) شوه : قبح . والترقيش : زخرفة الكلام وتزيينه ، والمرقش : أحد الشاعرين وهما المرقش الأكبر : واسمه عمرو بن سعد ، والمرقش الأصغر : واسمه ربيعة بن حرملة ابن سفيان البكرى ، والمعاشر : جمع معشر : أهل الرجل والجماعة . وكانت بالأصل « وشوا بترقيش » كما نبه بهامشه . (٧) شاقهم الخ : هاجهم وحملهم على الشوق ، والشم : جمع أشم : وهو السيد ذو الأنفة الكريم ، والناشر : المذيع (٨) المشاش بالفم : رءوس العظم الممكن مضغها ، واحدته مشاشة ، ويطيش : يخيب ولا يصيب المرمى

شَقَاشِقُهُ مَخْشِيَّةٌ وَشَبَاتُهُ
شَبَا مَشْرَفِىٍّ جَاشَ لِلشَّرِّ شَاهِرُهْ (١)

شَفَا بِالْأَنَاشِيدِ النَّشَاوَى وَشَفَّهُمْ
فَمُشْفِيهِ مُسْتَشْفٍ وَشَاكِيهِ شَاكِرُهْ (٢)

وَيَشْدُو فَيَهْتَشُّ (٣) الشَّحِيحُ لِشَدْوِهِ
وَيُشْغِفُهُ إِنْشَادُهُ فَيُشَاطِرُهْ

تَجَشَّمَ غِشْيَانِى فَشَرَّدَ وَحْشَتِى
وَبَشَّرَ مَمْشَاهُ بِبِشْرٍ أُبَاشِرُهْ (٤)

سَأُنْشِدُهُ شِعْرًا تُشَرِّقُ شَمْسُهُ
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا تَشِيعُ بَشَائِرُهْ

وَأُشْهِدُ شَاهِدَ الْأَشْيَاءِ، وَمُشْبِعَ الْأَحْشَاءِ، لَيُشْعِلَنَّ شُوَاظَ اشْتِيَاقِى شَحْطُهُ (٥)، وَلَيُشَعْثِنَنَّ (٦) شَمْلَ نَشَاطِى نَشْطُهُ، فَنَاشَدْتُ الشَّيْخَ أَيَشْعُرُ (٧) بِاسْتِيحَاشِى لِشُسُوعِهِ، وَإِجْهَاشِى لِتَشْيِيعِهِ (٨)، وَوِشَايَتِى بِنَشِيدِهِ الْمَوْشِىِّ، وَتَشَكِّى شَخْصَهُ بِالْإِشْرَاقِ وَالْعَشِىِّ،

---

(١) شقاشقه : كلماته وخطبه ، والشباة : حد الشىء وطرفه ، وجاش : اهتاج واضطرب ، والمشرفى : السيف ، وشاهره : منضيه ورافعه (٢) شفا النشاوى : أزال سكرهم ، وشفهم : هزلهم وأضعفهم ، والمشفى هنا : طالب الشفاء ، والمستشفى هنا : الذى صار مشفيا (٣) فيهتش : فيهش ويخف للمعروف (٤) تجشم : تكلف على مشقة : وغشيانى : الاتيان إلىّ ، وأباشره : أخالطه (٥) شحطه : بعده ، ويحرك (٦) وليشعثن : وليفرقن ، ونشطه : خفته وسرعته (٧) جاء بهامش الأصل : « فناشقت الشيخ يشعر » (٨) أى فزعى إليه أريد البكاء

حَاشَاهُ تَعْتَشِيهِ (١) شُبْهَةٌ وَتَغْشَاهُ ، فَلْيَسْتَشِفَّ شَرْحَ شَجْوِى بِشُطُونِهِ ، وَلْيَرْشَحْنِى لِمُشَارَكَةِ شُجُونِهِ ، وَلْيَشْغَلْنِى بِتَمْشِيَةِ شُئُونِهِ ، وَلْيُشَيِّدْ جَاشِى (٢) ، وَيُشَارِفْ انْكِمَاشِى (٣) ، عَاشَ مُنْتَعِشَ الْحُشَاشَةِ (٤) ، مُسْتَشْرِىَ الْبَشَاشَةِ (٥) ، مَشْحُوذَ الشِّفَارِ ، مُنْتَشِرَ الشَّرَارِ ، شَتَّامًا لِلْأَشْرَارِ ، شَحَّاذًا بِالْأَشْعَارِ ، يَشْرَخُ وَيَحُوشُ ، وَيَقْنَفِشُ الْمَنْفُوشُ (٦) الشَّدِيدُ (٧) الْبَطْشِ ، الشَّامِخُ الْعَرْشِ ، وَتَشْرِيفُهُ لِبَشِيرِ الْبَشَرِ ، وَشَفِيعُ الْمَحْشَرِ .

وَلَهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ :

وَأَحْوَى حَوَى رِقِّى بِرِقَّةِ لَفْظِهِ ... وَغَادَرَنِى إِلْفَ السُّهَادِ بِغَدْرِهِ

تَصَدَّى لِقَتْلِى بِالصُّدُودِ وَإِنَّنِى

لَفِى أَسْرِهِ مُذْ حَازَ قَلْبِى بِأَسْرِهِ (٨)

أُصَدِّقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَ ازْوِرَارِهِ

وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهُجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ (٩)

---

(١) أى تقصده ، وقد غيرها الأصل إلى « تعشيه » على إنها فى الأصل الأصيل تعتشيه كما نبه على ذلك بهامشه بدون داع وتغييرها إلى تعتشيه كما فعلنا أقرب وأولى .

(٢) أى ليثبته (٣) أى يطلع عليه ويشرف . (٤) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح ، أو رمق من حياة النفس . (٥) مستشرى البشاشة : قويها وعظيمها (٦) يشرخ : يقوى ويعلو ، ويحوش : يظفر ، ويقنفش الخ : يضمه ويجمعه ، والمنفوش فى الأصل « المنقوش » تحريف . (٧) زاد الأصل قبل الشديد كلمة « بمشية » كما نبه بهامشه بدون داع ولذلك حذفناها (٨) تصدى : تعرض ، والصدود : الاعراض ، وأسر الأول : بمعنى السجن والقيد ، والثانية : بمعنى كل .

(٩) الزور : الكذب المزين . والازورار : الانحراف والميل ، والهجر : بالضم : القبيح من الكلام ، وبالفتح : الصد .

وَأَستَعذِبُ التعذيبَ مِنهُ وَكُلَّمَا
أَجَدَّ عذَابِي جدَّ بِي (١) حُبٌّ بِرّهِ

تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسِي مَذَمَّةٌ
وَأَحفظ قلبِي (٢) وَهوَ حافِظُ سِرّهِ

لَهُ مِنِّيَ المَدحُ الَّذِي طابَ نَشرُهُ
وَلِي مِنهُ طيُّ الوُدِّ مِن بَعدِ نَشرِهِ

وَإِنِّي عَلَى تَصرِيفِ أَمرِي وَأَمرِهِ
أَرَى المُرَّ حُلواً فِي انقِيادِي لِأَمرِهِ

وَقَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الفَتحِ هِبَةُ اللهِ بنُ الفَضلِ بنِ صاعِدِ بنِ التّلمِيذِ الكَاتِبُ : كَانَ الشَّيخُ الأَجلُّ الإِمامُ الأَوحَدُ أَبُو مُحَمَّدٍ القَاسِمُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحَرِيرِيّ — رَضِيَ اللهُ عَنهُ — الإِمامَ المَشهُورَ الفَضلِ ، مِن أَعيانِ دَهرِهِ ، وَفَرِيدَ عَصرِهِ ، وَمِمَّن لَحِقَ طَبَقَةَ الأَوائِلِ ، وَغَبَّرَ عَلَيهِم (٣) فِي الفَضائِلِ ، وَكَانَت بَينِي وَبَينَهُ مُكاتَبَةٌ قَدِيمَةٌ فِي سَنَةِ خَمسٍ وَتِسعِينَ وَأَربَعِمِائَةٍ عِندَ ابتِدائِهِ حَملَ المَقامَاتِ الَّتِي أَنشَأَ ، وَلَمَّا وَقَعَ الاجتِماعُ بِهِ فِي سَنَةِ أَربَعٍ وَخَمسِمِائَةٍ بِبَغدادَ وَسَماعُها مِنهُ عِدَّةَ دَفَعاتٍ ، جارَيتُهُ وَسَأَلتُه

---

(١) أجد عذابي : جدده ، وجد بي : اشتد (٢) تناسى : ادعى النسيان ، والذمام : العهد ، وأحفظ قلبي : أحقده وأغضبه (٣) غبر عليهم بالتشديد : سبقهم فلم يشقوا غباره

أَنْ يَنْظِمَ فِي النَّحْوِ مُخْتَصَرًا يَحْفَظُهُ الْمُبْتَدِئُونَ ، فَشَرَعَ فِي نَظْمِ هَذِهِ الْأُرْجُوزَةِ ، وَأَمْلَى عَلَيَّ مِنْهَا أَبْوَابًا يَسِيرَةً ، وَانْحَدَرَ مِنْ غَيْرِ إِتْمَامِهَا ، وَاسْتَعَادَ مِنِّي مَا أَمْلَاهُ لِيُحَرِّرَهُ ، فَكَاتَبْتُهُ دَفَعَاتٍ أَقْتَضِيهِ بِهَا [1] ، وَأُذَكِّرُهُ بِإِنْفَاذِهَا وَإِنْفَاذِ كِتَابِهِ « دُرَّةِ الْغَوَّاصِ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ » فَكَتَبَ إِلَيَّ جَوَابَيْنِ نُسْخَةُ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا :

وَصَلَ مِنْ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا – أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَمُدَّتَهُ ، وَحَرَسَ عِزَّهُ وَنِعْمَتَهُ ، وَضَاعَفَ سَعَادَتَهُ ، وَكَبَتَ حَسَدَتَهُ [2] – ، كِتَابٌ كَرِيمٌ ، مُودَعُهُ طَوْلٌ جَسِيمٌ [3] ، وَفِي ضِمْنِهِ دُرٌّ نَظِيمٌ ، فَابْتَهَجْتُ بِتَنَاوُلِهِ ، وَقَرَرْتُ عَيْنًا [4] بِتَأَمُّلِهِ ، وَتَذَكَّرْتُ الْأَوْقَاتَ الَّتِي أَسْعَدَ الدَّهْرُ فِيهَا بِرُؤْيَتِهِ ، وَأَحْظَى بِاجْتِلَاءِ فَضْلِهِ وَرِوَايَتِهِ ، وَشَكَرْتُ اللهَ عَلَى مَا يُولِيهِ مِنْ حُسْنِ صُنْعِهِ ، وَسَأَلْتُهُ – جَلَّتْ عَظَمَتُهُ – أَنْ يَجْعَلَ النِّعْمَةَ رَاهِنَةً بِرَبْعِهِ ، وَالسَّعَادَةَ جَاذِبَةً أَبَدًا بِضَبْعِهِ [5] ، وَسُرِرْتُ بِمَا بَشَّرَنِي بِهِ مِنْ نَجَابَةِ السَّيِّدِ الرَّئِيسِ ، الْوَلَدِ النَّفِيسِ – أَمْتَعَ اللهُ بِبَقَائِهِ – ، وَأَتَاحَ [6] لِي تَجَدُّدَ الْأُنْسِ بِلِقَائِهِ ،

(١) أى أطلبها منه (٢) أى أهانهم وأذلهم ، وردهم بغيظهم (٣) الطول : الفضل والعطاء (٤) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور (٥) الضبع : العضد (٦) أتاح : هيأ

وَلَمْ أَسْتَبْعِدْ أَنْ يُقْمِرَ هِلَالُهُ بَلْ يُبْدِرَ (١) ، وَلَا اسْتَبْدَعْتُ أَنْ يُورِقَ غُصْنُ دَوْحَتِهِ الزَّكِيَّةِ وَيُثْمِرَ (٢) ، وَاللهُ تَعَالَى يُمْلِيهِ أَطْوَلَ الأَعْمَارِ فِى رَفَاهَةِ الأَسْرَارِ (٣) ، وَمُوَاتَاةِ الأَقْدَارِ (٤) حَتَّى يُعَايِنَ أَسْبَاطَهُ (٥) ، وَيُضَاعِفَ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَضَاعُفِهِمْ بِحَوْزَتِهِ اغْتِبَاطَهُ (٦) . فَأَمَّا الْمُلْحَةُ إِنْ أَمْكَنَ تَنْفِيذُهَا مَعَ أَحَدِ الْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لِأُلْحِقَ بِهَا الزِّيَادَةَ ، وَأُهَذِّبَهَا كَمَا يُطَابِقُ الْإِرَادَةَ ، فَأَوْعِزْ (٧) بِهِ .

وَأَمَّا « دُرَّةُ الْغَوَّاصِ فِى أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ » فَأَرْجُو أَنْ يُنْشِئَ الْإِصْعَادَ (٨) إِلَى بَغْدَادَ لِتَصَفُّحِهَا مِنَ الْبَدْءِ ، وَكَأَنْ قَدْ (٩) ، وَإِلَى أَنْ يَسْنَهِلَ الْمَأْمُولُ مِنَ الِانْتِقَاءِ ، فَمَا أَوْلَى هِمَّتَهُ الْكَرِيمَةَ بِإِتْحَافِى (١٠) بِالْأَنْبَاءِ ، وَإِنْهَاضِى بِمَا يَسْنَحُ مِنَ الْأَوْطَارِ وَالْأَهْوَاءِ (١١) ، وَرَأْيُهُ أَعْلَى إِنْ شَاءَ اللهُ .

نُسْخَةُ الْكِتَابِ الثَّانِى ، وَهُوَ الْمُنْفَذُ مَعَ الْمُلْحَةِ الْمَذْكُورَةِ :

لَئِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَىَّ لَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

---

(١) يقمر : يصير قمرا ، ويبدر : يصير بدرا (٢) الدوحة : الشجرة الكثيرة الأغصان (٣) أى راحة النوايا واطمئنان النفوس (٤) أى موافقتها وطواعيتها (٥) أسباطه : أحفاده ، جمع سبط (٦) تضاعفهم : تكاثرهم ، والحوزة : الناحية (٧) أى قربه وفى الأصل « أوعزبه » (٨) الاصعاد : المضى والسير (٩) أى وكأن ذلك قد أوشك أن يكون (١٠) أى إهدائى (١١) الأوطار : الحاجات ، جمع وطر

إذا فكَّرْتُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ سيّدِنا ـ وَضاعفَ سعادَتَه ، وَكَبَتَ حسدَتَهُ فيما كانَ سَمحَ بِهِ الزَّمانُ مِنْ تلكَ المُلاقاةِ الحُلْوَةِ ، وَإنْ كانتْ أقلَّ مِنَ الحَسْوَةِ (١) أعظمتُ قيمةَ حُسْناهُ ، وَوَجدْتُها أحلى إسْعافٍ وأسْناهُ (٢) ، ثُمَّ إذا فكَّرْتُ فيما أعقبَ مِنَ الفُرْقَةِ ، وألهبَ في الصَّدْرِ مِنَ الحُرْقَةِ ، وَجدْتُهُ كمَنْ رَجعَ في المِنْحةِ ، وطَمسَ الفَرْحَةَ بالتَّرْحةِ ، وَلَوْلا تعِلَّةُ (٣) القَلْبِ المَشْجُوِّ بالتَّلاقِي المَرْجُوِّ لذابَ مِنَ اتِّقادِ الشَّوْقِ ، ولَقالَ : شَبَّ عَمْرٌو عَنِ الطَّوْقِ (٤) ، وَفي لَوامِحِ تلكَ الألْمَعيّةِ ما يُغْنِي عَنْ تِبْيانِ تلكَ الطَّوِيَّةِ ، وَكانَ قَدْ وَصلَ مِنْ حَضْرَتِهِ أنَسَها اللهُ تَعالَى ما أعْرَبَ فيهِ عَنْ كَريمِ عَهْدِهِ ، وَتباريحِ وَجْدِهِ (٥) ، فَلَمْ أسْتَبْدِعِ العُذُوبَةَ مِنْ وِرْدِهِ ، وَلا اسْتَغْرَبْتُ ما تَوالَى مِنْ بِرِّهِ وَحُسْنِ عَهْدِهِ ، وَبِمُقْتَضَى هَذِهِ الأوامِرِ والطَّوْلِ المُتَناصِرِ انْعَكافي عَلَى الشُّكْرِ ، وَاعْترافي بِعَوارِفِهِ (٦) الغُرِّ ، فَأمّا اسْتِطْلاعُ مُلْحَةِ الإعْرابِ المُشْتَبِهَةِ بالسَّرابِ ، فَقَدْ آثَرَتْ خَزائنُهُ ـ عَمَّرَها اللهُ تَعالَى ـ بِمُسَوَّدَتِها عَلَى شَعَثِ بِنْيَتِها (٧) ، وَشَوَهِ خِلْقَتِها ، وَلَوْ لَمْ تَعْرِضْ حادِثَةُ الغَرْبِ ، العائِقَةُ عَنْ كُلِّ

---

(١) الحسوة : مايتناوله الطائر ، وهو يحسو : أى يشرب (٢) أى ارفعه

(٣) التعلة : ما يتعلل به من طعام غيره (٤) شب عمرو عن الطوق : مثل يضرب للابس ما هو دون قدره (٥) أى توهجاته (٦) بعوارفه . جمع عارفة : العطية والمعروف (٧) أى تصدعها

أَرَب ، لزففتها كما تُزَفُّ العَروسُ المقيَّنَةُ (١) ، والخُطَبُ المُزَيَّنَةُ ، غيرَ أنِّى أرجُو أن تُرْزَقَ حُظوَةَ القِبَاحِ (٢) ، وألَّا تُجبَهَ (٣) بالذمِّ الصُّرَاحِ ، ولِكُتُبِهِ — حَرَسَ اللهُ نِعمَتَهُ — عِندِى مَوْقِعُ أَنفَسِ التُّحَفِ ، وشُكرِى على التَّكرُّمِ بها شُكرُ مَنِ اتَّشَحَ بِهَا واُتْحِفَ ، وسيِّدُنا أمينُ الدَّولةِ رئيسُ الحُكَماءِ مَخْدُومٌ بأفضلِ دُعَاء ، وأطيبِ ثَناء وسلامٍ ، ولِرَأيِهِ — أَدامَ اللهُ نِعمَتَهُ — فِى الإِيعَازِ بالوُقُوفِ على ماشَرَحتُهُ وتَمثُّلِ ما أوضحتُهُ — عُلُوُّهُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى .

نُسْخَةُ كِتابٍ كتبهُ ابنُ الحَرِيرِىِّ إلى أبِى الفتحِ بنِ التِّلمِيذِ قبلَ اللِّقاء :

جَزَى اللهُ خيراً والجزاءُ بِكَفِّهِ
بَنِى صاعِدٍ أَهلِ السِّيادَةِ والمجْدِ
هُمُ ذَكَّرُونِى والمَهامِهُ بيننا
كما ارفَضَّ (٤) غَيثٌ فى تِهامَةَ مِن نَجدِ

لَوْ أَخَذتُ فى وَصفِ شَغَفِى بمناقِبِ سيِّدِنا — أطالَ اللهُ بَقاءَهُ وأدامَ عَلاءَهُ ، وحَرَسَ نَعماءَهُ ، وكَبَتَ حُسَّادَهُ وأعداءَهُ — وما أنا بِصَدَدِهِ مِنْ مَدحِ سُودَدِهِ ، وشَرحِ تَطَوُّلِهِ وتَوَدُّدِهِ ،

(١) المقينة : المزينة (٢) القباح : جمع قبيحة (٣) تجبه : تقابل
(٤) أى تساقط وهطل

لَكُنْتُ بِمَثَابَةِ الْمُغْتَرِّينَ ، فِي مُحَاوَلَةِ عَدِّ رَمْلِ يَبْرِينَ (١) ، لَكِنَّنِي رَاجٍ أَنْ أَحْظَى مِنْ أَلْمَعِيَّتِهِ الثَّاقِبَةِ ، وَبَصِيرَتِهِ الصَّائِبَةِ ، بِمَا يُمَثِّلُ لَهُ عَقِيدَتِي وَيُطْلِعُهُ عَلَى نَخِيلَةِ مَوَدَّتِي (٢) ، وَمَا أَمْلِكُ فِي مُقَابَلَةِ مُفَاتَحَتِهِ الَّتِي أَخْلَصَتْ لَهُ إِيجَابَ الْحَقِّ (٣) وَفَضِيلَةَ السَّبْقِ ، إِلَّا الثَّنَاءَ الَّذِي أَتْلُو صَحَائِفَهُ ، وَالدُّعَاءَ الَّذِي أُقِيمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَظَائِفَهُ (٤) ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحْسِنُ تَوْفِيقِي لِمَا يُشَيِّدُ مَبَانِيَ الْمَوَدَّةِ ، الَّتِي أَعْتَدُّهَا أَفْضَلَ مَقَانِي (٥) الْعُدَّةِ ، ثُمَّ إِنِّي لِفَرْطِ اللَّهَجِ بِاسْتِمْلَاءِ فَضَائِلِهِ النَّيِّرَةِ ، وَاسْتِطْلَاعِ مَحَاسِنِهِ الْمُسَيَّرَةِ ، أُسَائِلُ عَنْ خَصَائِصِهِ الرُّكْبَانَ ، وَأَطْرَبُ بِسَمَاعِهَا وَلَا طَرَبَ النَّشْوَانِ . وَلَمَّا حَضَرَ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الرَّئِيسُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْمُوَدِّ ـ أَدَامَ اللَّهُ تَمْكِينَهُ ـ أَلْفَيْتُهُ مُوَالِيًا مُغَالِيًا ، وَدَاعِيَةً إِلَيْهِ وَدَاعِيًا ، فَازْدَدْتُ كَلَفًا بِمَا وَعَيْتُهُ مِنْهُ ، وَشَغَفًا بِمَا اسْتَوْضَحْتُهُ عَنْهُ ، وَاسْتَدْلَلْتُ عَلَى كَمَالِ سَيِّدِنَا بِاسْتِخْلَاصِ شُكْرِ مِثْلِهِ ، وَتَحَقَّقْتُ وُفُورَ أَفْضَالِهِ وَفَضْلِهِ ، فَافْتَتَحْتُ الْمُكَاتَبَةَ بِتَأْدِيَةِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ ، وَاسْتِمْدَادِ سُنَّةِ الْمُوَاصَلَةِ الْمُعْتَادَةِ ،

---

(١) يبرين : أرض فيها رمل لا تدرك أطرافه : عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقيل : غير ذلك ، وقيل : قرية من قرى حلب من نواحى عزاز

(٢) نخيلة المودة : صافيها ، وفى الأصل « نخيله » تحريف (٣) أى منعت الرياء فى إيجابه (٤) وظائفه : جمع وظيفة : ما يقدر منه (٥) مقانى العدة جمع مقنى : مصدر ميمى بمعنى اقتناء : وهو الادخار ، والعدة : الاستعداد

وَالتَّكْرِمَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا بَوَاعِثُ السِّيَادَةِ ، وَلِرَأْيِهِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُهُ ، وَالتَّطَوُّلِ فِيهِ بِمَا تُوجِبُهُ أَرْيَحِيَّتُهُ (١) ، عُلُوُّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَكَتَبَ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ رِسَالَةً صَدَّرَهَا بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عِنْدِي بِشُكْرِكَ نَاطِقَانِ فَوَاحِدٌ
آثَارُ طَوْلِكَ وَاللِّسَانُ الثَّانِي
وَمَجَالُ (٢) مِنَنِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
فِي الشُّكْرِ أَفْصَحُ مِنْ مَجَالِ لِسَانِي

وَصَدَّرَ رِسَالَةً أُخْرَى إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أُهَنِّيكَ بَلْ نَفْسِي أُهَنِّي بِمَا سَنَى
لَكَ اللهُ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى وَبِمَا أَسْنَى (٣)
شَكَرْتُ زَمَانِي بَعْدَ مَا كُنْتُ عَاتِباً
عَلَيْهِ لِمَا أَسْدَى إِلَيْكَ مِنَ الْحُسْنَى
وَأَيْقَنْتُ إِذْ وَاتَاكَ أَنْ قَدْ تَيَقَّظَتْ
لِإِرْضَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ مُقْلَتُهُ الْوَسْنَى
فَفَخْراً بِمَا فِي عُظْمِ نَحْرِكَ (٤) شِبْهُهُ
وَلَا لَكَ شِبْهٌ فِي الْأَنَامِ إِذَا قِسْنَا

(١) الأريحية : خصلة يرتاح بها للندى (٢) مجال : اسم مكان : أى ميدان
(٣) سنى لك : فتح ، وأسنى : رفع (٤) أى معظمه وأكثره ، والجمع اعظام

جَمَالَ الْوَرَى مُلِّيتَ تَشْرِيفَكَ الَّذِي
أَفَاضَ عَلَيْكَ الصِّيتَ وَالْعِزَّ وَالْحُسْنَى

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُهَنِّيكَ بِالَّذِي
أُهَنَّى بِهِ لَكِنْ كَذَا سَنَّ مَنْ سَنَّا

وَكَتَبَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الطُّغْرَائِيِّ يُهَنِّئُهُ بِوِلَايَةِ الطُّغْرَا(١) فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَأَجَابَهُ الطُّغْرَائِيُّ بِجَوَابٍ هَذَا نُسْخَتُهُ:

مَا الرَّوْضُ أَضْحَكَتِ السَّحَابُ ثُغُورَهُ
وَأَفَاحَ أَنْفَاسُ الصَّبَا مَنْثُورَهُ(٢)

يَوْمًا بِأَبْهَجَ مِنْ كِتَابٍ نَمْنَمَتْ
يُمْنَاكَ يَا شَرَفَ الْكُفَاةِ سُطُورَهُ

وَافَى إِلَيَّ فَتِهْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ
تِيهَ الْمُوَلَّى إِذْ رَأَى مَنْشُورَهُ(٣)

فَلَثَمْتُهُ عَشْرًا وَلَوْ قَبَّلْتُهُ
أَلْفًا وَأَلْفًا لَمْ أُوَفِّ مُهُورَهُ

(١) الطغرا: لعلها بأصبهان، والطغرا: علامة رسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يدرج فيها اسمه واسم والده مع لقبه وذلك على هيئة مخصوصة — والعامة تقول: «الطرة» والجمع طغراءات: والطغرائي صانعها (٢) أفاح: ضوع ونشر رائحتها الطيبة: ومنثوره: متفرقه (٣) تهت: تمايلت طربا، والمولى: المقلد ولاية، ومنشوره: كتاب توليته

وَفَضَضْتُهُ عَنْ لُؤْلُؤٍ وَلَوَ انَّهُ
لِلسِّمْطِ زَانَ فُصُولَهُ وَشُذُورَهُ (١)

وَأَجَلْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِيمَا رَاقَهُ
وَأَتَاحَ لِلْقَلْبِ الْكَئِيبِ سُرُورَهُ

قَسَمًا لأَنْتَ الْفَرْدُ فِى الْفَضْلِ الَّذِى
لَوْلَاكَ أَطْفَأَتِ الْجَهَالَةُ نُورَهُ

مِنْكَ امْتَرَى لَمَّا ارْتَضَعْتَ لِبَانَهُ
وَبِكَ ازْدَهَى لَمَّا احْتَلَبْتَ شُطُورَهُ (٢)

فَاسْلَمْ لَهُ حَتَّى تُجَدِّدَ مَاعَفَا مِنْهُ وَتَجْبُرَ وَهْنَهُ وَكُسُورَهُ

وَاعْذِرْ وَلِيَّكَ إِنْ تَقَاصَرَ سَعْيُهُ
وَاغْفِرْ لَهُ تَقْصِيرَهُ وَقُصُورَهُ (٣)

وَصَلَ مِنَ الْمَجْلِسِ السَّامِى الْمُؤَيَّدِىِّ ـ ضَاعَفَ اللهُ عُلُوَّهُ وَأَضْعَفَ عَدُوَّهُ ، وَأَكْمَلَ سُعُودَهُ وَأَكْمَدَ حَسُودَهُ ـ كِتَابٌ اتَّسَمَ بِالْمَكْرُمَةِ الْغَرَّاءِ ، وَابْتَسَمَ عَنِ التَّكْرِمَةِ الْعَذْرَاءِ (٤)

---

(١) السمط بالكسر : خيط النظم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ ، وإن لم يكن فيه أحدهما سمى سلكا (٢) احتلبت شطوره : مأخوذة من المثل : حلب فلان الدهر أشطره : أى ضروب أحواله : والمعنى : مر به خيره وشره : وجرب أموره والشطور كالأشطر : نواحى الضرع (٣) تقاصر سعيه : انتهى وكف مع العجز : والتقصير : التوانى فى الأمر ، والقصور : العجز (٤) العذراء : البكر ، والمراد : التى لم يسبقه أحد إليها

نَحَلْتَهُ كِتَابَ الأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ ، وَتَلَقَّيْتُهُ كَمَا يَتَلَقَّى الإِنْسَانُ صَحِيفَةَ الإِحْسَانِ ، وَقَابَلْتُ مَا أُودِعَ مِنَ الْبِرِّ وَالطَّوْلِ الْمُبِرِّ ، بِالشُّكْرِ الَّذِى هُوَ جَهْدُ الْمُقِلِّ وَنُسُكُ الْمُسْتَقِلِّ ، وَوَجَدْتُ مَا أَلْحَفَ مِنَ التَّجْمِيلِ وَأَتْحَفَ مِنَ الْجَمِيلِ مَا كَانَتْ أَطْمَاعِى تَتُوقُ إِلَيْهِ ، وَآمَالِى تَحُومُ حَوَالَيْهِ ، إِذْ مَا زِلْتُ مُنْذُ اسْتَمْلَيْتُ وَصْفَ الْمَنَاقِبِ الْمُؤَيَّدِيَّةِ ، وَرَوَيْتُ خَبَرَهَا عَنِ الرِّوَايَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّرَفِيَّةِ ، أَبْعَثُ قَلَمِى عَلَى أَنْ يُفَاتِحَ ، وَأَنْ يَكُونَ الرَّائِدَ لِى وَالْمَاتِحَ [(١)] ، وَهُوَ يَنْكُصُ نُكُوصَ الْهَيُوبَةِ [(٢)] ، وَيَنْكُلُ نُكُولَ الْهَامِ عَنِ الضَّرِيبَةِ [(٣)] ، فَأُكَابِدُ لِإِحْجَامِهِ الأَسَى ، وَأُزْجِى الأَيَّامَ بِلَعَلَّ وَعَسَى [(٤)] ، إِلَى أَنْ بُدِّيتُ وَهُدِيتُ [(٥)] . وَأُرِيتُ كَيْفَ يُحْيِى اللهُ مَنْ يُمِيتُ ؟ فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ أَنْ أُنْشِطَ الْعِقَالُ [(٦)] وَاسْتُدْعِىَ الْمَقَالُ ، إِلَّا أَنْ أَنْقُلَ الْحَشَفَ إِلَى هَجَرَ [(٧)] وَأَزُفَّ الْهَشِيمَ [(٨)] إِلَى الشَّجَرِ ، فَأَصْدَرْتُ هَذِهِ الْخِدْمَةَ الْمُتَشِحَةَ

---

(١) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، والماتح : الذى يقوم على البئر للسقيا (٢) ينكص : يرجع ويتقهقر ، والهيوبة : الخائف الحذر

(٣) وينكل : يجبن ويضعف ، والهام : الرءوس ، والضريبة : السيف وحده

(٤) أزجى : أسوق ، ولعل وعسى : كلمتان للترجى ، والمراد معناهما (٥) بديت مبنى للمجهول : قدمت وفضلت ، وهديت : أرشدت (٦) أن أنشط الخ : أن حل الحبل ، والعقال : الحبل الذى يشد به وظيف البعير مع ذراعه (٧) الحشف : أردأ التمر ، أو الضعيف لا نوى له ، أو اليابس الفاسد ، وهجر : اسم لجميع أرض البحرين — وهذا مأخوذ من المثل : « كمستبضع تمراً إلى هجر » (٨) الهشيم : يابس الكلأ والشجر

بِالْخَجَلِ ، الْمُرْتَعِشَةَ مِنَ الْوَجَلِ ، وَأَنَا مُعْتَرِفٌ بِسَالِفِ التَّقْصِيرِ ، وَمُعْتَذِرٌ عَنْهُ بِاللِّسَانِ الْقَصِيرِ ، فَإِنْ قُرِبَتْ عِنْدَ الْوُصُولِ ، وَقُرِنَتْ بِحُظْوَةِ الْقَبُولِ ، فَذَلِكَ الَّذِي كَانَتْ تَتَمَنَّى ، وَحَقَّ لِي وَلَهَا أَنْ تُهَنَّى ، وَإِنْ أُلْغِيَتْ إِلْغَاءَ الْحُوَارِ (١) فِي الدِّيَةِ ، وَنُدِّدَ بِفَاضِحِهَا فِي الْأَنْدِيَةِ ، فَمَا هُضِمَتْ فِيمَا قُوبِلَتْ ، وَلَا ظُلِمَتْ إِذْ مَا قُبِلَتْ (٢) ، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَإِنْ كَانَ وَضَحَ اجْتِهَادِي فِيمَا وَقَفَ مِنَ الْوَطَرِ الَّذِي تَأَكَّدَ فِيهِ اعْتِرَاضُ الْقَدَرِ ، وَانْتِقَاصُ النَّظَرِ ، فَيَا بَرْدَهَا (٣) عَلَى الْكَبِدِ ، وَيَابُشْرَى خَادِمِهِ الْمُجْتَهِدِ ، ثُمَّ إِنِ اسْتُخْدِمْتُ بَعْدُ فِي خِدْمَةٍ اجْتَهَدْتُ ، وَانْتَهَزْتُ فُرْصَةَ فَرِيضَتِهَا وَلَوْ جَاهَدْتُ ، وَلِلرَّأْيِ الشَّرِيفِ فِي الْإِمَامِ بِتَحْسِينِ مَا يَتَأَمَّلُ ، وَتَحْقِيقِ مَا يُؤَمَّلُ ، مَزِيدُ السُّمُوِّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

﴿ ٤٧ — الْقَاسِمُ بْنُ فِيرَةَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ * ﴾

القاسم بن فيرة الرعينى

أَبُو مُحَمَّدٍ الرُّعَيْنِيُّ ثُمَّ الشَّاطِبِيُّ الْمُقْرِئُ ، كَانَ فَاضِلًا فِي

(١) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٢) إذ ظرف للمضى : وما نافية ـ والمعنى : لم تظلم حين لم تقبل (٣) فيا بردها الخ : أى فما أبردها على الكبد تعجب

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين ، وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

النَّحْوِ وَالْقِرَاءَةِ، وَعِلْمِ التَّفْسِيرِ، لَهُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظْمُ قَصِيدَةٍ مِنْ خَمْسِمَائَةِ بَيْتٍ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وَكَانَ شِعْرُهُ عَقِداً صَعْباً لَا يَكَادُ يُفْهَمُ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

يَلُومُونَنِي إِذْ مَا وَجَدْتُ مُلَائِمًا
وَمَالِي مُلِيمٌ حِينَ سُمْتُ الْأَكَارِمَا[1]؟
وَقَالُوا: تَعَلَّمْ لِلْعُلُومِ نِفَاقَهَا
بِسِحْرِ نِفَاقٍ تَسْتَخِفُّ الْعَزَائِمَا[2]

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلَهُ:

بَكَى النَّاسُ قَبْلِي لَا كَمِثْلِ مَصَائِبِي
بِدَمْعٍ مُطِيعٍ كَالسَّحَابِ الصَّوَائِبِ[3]
وَكُنَّا جَمِيعاً ثُمَّ شَتَّتَ شَمْلَنَا
تَفَرُّقُ أَهْوَاءٍ عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وَلَهُ قَصِيدَةٌ نَظَمَ فِيهَا الْمُقْنِعَ لِأَبِي عَمْرٍو الدَّانِيِّ فِي خَطِّ الْمُصْحَفِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا صَدُوقًا فِي الْقَوْلِ مُجِدًّا فِي الْفِعْلِ، ظَهَرَتْ عَلَيْهِ كَرَامَاتُ الصَّالِحِينَ كَسَمَاعِ الْأَذَانِ بِجَامِعِ

(١) ملائما: موافقا: ومليم: لائم من ألامه إلامة: بمعنى لامه وعذله: فهو مليم وسمت الأكارما: ساومتهم جمع أكرم (٢) تستخف الخ: أى تستهويها
(٣) أي ذوات المطر الشديد: جمع صائبة

مِصْرَ وَقْتَ الزَّوَالِ مِنْ غَيْرِ مُؤَذِّنٍ ، وَلَا يَسْمَعُ ذَلِكَ إِلَّا عِبَادُ اللهِ الصَّالِحُونَ ، وَكَانَ يَعْذِلُ[١] أَصْحَابَهُ عَلَى أَشْيَاءَ لَمْ يُطْلِعُوهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْأَحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ الثَّامِنَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْبَيْسَانِيِّ بِسَارِيَةِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ أُضِرَّ[٢] . أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنِ الشَّيْخَيْنِ الْإِمَامَيْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هُذَيْلٍ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ النَّفْزِيِّ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ تِلْمِيذُهُ وَشَارِحُ قَصِيدَتِهِ ، وَقَدْ وَصَفَ دِينَهُ وَوَرَعَهُ وَصَلَاحَهُ ثُمَّ قَالَ : وَذَكَرْتُ لَهُ يَوْمًا جَامِعَ مِصْرَ وَقُلْتُ لَهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّ الْأَذَانَ يُسْمَعُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ الْمُؤَذِّنِينَ وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُهُ مِرَارًا لَا أُحْصِيهَا عِنْدَ الزَّوَالِ . وَقَالَ لِي يَوْمًا : جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ مُخَاطَبَةٌ فَقَالَ : فَعَلْتَ كَذَا فَسَأُهْلِكُكَ[٣] فَقُلْتُ لَهُ : وَاللهِ مَا أُبَالِي بِكَ . وَقَالَ لِي يَوْمًا : كُنْتُ فِي طَرِيقٍ وَتَخَلَّفَ عَنِّي مَنْ كَانَ مَعِي وَأَنَا عَلَى الدَّابَّةِ ، وَأَقْبَلَ اثْنَانِ فَسَبَّنِي أَحَدُهُمَا سَبًّا قَبِيحًا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الِاسْتِعَاذَةِ

(١) أي يلوم (٢) أي صار ضريرا (٣) بالأصل « فسأهلك » تحريف

وَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الآخَرُ : دَعْهُ ، وَفِى تِلْكَ الحَالِ لحِقَنِى مَنْ كَانَ مَعِي فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَطَلَبَ يَمِيناً وَشِمَالاً (١) فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَعْذُلُ أَصْحَابَهُ فِى السِّرِّ عَلَى أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَلَا يَرْتَابُ بِهِ أَنَّهُ يُبْصِرُ ، لِأَنَّهُ لِذَكَائِهِ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ مَا يَظْهَرُ مِنَ الأَعْمَى فِى حَرَكَاتِهِ .

﴿٤٨ — القَاسِمُ بْنُ القَاسِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَنْصُورٍ *﴾

القاسم بن القاسم الواسطى

الوَاسِطِىُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، مَوْلِدُهُ بِوَاسِطِ العِرَاقِ فِى سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِى ذِى الحِجَّةِ ، وَمَاتَ بِحَلَبَ فِى يَوْمِ الخَمِيسِ رَابِعِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، أَدِيبٌ نَحْوِىٌّ لُغَوِىٌّ فَاضِلٌ أَرِيبٌ ، لَهُ تَصَانِيفُ حِسَانٌ ، وَمَعْرِفَةٌ بِهَذَا الشَّأْنِ . قَرَأَ النَّحْوَ بِوَاسِطَ وَبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ مُصَدَّقِ بْنِ شَبِيبٍ ، وَاللُّغَةَ عَلَى عَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَقَرَأَ القُرْآنَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ البَاقِلَّانِىِّ بِوَاسِطَ ، وَعَلَى الشَّيْخِ عَلِىِّ بْنِ هَيَّابٍ الجَمَاجِمِىِّ بِوَاسِطَ أَيْضاً ، وَسَمِعَ كَثِيراً مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ

(١) طلب الخ : استقصى البحث فى كل الجهات

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ٣٨٠

وَالْحَدِيثَ عَلَى جَمَاعَةٍ يَطُولُ شَرْحُهُمْ عَلَىَّ ، مِنْهُمْ : أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بُخْتَيَارَ الْمَانِدَائِىُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ نَغُوبَا ، سَمِعَ عَلَيْهِ الْمَقَامَاتِ عَنِ الْحَرِيرِىِّ ، فَانْتَقَلَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى حَلَبَ فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا يُقْرِئُ الْعِلْمَ وَيُفِيدُ أَهْلَهَا نَحْوًا وَلُغَةً وَفُنُونَ عُلُومِ الْأَدَبِ ، وَصَنَّفَ بِهَا عِدَّةَ تَصَانِيفَ ، وَهِىَ عَلَى مَا أَمْلَاهُ عَلَىَّ هُوَ بِبَابِ دَارِهِ مِنْ حَاضِرِ حَلَبَ[1] فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ لِابْنِ جِنِّىٍّ ، كِتَابُ شَرْحِ التَّصْرِيفِ الْمُلُوكِىِّ لِابْنِ جِنِّىٍّ أَيْضًا ، كِتَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ بِمَعْنًى عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، كِتَابٌ فِى اللُّغَةِ لَمْ يَتِمَّ إِلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ تَرْتِيبِ الْعَزِيزِىِّ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ آخَرُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَقَامَاتِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ آخَرُ عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ ، كِتَابُ خُطَبٍ قَلِيلَةٍ ، كِتَابُ رِسَالَةٍ فِيمَا أَخَذَ عَلَى ابْنِ النَّابُلُسِىِّ الشَّاعِرِ فِى قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِى الْإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أَبِى الْعَبَّاسِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا[2] :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ[3] ، وَالصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ

(١) حاضر حلب : الحاضر الحى العظيم ، يقال حاضر حلب ، وحاضر طى ، وهو جمع (٢) الضمير للرسالة (٣) المتظاهرة : المتعاونة

خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ (١) ، وَبَعْدُ : فَإِنَّهُ لَمَّا أُخِّرَتِ الْفَضَائِلُ عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَقُدِّمَتِ الْأَوَاخِرُ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَنُبِذَ عَهْدُ الْقُدَمَاءِ ، وَجُهِلَ قَدْرُ الْعُلَمَاءِ ، وَصَارَ عَطَاءُ الْأَمْوَالِ بِاعْتِبَارِ الْأَحْوَالِ لَا بِاخْتِيَارِ الْأَقْوَالِ ، وَظَهَرَ عَظِيمُ الْإِجْلَالِ بِالْأَسْمَاءِ لَا بِالْأَفْعَالِ ، عَلِمْتُ أَنَّ الْأَقْدَارَ (٢) هِيَ الَّتِي تُعْطِي وَتَمْنَعُ ، وَتَخْفِضُ وَتَرْفَعُ ، فَأَخْمَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِي وَقَدْرِي (٣) ، وَأَخْفَيْتُ مِنْ نَظْمِي وَنَثْرِي ، وَلِأَمْرٍ مَاجَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ (٤) وَمَنْ شَعَرَ فَقِهَ (٥) :

وَمَالِي إِلَى الْعَلْيَاءِ ذَنْبٌ عَلِمْتُهُ
وَلَا أَنَا عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ بَاعِدُ

وَقُلْتُ : أَصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ :

فَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ
تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ (٦)

إِلَى أَنْ بَلَغَنِي مِمَّنْ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الْقَوْلِ إِلَيْهِ ، عَنْ بَعْضِ شُعَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، أَنَّهُ

---

(١) أى عشيرته الأقربين (٢) الأقدار : جمع قدر محركة : وهو قضاء الله تعالى وحكمه (٣) أى جعلت ذكرى خاملا ، ورجل خامل : لا نباهة له

(٤) مثل يضرب لمن يحمل نفسه على مشقة عظيمة لنيل بغيته (٥) بالأصل « نفسه » (٦) القتام : الغبار الأسود ، والسواد والظلام

أَنْشَدَ عِنْدَهُ بَيْتَ الْوَلِيدِ ، يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَصَاحَةِ وَالتَّجْوِيدِ .
وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِذَا مَحَاسِنِيَ اللاَّتِي أُدِلُّ بِهَا[١]
صَارَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟

فَقَالَ مَقَالَ الْمُفْتَرِي : كَمْ قَدْ خَرِينَا عَلَى الْبُحْتُرِي ؟ فَصَبَّرْتُ قَلْبِي عَلَى أَذَاتِهِ[٢] وَأَغْضَيْتُ جَفْنِي عَلَى قَذَاتِهِ[٣] حَتَّى ابْتَدَرَنِي بِالْبَادِرَةِ ، الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا لِسَانُ الْحَادِرَةِ[٤] ، فَلَوْ كَانَ النَّابُلُسِيُّ كَابْنِ هَانِيءٍ الْأَنْدَلُسِيِّ ، « لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا[٥] » ، فَيَا لِلهِ الْعَجَبُ ، مَتَى أَشْرَفَتِ[٦] الظُّلْمَةُ عَلَى الضِّيَاءِ ، أَوْ عَلَتِ الْأَرْضُ عَلَى السَّمَاءِ ؟ وَأَيْنَ السُّهَا مِنَ الْقَمَرِ ؟ وَكَيْفَ يُضَاهِي الْغِمْرُ بِالْغَمَرِ[٧] ؟ فَإِنَّا لِلهِ ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ ، أَفِي كُلِّ سَحَابَةٍ أُرَاعُ[٨] بِرَعْدٍ ؟ وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ[٩] :

(١) أدل بها : أتيه على غيرى بسببها (٢) أذاته : إلحاقه الأذى بى ، يقال : آذى صاحبه أذى وأذاة وأذية : ألحق به أذى (٣) القذاة : ما يقع فى العين ويوجعها — ومعنى قوله : وأغضيت جفنى على قذاته : احتملت الذل والضيم ولم أشك ذلك
(٤) الحادرة : الغلام الممتلىء الشباب (٥) أى كنوزها وموتاها ـ والأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت — جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها مجازا
(٦) أى تعالت (٧) يضاهي : مجهول يشاكل ويشابه والغمر مثلث الغين ساكن الميم : من لم يجرب الأمور ، والغمر بالتحريك : الواسع الخلق الكريم (٨) أراع مبنى للمجهول : أفزع (٩) هذا مثل يضرب لمن يجد أينما اتجه مكروها

وَإِنِّى شَقِىٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

لَقَدْ تَحَكَّكَتِ العَقْرَبُ بِالأَفْعَى ، وَاسْتَنَّتِ الفِصَالُ حَتَّى القَرْعَى [١] :

وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً
وَفَاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَا وَالجَنَادِلُ [٢]

وَمَا ذَلِكَ التِّيهُ وَالصَّلَفُ [٣] ؟ وَالتَّجَاوُزُ لِلْحَدِّ وَالسَّرَفُ ، إِلَّا لِأَنَّهُ كُلَّمَا جَرَّ جَرِيرًا اعْتَقَدَ أَنَّهُ قَدْ جَرَّ جَرِيرًا [٤] ، وَكُلَّمَا رَكِبَ الكُمَيْتَ ظَنَّ أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَبَ الكُمَيْتَ [٥] ، وَكُلَّمَا أُعْظِمَ مِنْ غَيْرِ عِظَمٍ ، وَأُكْرِمَ مِنْ غَيْرِ كَرَمٍ ، شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَطَالَ ، وَتَطَاوَلَ إِلَى مَا لَنْ يَنَالَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّدَ لَبِيدًا ، وَعَبَّدَ عَبِيدًا [٦] وَلَا وَاللهِ لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمَ ، وَلَا الشِّعْرُ كَمَا نَظَمَ ، وَلَكِنَّهَا المَكَارِمُ السُّلْطَانِيَّةُ المَلَكِيَّةُ الظَّاهِرِيَّةُ الَّتِي نَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ فَسَتَرَهَا ، وَرَفَعَتْ مِنْ قَدْرِهِ

---

(١) استنت : عدت إقبالا وإدبارا ، والفصال : جمع فصيل : وهو ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه — والقرعى : جمع قريع : وهو الفصيل الذى به قرع .

(٢) الشهب : الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها ، جمع شهاب . والجنادل : الصخور جمع جندل (٣) التيه والصلف : الكبر . (٤) جرير الأولى : الحبل ، وجرير الثانية : الشاعر المعروف . (٥) الكميت الأولى : الحصان الذى بين الأسود والأحمر ، والكميت الثانية : الشاعر المعروف . (٦) يعنى لبيدا العامرى ، وعبيدا الأسدى الشاعرين الجاهليين المعروفين ، ولبد لبيدا : حيره حتى صار كالبليد عنها ، وعبد عبيدا : جعله يذهب شاردا حيرة وذهولا .

فَكَفَرَهَا بِقَوْلٍ سَأَذْكُرُهُ (١) إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ. وَلَمَّا طَلَبَ الْعَبْدُ كُرَاعاً فَأُعْطِيَ ذِرَاعاً (٢)، خَرَجَ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ، وَبَهْرَجَ عَلَى مَنْ يَكْشِفُهُ (٣)، فَقُلْتُ: لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ (٤):

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ (٥) مِنْ دُونِ جَارِهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أُصْبِحْ غَيُوراً عَلَى الْعِلْمِ

وَقَصَدْتُ قَصِيداً مِنْ شِعْرِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ قَلَائِدِ دُرِّهِ، قَدْ هَذَّبَهَا فِي مُدَّةِ سِنِينَ، وَمَدَحَ بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ فِيهَا:

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ دُرٍّ تَنْظِمُ ؟

فَكَانَ لَعَمْرِي نَاظِماً غَيْرَ أَنَّهُ
كَحَاطِبِ لَيْلٍ فَاتَهُ (٦) مِنْهُ طَائِلُ
فَوَاعَجَبَا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ ؟
وَوَا أَسَفَا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ ؟

---

(١) كانت فى الأصل « بقوله ما أذكره » . (٢) الكراع من الدواب : ما دون الكعب ، ومن الانسان : ما دون الركبة ، والذراع من أيدى البقر والغنم : فوق الكراع ، ومن يدى البعير والخيل والبغال والحمير : فوق الوظيف ، ومن الانسان : من طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى والساعد (٣) بهرج الخ : خرج عن الجادة القاصدة (٤) المثل لامرأة من عذرة تدعى أسماء بنت عبد الله ، كان لها زوج من بنى عمها يسمى عروسا مات عنها فلقيت بؤسا جعلها تترك خدرها وتهجر عطرها . (٥) الغيران : ذو الغيرة (٦) كحاطب ليل : مثل يضرب للمخلط الذى يتكلم بالغث والسمين .

وَتَتَبَّعْتُ مَافِيهَا مِنْ غَلَطَاتِهِ ، وَأَظْهَرْتُ مَاخَفِيَ فِيهَا مِنْ سَقَطَاتِهِ (١) ، وَلَبِسْتُ لَهُ جِلْدَ النَّمِرِ (٢) . وَانْدَفَقْتُ عَلَيْهِ كَالسَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ (٣) . بَعْدَ أَنْ كَتَبَهَا بِخَطِّهِ . وَزَيَّنَهَا بِإِعْرَابِهِ وَضَبْطِهِ :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَالُزَّ فِي قَرَنٍ (٤)

لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ (٥)

فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَخْطَأَ مِنْهَا فِي وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ مَكَانًا ، عُدِمَ فِيهَا تَمَكُّنًا مِنَ الْعِلْمِ وَإِمْكَانًا (٦) ، فَمِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ مَوْضِعًا تُوَضِّحُهَا الْكِتَابَةُ وَالنَّظَرُ ، وَمِنْهَا خَمْسَةٌ تُوَضِّحُهَا الْمُجَادَلَةُ وَالنَّظَرُ (٧) فَهَذَا مِنْ جَيِّدِ مُخْتَارِهِ وَمَا يَظْهَرُ عَلَى اخْتِيَارِهِ . وَإِنْ وَقَعَ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مُزَوَّقِ شِعْرِهِ أَوْ مُنَوَّقِ مُسْتَعَارِهِ (٨) ، لَأَعْصِبَنَّهُ فِيهِ عَصْبَ السَّلَمَةِ (٩) ، وَلَأُعَذِّبَنَّهُ تَعْذِيبَ الظَّامَةِ :

---

(١) أى زلاته جمع سقطة (٢) لبست له الخ : مثل يضرب فى إظهار العداوة وكشفها (٣) المنهمر من الماء : المنسكب ، ومن الكلام : الكثير .

(٤) لز : شد ، والقرن محركة : الحبل يقرن به البعيران ونحوهما (٥) الصولة : السطوة والقهر والقدرة ، والبزل : جمع بازل : وهو ما طلع نابه من الابل ذكرا كان أم أنثى ، والقناعيس جمع قنعاس : وهو الشديد العظيم منها (٦) التمكن من العلم : التثبت منه والظفر به والقدرة على فهمه . والامكان : السهولة والتيسير مع القدرة أيضا .

(٧) النظر الأولى : التطلع ، والثانية : البحث (٨) مزوق شعره : مزينه ومنقشه ومحسنه ، ومنوق مستعاره : محكمه ومجوده وملونه من نوق كنيق : بالغ فى الانتياق كالانتقاء : أى الاختيار . (٩) لأعصبنه الخ قال أبوعبيدة : السلمة : شجرة إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصانها عصبا شديدا حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوها

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ... بَدَأْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

وَلَوْ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى قُصُورِهِ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَيْسُورِهِ، وَسَتَرَ عَوَارَهُ (١) وَلَمْ يُبْدِ شَوَارَهُ (٢) لَطَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ (٣)، وَلَمْ أُنَبِّهْ عَلَى عَارِهِ وَعَرِّهِ (٤) فَإِنَّ مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ (٥) وَسَلِمَ مِنْ سَالِمِ النَّقْعِ (٦) الْمُثَارِ، وَلَكِنْ كَانَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ، فَلَحِقَ «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» وَخَطَؤُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ فَاتَهُ فِيهِ أَدَبُ الدَّرْسِ، فَيَقْسِمُ أَيْضاً قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لَفْظِيٌّ وَقِسْمٌ مَعْنَوِيٌّ، فَأَمَّا الْقِسْمُ اللَّفْظِيُّ: فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ أَيْضاً قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لُغَوِيٌّ، وَقِسْمٌ صِنَاعِيٌّ، فَأَمَّا الْقِسْمُ اللُّغَوِيُّ: فَإِنَّهُ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَحْتَمِلْ هَذَا الْمُخْتَصَرُ ذِكْرَهُ.

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

دِيبَاجُ وَجْهِكَ بِالْعِذَارِ مُطَرَّزُ (٧)

بَرَزَتْ مَحَاسِنُهُ وَأَنْتَ مُبَرِّزُ

---

(١) أى عيبه (٢) شواره: حسنه وجماله وهيئته وزينته

(٣) غره: كسره، والجملة مثل يضرب لمن يوكل على رأيه — أى تركته على ما انطوى عليه وركن إليه (٤) عره: جربه (٥) الجدد محركة: الأرض المستوية، والعثار بالكسر: الشر والمكروه (٦) النقع: الغبار، والمثار: المهاج المتطاير فى الهواء (٧) ديباج الخ: الديباج: الثوب الذى سداه ولحمته حرير، معرب، والمراد: صفحة الوجه، والعذار من الوجه: ما ينبت عليه الشعر المستطيل المحاذى لشحمة الأذن إلى أصل اللحى

وَبَدَتْ عَلَى غُصْنِ الصِّبَا لَكَ رَوْضَةٌ
وَالغُصْنُ يَنبُتُ فِي الرِّيَاضِ وَيَغْرِزُ
وَجَنَتْ عَلَى وَجَنَاتِ خَدِّكَ حُمْرَةٌ
خَجِلَ الشَّقِيقُ بِهَا وَحَارَ القِرْمِزُ (١)
لَوْ كُنْتَ مُدَّعِيًا نُبُوَّةَ يُوسُفٍ
لَقَضَى القِيَاسُ بِأَنَّ حُسْنَكَ مُعْجِزُ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

زَهْرُ الْحُسْنِ فَوْقَ زَهْرِ الرِّيَاضِ مِنْهُ لِلْغُصْنِ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ
قَدْ حَمَى وَرْدَهُ وَنَرْجِسَهُ الغَضْـ ـضَ سُيُوفٌ مِنَ الْجُفُونِ مَوَاضِ (٢)
فَإِذَا مَا اجْتَنَيْتَ بِاللَّحْظِ فَاحْذَرْ مَا جَنَتْ صِحَّةُ الْعُيُونِ الْمِرَاضِ (٣)
فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ فَتْكَةُ بَاغٍ رُوِيَتْ عَنْهُ فَتْكَةُ الْبَرَّاضِ (٤)

---

(١) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة ، اسم جنس واحده شقيقة وجمعه شقائق ، وقد كثرت إضافته إلى النعمان بن المنذر لحمايته له والقرمز : صبغ أرمني يكون من عصارة دود يكون فى آجامهم ، وقيل : هو هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط فى شهر ازار ، فان غفل عنه ولم يجمع صار طائرا وطار .

(٢) مواض : قواطع ، جمع ماض (٣) اللحظ : النظر : بمؤخر العين ، واجتنيت : اقتطفت ، والعيون المراض : الفاترة ، جمع مريضة أى فيها فتور (٤) الفتكة : بطش وقتل على غرة . والبراض : ابن قيس الكنانى أحد فتاك العرب وفاتك رجل هوازن عروة الرحال حامي لطيمة كسرى : وهي الابل التى تحمل تجارته من بز وطيب إلى أسواق العرب .

وَإِذَا فوّقت سِهاماً مِن الهُدْ ... بِ رَمينَ السِّهامَ بالأَغْراضِ
وَاُغْتَنِمْ بَهْجَةَ الزَّمَانِ وَبَادِرْ ... شَمْسَ أَيَّامِهِ الطِّوَالِ العِرَاضِ
بِشُمُوسِ الكُئُوسِ تَحْتَ نُجُومٍ ... فِى طُلُوعٍ مِنْ أُفْقِهَا وَانْقِضَاضِ (١)
وَاُجْلُ مِنْ جَوْهَرِ الدِّنَانِ عَرُوساً ... نَعَاقَتْ عَنْ جَوَاهِرِ الأَعْرَاضِ
كُلَّمَا أُبْرِزَتْ أَرَتْكَ لَهَا وَجْ ... هَ انْبِسَاطٍ يُعْطِيكَ وَجْهَ انْقِبَاضِ
فَعَلَى الأُفْقِ لِلغَمَامِ مُلَاءٌ ... طَرَّزَتْهَا البُرُوقُ بِالإِيمَاضِ (٢)
وَكَأَنَّ الرُّعُودَ إِرْزَامُ نُوقٍ ... فُصِلَتْ دُونَهَا بَنَاتُ المَخَاضِ (٣)
أَوْ صَهِيلُ الجِيَادِ لِلمَلِكِ الظَّا ... هِرِ تَسْرِى بِالجَحْفَلِ النَّهَّاضِ (٤)

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ يَهْجُو ابْنَ النَّابُلُسِىِّ المَذْكُورَ:

لَا تَعْجَبَنَّ لِمَدْلَوَيْـ ... ـهِ (٥) إِذَا بَدَا شِبْهَ المَرِيضِ

---

(١) أى سقوط بسرعة (٢) ملاء بالضم اسم جنس ملاءة : وهي الريطة ذات لفقين ، وثوب يلبس على الفخذين والايماض : البريق والضوء (٣) إرزام النوق الخ : صوت حنينها على أولادها وبنات المخاض : ما بلغ السنتين ودخل فى الثالثة من الابل
(٤) الجحفل : الجيش ذو الجحافل ، والجحفلة : الكتيبة أى الجيش الكثير العدد ، والنهاض: الكثير النهوض السريع (٥) مدلويه اسم كسيبويه ، والمدل : الخسيس

قَدْ ذَابَ مِنْ بَخَرٍ (١) بفيـ ـهِ بَدَا مِنَ الْخُلْقِ الْبَغِيضِ
وَتَكَسَّرَتْ أَسْنَانُهُ بِالْعَضِّ فِي جَعْسِ الْقَرِيضِ (٢)
وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُ عَرَضًا بِتَقْطِيعِ الْعَرُوضِ

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ يَهْجُو ابْنَ النَّابُلُسِىِّ الْمَذْكُورَ :

يَا مَنْ تَأَمَّلَ مَذْلَوَيْـ ـهِ وَشَكَّ فِيمَا يُسْقِمُهْ
أُنْظُرْ إِلَى بَخَرٍ بِفِيـ ـهِ وَمَا أَظُنُّكَ تَفْهَمُهْ
لَا تَحْسَبَنَّ بِأَنَّهُ نَفَسٌ يُغَيِّرُهُ فَمُهْ
لَكِنَّمَا أَنْفَاسُهُ نَتُنَتْ بِشِعْرٍ يَنْظِمُهْ

وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِى ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ بِحَلَبَ:

أَرَى بُغْضِى عَلَى الْجُهَلَاءِ دَاءً يَمُوتُ بِبُغْضِهِ الْقَلْبُ الْعَلِيلُ
فَهُمْ مَوْتَى النُّفُوسِ بِغَيْرِ دَفْنٍ وَأَحْيَاءٌ عَزِيزُهُمُ ذَلِيلُ
يُغَطُّونَ السَّمَاءَ بِكُلِّ كَفٍّ لَهَا فِى الطَّوْلِ (٣) تَقْصِيرٌ طَوِيلُ
وَيُبْدُونَ الطَّلَاقَةَ (٤) مِنْ وُجُوهٍ كَمَا يَبْدُو لَكَ الْحَجَرُ الصَّقِيلُ
إِذَا قَامُوا لِمَجْدٍ أَقْعَدَتْهُمْ مَسَالِكُ مَا لَهُمْ فِيهَا سَبِيلُ
وَإِنْ طَلَبُوا الصُّعُودَ فَمُسْتَحِيلٌ وَإِنْ لَزِمُوا النُّزُولَ فَمَا يَزُولُ

---

(١) البخر محركة : النتن فى الفم وغيره ، وكل رائحة ساطعة كريهة (٢) جعس القريض : رجيعه ، والقريض : الشعر (٣) الطول : الفضل والعطاء
(٣) الطلاقة : إشراق الوجه وضحكه

كَذَاكَ السَّجْلُ [١] فِى الدُّولَابِ يَعْلُو
صُعُودًا وَالصُّعُودُ لَهُ نُزُولُ

وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ بِالتَّارِيخِ :

لَنَا صَدِيقٌ بِهِ انْقِبَاضٌ وَنَحْنُ بِالْبَسْطِ نَسْتَلِذُّ
لَا يَعْرِفُ الْفَتْحَ فِى يَدَيْهِ إِلَّا إِذَا مَا أَتَاهُ أَخْذُ
فَكَفُّهُ «كَيْفَ» حِينَ يُعْطَى شَيْئًا وَبَعْدَ الْعَطَاءِ «مُنْذُ» [٢]

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضًا :

لَا تُرِدْ مِنْ خِيَارِ دَهْرِكَ خَيْرًا فَبَعِيدٌ مِنَ السَّرَابِ الشَّرَابُ
رَوْنَقٌ كَالْحَبَابِ يَعْلُو عَلَى الْكَا
سِ وَلَكِنْ تَحْتَ الْحَبَابِ الْحُبَابُ [٣]
عَذُبَتْ فِى النِّفَاقِ أَلْسِنَةُ الْقَوْ
مِ وَفِى الْأَلْسُنِ الْعِذَابِ الْعَذَابُ [٤]

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضًا مُوَشَّحَةً عَلَى طَرِيقَةِ الْمَغَارِبَةِ :

فِى زَهْرَةٍ وَطِيبِ بُسْتَانِى مِنْ أَوْجُهٍ مِلَاحْ
أَجْلُو عَلَى الْقَضِيبِ رَيْحَانِى وَالْوَرْدَ وَالْأَقَاحْ

***

مَا رَوْضَةُ الرَّبِيعِ فِى حُلَّةِ الْكَمَالْ

(١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر (٢) يشير إلى ما ترسم كاف كيف من فتح ، وميم منذ من ضم (٣) الحباب بالفتح كالحبب محركا : الفقاقيع التى تطفو فوق الماء أو الشراب كأنها القوارير ، والحباب بالضم : الحية (٣) العذاب بالكسر : جمع عذب ، والعذاب بالفتح : النكال والعقوبة .

تَزْهُو عَلَى رَبِيعٍ مَرَّتْ بِهِ الشَّمَالْ
فِي الْحُسْنِ كَالْبَدِيعِ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالْ

***

نَاهِيكَ مِنْ حَبِيبِ نَشْوَانَ بِالدَّلِّ وَهْوَ صَاحْ
إِنْ قُلْتُ وَالْهَبِيِ حَيَّانِي مِنْ ثَغْرِهِ بِرَاحْ (١)

***

كَمْ بِتُّ وَالْكُئُوسُ تُجْلَى (٢) مِنَ الدِّنَانْ
كَأَنَّهَا عَرُوسُ زُفَّتْ مِنَ الْجِنَانْ
تَبْدُو لَنَا الشُّمُوسُ مِنْهَا عَلَى الْبَنَانْ

***

لَمْ أَخْشَ مِنْ رَقِيبِ يَنْهَانِي أَلْهُو إِلَى الصَّبَاحْ
مَعْ شَادِنٍ رَبِيبِ فَتَّانِ زَنْدِي لَهُ وِشَاحْ (٣)

***

خَيْلُ الصِّبَا بِرَكْضِي تَجْرِي مَعَ الْغُوَاهْ (٤)
فِي سُنَّتِي وَفَرْضِي لَا أَبْتَغِي سِوَاهُ
وَحُجَّتِي لِعِرْضِي مَا تَنْقُلُ الرُّوَاهْ

***

عَنْ عَاقِلٍ لَبِيبِ أَفْتَانِي أَنَّ الْهَوَى مُبَاحْ
وَالرَّشْفُ مِنْ شَنِيبِ (٥) رَيَّانَ مَا فِيهِ مِنْ جُنَاحْ

---

(١) الراح : الخمر (٢) تجلى مبنى للمجهول : أى تعرض مجلوة كالعروس
(٣) الوشاح بالضم والكسر : شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها (٤) الغواة جمع غاو : وهو الضال (٥) الشنيب : ذو الشنب : وهو ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان ، أو نقط بيض فيها ، أو حدة الأنياب كالغرب تراها كالمنشار . والمشانب : الأفواه الطيبة .

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضاً مُوَشَّحَةً :

أَىُّ عَنْبَرِيَّهْ فِى غَلَائِلِ الْغَلَسْ (١)
مِنْ زَبَرْجَدِيَّهْ تُنَبِّهُ النَّعِسْ (٢)

***

جَادَهَا الْغَمَامُ فَانْتَشَى بِهَا الزَّهَرْ
وَابْتَدَا الْكِمَامُ (٣) أَعْيُنًا بِهَا سَهَرْ
وَشَدَا الْحَمَامُ حِينَ صَفَّقَ النَّهَرْ

***

وَارْتَدَتْ عَشِيَّهْ كَمَلَابِسِ الْعُرُسْ (٤)
حُلَلًا سَنِيَّهْ مَادَنَتْ مِنَ الدَّنَسْ

***

وَامْلَإِ الْكُئُوسَا فِضَّةً عَلَى الذَّهَبْ
وَاجْلُهَا عَرُوسًا تُوِّجَتْ مِنَ الشُّهُبْ
تَطْلُعُ الشُّمُوسَا فِى سَنًا مِنَ اللَّهَبْ

***

فَلَهَا مَزِيَّهْ فِى الدُّجَى عَلَى الْقَبَسْ
بِحُلًى شَهِيَّهْ كَمَحَاسِنِ اللَّعَسْ (٥)

***

مُخْبِرٌ سَنَاهَا عَنْ تَطَايُرِ الشَّرَرْ
فَازَ مَنْ جَنَاهَا مِنْ قَلَائِدِ الدُّرَرْ

---

(١) الغلائل جمع غلالة : وهى الثوب يلبس تحت الثياب ، والغلس : ظلمة آخر الليل ، وزبرجدية ، نسبة إلى الزبرجد : وهو حجر يشبه الزمرد (٢) بالأصل « تنبته النفس » (٣) الكمام بالكسر : وعاء الثمر (٤) العرس بضمتين : الرجل والمرأة ما داما فى إعراسهما (٥) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة

فَإِذَا تَنَـاهَى فِي الخَلَائِقِ الغُرَرْ
قُلْتُ ظِهْـرِيَّةْ أُظْهِرَتْ لِمُلْتَمِسْ
مِنْ عُلًا أَبِيَّةْ مَا تُنَالُ بِالْخُلَسْ(١)

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

لَا خَيْرَ فِي أَوْجُهٍ صِبَاحٍ   تُسْفِرُ عَنْ أَنْفُسٍ قِبَاحِ
كَالْجُرْحِ يَنْبِي عَلَى فَسَادٍ   بِظَاهِرٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ
فَقُلْ لِمَنْ مَالُهُ مَصُونٌ   أُصِبْتَ فِي عِرْضِكَ الْمُبَاحِ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

جِدُّ الصِّبَا فِي أَبَاطِيلِ الْهَوَى لَعِبُ
وَرَاحَةُ اللَّهْوِ فِي حُكْمِ النُّهَى(٢) تَعَبُ
وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ مَجْدٍ يُؤَثِّلُهُ(٣)
مَنْ أَبْعَدَتْهُ مَرَامِي الْعَزْمِ وَالطَّلَبُ
وَقَادَهَا كَظَلَامِ اللَّيْلِ حَامِلَةً
أَهِلَّةً طَلَعَتْ مِنْ بَيْنِهَا الشُّهُبُ
مُنْقَضَّةً مِنْ سَمَاءِ النَّقْعِ فِي أُفُقٍ
شَيْطَانُهُ بِغَمَامِ الدِّرْعِ مُحْتَجِبُ

(١) الخلس جمع خلسة كغرفة وغرف : اسم من الاختلاس ، وهو السلب أو الاختطاف بسرعة على غفلة ، أو أخذ الشيء في نهزة ومخاتلة (٢) النهى : العقول ، جمع نهية ، وهي العقل (٣) يؤثله : يزكيه ويؤصله

وَاسْوَدَّ وَجْهُ الضُّحَى مِمَّا أَثَارَ بِهِ[1]
وَأَشْرَقَ الْأَبْيَضَانِ الْوَجْهُ وَالنَّسَبُ

فِى مَوْقِفٍ يَسْلُبُ الْأَرْوَاحَ سَالِبُهَا
حَيْثُ الْمَوَاضِى قَوَاضٍ وَالْقَنَا سَلَبُ

لَا يُرْهِبُ الْمَرْءَ مَا لَمْ تَبْدُ سَطْوَتُهُ
لَوْلَا السِّنَانُ اسْتَوَى الْخَطِّيُّ وَالْقَصَبُ

إِنَّ النُّهُوضَ إِلَى الْعَلْيَاءِ مَكْرُمَةٌ
لَهَا التَّذَاذَانِ مَشْهُودٌ وَمُرْتَقَبُ

وَالْمُلْكُ صِنْفَانِ مَحْصُولٌ وَمُلْتَمَسٌ
وَالْمَجْدُ نَوْعَانِ مَوْرُوثٌ وَمُكْتَسَبُ

وَالنَّاسُ ضِدَّانِ مَرْزُوقٌ وَمُحْتَرَمٌ
تَحْتَ الْخُمُولِ وَمَغْصُوبٌ وَمُغْتَصِبُ

وَالطَّاهِرُ النَّفْسِ لَا تُرْضِيهِ مَرْتَبَةٌ
فِى الْأَرْضِ إِلَّا إِذَا انْحَطَّتْ لَهَا الرُّتَبُ

وَالْفَضْلُ كَسْبٌ فَمَنْ يَقْعُدْ بِهِ نَسَبٌ
يَنْهَضْ بِهِ الْأَفْضَلَانِ الْعِلْمُ وَالْحَسَبُ[2]

(١) بالأصل « أشار به » تحريف (٢) الحسب : ماتعده من مفاخر آبائك وهو أكثر مايراد ، ويقابله حينئذ النسب : وهو ما ينسب إلى المرء بعمله ، أو الحسب : ما يحسب للمرء من عمله وهو القليل ، ولكنه المراد هنا ، ويقابله حينئذ النسب : وهو ما ينسب إلى المرء عن آبائه .

لِلّٰهِ دَرُّ الْمَسَاعِي (١) مَا اُسْتُدِرَّ بِهَا
خَلْفَ السِّيَادَةِ إِلَّا أَمْكَنَ الْحَلَبُ
وَحَبَّذَا (٢) هِمَّةٌ فِي الْعَزْمِ مَا اُنْتُدِبَتْ
لِمُبْهَمِ الْخَطْبِ إِلَّا زَالَتِ الْحُجُبُ
وَمَوْطِنٌ يُسْتَفَادُ الْعِزُّ مِنْهُ كَمَا
أَفَادَتِ الْعِزَّ مِنْ سُلْطَانِهَا حَلَبُ

وَمِنْهَا:

مُؤَيَّدُ الرَّأْيِ وَالرَّايَاتِ قَدْ أَلِفَتْ
ذَوَائِبَ الْقَوْمِ مِنْ رَايَاتِهَا الْعَذَبُ
إِنْ نَازَلُوهُ وَقَدْ حَقَّ النِّزَالُ فَمِنْ
أَنْصَارِهِ الْخَاذِلَانِ الْجُبْنُ وَالرُّعُبُ
أَوْ كَاتَبُوهُ نَخَيَّلٌ مِنْ كَتَائِبِهِ
تُجِيبُ لَا الْمُخْبِرَانِ الرُّسْلُ وَالْكُتُبُ
مُغَاوِرٌ يَنْهَبُ الْأَعْمَارَ ذَابِلُهُ (٣)
فِي غَارَةِ الْحَرْبِ وَالْأَمْوَالُ تُنْتَهَبُ
فِي جَحْفَلٍ قَابَلُوا شَمْسَ النَّهَارِ عَلَى
مِثْلِ الْبِحَارِ بِمِثْلِ الْمَوْجِ يَضْطَرِبُ

---

(١) المساعى جمع مسعى : السعى والمسلك والتصرف (٢) حبذا : فعل مدح بمعنى نعم ، مركب من حب وذا (٣) مغاور : أى مقاتل كثير الغارات ، والذابل صفة للرمح : أى رقيق لاصق بالليط

حَتَّى كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ بَيْنَهُمُ … فَوْقَ الدُّرُوعِ عَلَى غُدْرَانِهَا لَهَبُ

مَا أَنْكَرَ الْهَامُ مِنْ أَسْيَافِهِ ظُبَةً

وَإِنَّمَا أَنْكَرَتْ أَسْيَافَهُ الْقُرُبُ (١)

مَا يَدْفَعُ الْخَطْبَ إِلَّا كُلُّ مُنْدَفِعٍ

فِي مَدْحِهِ الْأَفْصَحَانِ الشِّعْرُ وَالْخُطَبُ

وَمَنْ إِذَا مَا انْتَمَى فِي يَوْمِ مُفْتَخَرٍ

أَطَاعَهُ الْعَاصِيَانِ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ

وَأَنْشَدَنِي مِنْ قَصِيدَةٍ لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

أَفِي الْبَانِ إِنْ بَانَ الْخَلِيطُ مُخَبِّرُ ؟

عَسَى مَا انْطَوَى مِنْ عَهْدِ لَمْيَاءَ (٢) يُنْشَرُ

فَكَمْ (٣) حَرَكَاتٍ فِي اعْتِدَالِ سُكُونِهَا

أَحَادِيثُ يَرْوِيهَا النَّسِيمُ الْمُعَطَّرُ

يَوَدُّ ظَلَامُ اللَّيْلِ وَهْوَ مُمَسَّكٌ

لَذَاذَتَهَا وَالصُّبْحُ وَهْوَ مُزَعْفَرُ (٤)

أَحَادِيثُ لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَمَتَّعَتْ

بِأَسْرَارِهَا لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَغُورُ (٥) ؟

---

(١) القرب جمع قراب : وهو الغمد (٢) البان : شجر يشبه به القد لطوله ، ولمياء : لعله اسم عشيقة ، واللمياء : التي في شفتها لمى : وهو سمرة في باطن الشفة وذلك مما يستحسن (٣) بالاصل « نعم » تحريف . (٤) الممسك : المطيب بالمسك ، والمزعفر : المصبوغ بالزعفران (٥) أي تغرب

يَمُوتُ بِهَا دَاءُ الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلٌ
وَيَحْيَا بِهَا مَيْتُ الْجَوَى وَهْوَ مُقْبَرُ
فَيَا لَنَسِيمٍ صِحَّتِي فِي اعْتِلَالِهِ
وَصَحْوِى إِذَا مَا مَرَّ بِي وَهْوَ مُسْكِرُ
كَأَنَّ بِهِ مَشْمُولَةً بَابِلِيَّةً
صَفَتْ وَهْيَ مِنْ غُصْنِ الشَّمَائِلِ تُعْصَرُ
إِذَا نَشَأَتْ مَالَتْ بِلُبِّكَ نَشْوَةً
كَمَا مَالَ مَهْزُوزٌ يُمَاحُ (١) وَيُمْطَرُ

وَقَالَ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ جَمَالَ الدِّينِ الْقَاضِيَ الْأَكْرَمَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيَّ الْقِفْطِيَّ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ وَيَلْتَمِسُ مِنْهُ أَنْ يُرَتِّبَهُ فِي خِدْمَةٍ :

يَا سَيِّدِي قَدْ رُمِيتُ مِنْ زَمَنِي
بِحَادِثٍ ضَاقَ عَنْهُ مُحْتَمَلِي
وَأَنْتَ فِي رُتْبَةٍ إِذَا نَظَرَتْ
إِلَىَّ صَارَ الزَّمَانُ مِنْ قِبَلِي
وَالنَّظْمُ وَالنَّثْرُ قَدْ أَجَدْتُهُمَا
فِيكَ فَلَا تَتْرُكِ الْإِجَادَةَ لِي
فِدَاكَ قَوْمٌ إِذَا وَقَفْتُ بِهِمْ
رَأَيْتَنِي وَاقِفًا عَلَى طَلَلِ
تَشْغَلُ أَمْوَالُهُمْ مَسَاعِيَهُمْ
فَهُمْ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ

(١) أى يسقى مأخوذ من الميح : وهو ملء الدلو من البئر

تَحْمِى حِمَاهَا أَعْرَاضُهُمْ فإِذَا
مَاتَتْ حِمَاهَا سُورٌ مِنَ الْبُخْلِ

مَعَاوِلُ الذَّمِّ فِيهِ عَامِلَةٌ إِعْمَالَهَا فِى مَغَايِرِ[1] الْجَبَلِ
نَعْلُكَ تَاجٌ إِذَا رَفَعْتَهُمُ لِرَأْسِ حَافٍ مِنْهُمْ وَمُنْتَعِلِ

فَاسْمَعْ حَدِيثِى فِى مُغَازَلَةٍ
تَبُثُّ[2] شَكْوَى فِى مَوْضِعِ الْغَزَلِ

قَدْ كُنْتُ فِى رَاحَةٍ مُكَمَّلَةٍ أُحْيِى الْمَعَالِى بِمَيِّتِ الْأَمَلِ
أَرْفُلُ فِى عِزَّةِ الْقَنَاعَةِ فِى ذَيْلٍ عَلَى النَّائِبَاتِ مُنْسَدِلِ[3]

فَعِنْدَ مَا طَالَتِ الْبِطَالَةُ[4] بِى
وَصَارَ لِى حَاجَةٌ إِلَى الْعَمَلِ

قَالَ أُنَاسٌ نَبِّهْ لَهَا عُمَراً
فَقُلْتُ حَسْبِى رَأْىُ الْوَزِيرِ عَلِى

يَعْنِى عُمَرَ بْنَ الْوَبَارِ أَحَدَ حُجَّابِ أَتَابِكَ طُغْرُلَ شِهَابِ الدِّينِ الْخَادِمِ الْمُسْتَوْلِى فِى أَيَّامِنَا عَلَى حَلَبَ وَقَلْعَتِهَا:

قَدْ بِتُّ مِنْ وَعْدِهِ عَلَى ثِقَةٍ أَمِنْتُ فِى حَلْيِهَا مِنَ الْعَطَلِ
فَالْأَكْرَمُ ابْنُ الْكِرَامِ لَوْ سَبَقَتْ
وُعُودُهُ بِالشَّبَابِ لَمْ يَحُلِ[5]

---

(١) المعاول جمع معول: الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر: ومغاثر: جمع مغارة: وهى الكهف فى الجبل (٢) أى تكشف وتظهر (٣) أى مسبل مرخى
(٤) البطالة: التعطل من العمل (٥) أى لم يتحول

يَفِرُّ مِنْ وَعْدِهِ الْمِطَالُ (١) كَمَا
تَفِرُّ آرَاؤُهُ مِنَ الزَّلَلِ
أَخْلَاقُهُ حُلْوَةُ الْمَذَاقِ فَلَوْ شَبَّهْتُهَا مَا ارْتَضَيْتُ بِالْعَسَلِ
تُنْظَمُ دُرًّا عَلَى الطُّرُوسِ كَمَا يُنْظَمُ دُرُّ الْحُلِيِّ فِي الْحُلَلِ
بِمَنْطِقٍ لَوْ سَرَتْ فَصَاحَتُهُ
فِي اللُّكْنِ (٢) لَاسْتَعْصَمَتْ مِنَ الْخَطَلِ
تَمُجُّ أَخْلَافُهُ إِذَا كُتِبَتْ مَاءَ الْمَنَى مِنْ أَسِنَّةِ الْأَسَلِ (٣)
وَإِنْ سَطَتْ فِي مُلِمَّةٍ (٤) نُسِيَتْ صِفِّينُ مِنْهَا وَوَقْعَةُ الْجَمَلِ
مُبَيِّنٌ عِلْمُهُ لِسَائِلِهِ مَسَائِلًا أَشْكَلَتْ (٥) عَلَى الْأُوَلِ
لِكُلِّ عِلْمٍ فِي بَابِهِ عَلَمٌ يُهْدَى إِلَى قِبْلَةٍ مِنَ الْقِبَلِ
أَيُّ جَمَالٍ مَا فِيهِ أَجْمَلُهُ عَلَى وُجُوهِ التَّفْصِيلِ وَالْجُمَلِ؟
جَلَّ الَّذِي أَظْهَرَتْ بَدَائِعُهُ مِنْهُ مَعَانِي الرِّجَالِ فِي رَجُلِ (٦)

﴿ ٤٩ – الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ الْأَنْبَارِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ * ﴾

القاسم بن محمد الأنبارى

وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، كَانَ مُحَدِّثًا أَخْبَارِيًّا ،

(١) المطال : التسويف فى العدة والليان بها (٢) اللكن جمع ألكن : وهو العى الثقيل اللسان (٣) تمج الخ : تستكره : والمنى بفتح الميم : الموت كالمنية . والأسل : الرماح واحدها أسلة (٤) الملمة : النازلة التى تلم وتنزل (٥) أى التبست
(٦) معانى الرجال : مميزاتهم وفضائلهم : وهذا كقول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ثان ، وترجم له أيضا فى بغية الوعاة .

ثِقَةً صَاحِبَ عَرَبِيَّةٍ ، أَخَذَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ وَأَبِي عِكْرِمَةَ الضَّبِّيِّ ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقَالَ ثَابِتُ ابْنُ سِنَانٍ : مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ . كِتَابُ خَلْقِ الْفَرَسِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ شَرْحِ السَّبْعِ الطِّوَالِ (١) ، رَوَاهَا أَبُو غَالِبٍ ابْنُ بِشْرَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ كُرْدَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَرَّاحِ الْخَرَّازِ (٢) عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ .

وَمِمَّا يُرْوَى لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ هَذَا :

إِنِّي بِأَحْكَامِ النُّجُومِ مُكَذِّبُ ... وَلِمُدَّعِيهَا لَائِمٌ وَمُؤَنِّبُ
أَلْغَيْبُ يَعْلَمُهُ الْمُهَيْمِنُ وَحْدَهُ ... وَعَنِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مُغَيَّبُ
أَللهُ يُعْطِي وَهْوَ يَمْنَعُ قَادِراً ... فَمَنِ الْمُنَجِّمُ وَيْحَهُ وَالْكَوْكَبُ ؟

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْفِهْرِسْتِ الَّذِي تَمَّمَهُ الْوَزِيرُ الْكَامِلُ

(١) بهامش الاصل « هذا لم يذكره صاحب الفهرست ص ٧٥ »

(٢) الخراز : الذى يخرز الخف ونحوه بالخراز ، فعال من الخرز يراد به النسبة كالبقال والعطار ونحوهما .

أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ وَلَمْ أَجِدْ هَذَا فِي النُّسْخَةِ الَّتِي بِخَطِّ الْمُصَنِّفِ، أَوْ قَدْ ذَهَبَ عَنْ ذُكْرِي[١] قَالَ: ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ: قَدِمْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَمُحَمَّدٌ صَغِيرٌ وَلَيْسَ لِي دَارٌ، فَبَعَثَ بِي ثَعْلَبٌ إِلَى قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو بَدْرٍ فَأَعْطَوْنِي شَيْئًا لَا يَكْفِينِي وَذَكَرُوا كِتَابَ الْعَيْنِ فَقُلْتُ: عِنْدِي كِتَابُ الْعَيْنِ، فَقَالُوا لِي: بِكَمْ تَبِيعُهُ؟ فَقُلْتُ بِخَمْسِينَ دِينَاراً، فَقَالُوا لِي: قَدْ أَخَذْنَاهُ بِمَا قُلْتَ إِنْ قَالَ ثَعْلَبٌ إِنَّهُ لِلْخَلِيلِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ لِلْخَلِيلِ بِكَمْ تَأْخُذُونَهُ؟ قَالُوا بِعِشْرِينَ دِينَاراً، فَأَتَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ فَوْرِي فَقُلْتُ لَهُ: يَاسَيِّدِي، هَبْ لِي خَمْسِينَ دِينَاراً. فَقَالَ لِي: أَنْتَ مَجْنُونٌ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: لَسْتُ أُرِيدُ مِنْ مَالِكَ وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَكْذِبُ؟ قُلْتُ حَاشَاكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ الْخَلِيلَ فَرَغَ مِنْ بَابِ الْعَيْنِ ثُمَّ مَاتَ، فَإِذَا حَضَرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ لِلْحُكُومَةِ[٢] فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَالَا تَشُكُّ فِيهِ. فَقَالَ: تُرِيدُ أَنْ أَنْجُشَ لَكَ؟[٣] قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ هَاتِهِمْ، فَبَكَّرُوا وَسَبَقُونِي، وَحَضَرْتُ فَأَخْرَجُوا

---

(١) ذكرى بالضم: تذكرى (٢) أى للقضاء والفصل بيننا (٣) أنجش الخ: أوافقك مع هذا الثمن وأمدحك، والنجش فى البيع: أن يريد الانسان أن يبيع شيئا فيساومه الآخر فيها بثمن كبير لينظر إليه ناظر فيقع فيه.

الْكِتَابَ وَنَاوَلُوهُ وَقَالُوا : هَذَا لِلْخَلِيلِ أَمْ لَا ؟ فَفَتَحَ حَتَّى تَوَسَّطَ بَابَ الْعَيْنِ وَقَالَ : هَذَا كَلَامُ الْخَلِيلِ « ثَلَاثًا » قَالَ : فَأَخَذْتُ خَمْسِينَ دِينَاراً .

٥٠ — الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّيمَرْتِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ *

القاسم بن محمد الديمرتى

مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا يُقَالُ لَهَا دِيمَرْتُ ، رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مَتُّونَةَ (١) الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَقَالَ حَمْزَةُ : أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ الدِّيمَرْتِيُّ لُغَوِيٌّ نَحْوِيٌّ ، عُنِيَ فِي صِغَرِهِ بِتَصْحِيحِ كُتُبٍ وَقِرَاءَاتِهَا ، ثُمَّ هُوَ مُنْتَصَبٌ (٢) مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً تُقْرَأُ عَلَيْهِ الْكُتُبُ .

وَحَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ مَنْصُورُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ خَازِنُ كُتُبِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَمُعَلِّمُ وَلَدِهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَقَاضِي فَارِسَ وَأَعْمَالِهَا قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّيمَرْتِيُّ لِنَفْسِهِ وَقَدْ سُئِلَ أَنْ يَجْمَعَ الشُّعَرَاءَ الْعَشَرَةَ :

الْأَصْلُ أَنْ تُحْكِمَ شِعْرَ الْعَشَرَةْ
أَشْعَارَ قَوْمٍ فِي زَمَانٍ لَمْ تَرَهْ
أَشْعَارَ بِشْرٍ وَلَبِيدٍ وَعَدِيْ ... نَعَمْ وَالْأَعْشَى وَعَبِيدِ الْأَسَدِيْ

---

(١) بالأصل « ديمرث بالثاء ومتوية » وبكليهما تحريف والصواب ما ذكرناه

(٢) منتصب اسم مفعول ، أى منصوب للقراءة عليه (٣) أى تتقن

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له كذلك فى كتاب بغية الوعاة

حَتَّى إِذَا أَحْكَمْتَ شِعْرَ النَّابِغَةِ : . . . .

فَابْتَدِ فِى شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ فَالْفَخْرُ فِى ذَاكَ وَشِعْرِ أَوْسِ

وَابْتَدِرِ الْقَوْمَ وَفِيهِمْ طَرَفَهْ وَكُلَّ مَا قَالَ زُهَيْرٌ فِى صِفَهْ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا شِعْرُ هَذَا الْعَلَّامَةِ كَمَا تَرَى فِى غَايَةِ الرَّكَاكَةِ وَالرَّدَاءَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَصْرِيعَ الْبَيْتِ (١) الَّذِى فِيهِ ذِكْرُ النَّابِغَةِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ تَقْوِيمِ الْأَلْسِنَةِ ، كِتَابُ الْعَارِضِ فِى الْكَامِلِ (٢) ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ الْإِبَانَةِ .

قَالَ حَمْزَةُ : وَلَهُ كُتُبٌ كِبَارٌ وَصِغَارٌ ، فَمِنْ كِبَارِ كُتُبِهِ : كِتَابُ الصِّفَاتِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ ضُرُوبِ الْمَنْطِقِ ، كِتَابٌ سَمَّاهُ كِتَابَ تَهْذِيبِ الطَّبْعِ (٣) يَشْتَمِلُ عَلَى قِطْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ نَوَادِرِ اللُّغَةِ . ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِى تَارِيخِ أَصْبَهَانَ فَقَالَ : الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّيمَرْتِىُّ الْأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَتُّوَيْهِ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ جَمِيلٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ الصَّبَّاحِ .

---

(١) تصريع البيت : جعله ذا مصراعين (٢) بهامش الأصل : « هاهنا انتهت رواية الفهرست ص ٨٦ » (٣) بهامش الأصل : ذكره صاحب الفهرست ص ١٣١ »

انتهى الجزء السادس عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء السابع عشر ﴾

﴿ وأوله ترجمة ﴾

﴿ القاسم بن محمد بن رمضان العجلانى ﴾

تولى مراجعة هذا الجزء بناء على خطاب وزارة المعارف

رقم ١٧٨٣ المؤرخ ١٩٣٧/٨/٤

الاستاذ السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم

الدكتور أحمد فريد رفاعى بك

فهرس

الجزء السادس عشر

« من كتاب معجم الأدباء »

لياقوت الرومى

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
٦	١١	ينصرفَ	ينصرفُ
١٠	٦	لهُ	لها
٢١	٥	مبسم	ميسم
٢٤	١٣	الدواتى	الدوَوِى
٢٥	٦	«	«
٣٠	١٥	تتمة	يتيمة
٣٥	١٤	حماله	جماله
٣٦	١٠	محنِق	محنَق
٥٤	١٠	نعى ناعى	دعا داعى
٥٤	١١	يبينَ	يبينِ
٥٩	٧	الطيبُ	الطيبَ
٦٢	٦	فعيناه	فمعناه
٦٥	٥	نثا	نبا
٦٧	٩	قممَ	قممِ
٦٨	٦	وللقيام	للقيام
٨٣	١	أشياءُ	أسْفَارُ
٨٣	٨	وَالِدِى :	وَالَّذِى :
٨٩	٣	وغيره	وغيرهم
٩٣	١٠	رأيتَ	رأيتُ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٩٦	٣	بالشماسيةَ	بالشماسيةِ
٩٩	١٢	الغرباَء	الغرباء
٩٩	١٥	الفرق	الوَزْنِ
١٠١	٣	شديد التقشف	موضعها فى السطر السابق بعد كلمة قذرا
١٠١	٦	عزيز	غزير
١٠٢	١٢	الأسباب	الأشياء
١٠٧	٤	ماجنّتاه	مَا أَخْبَثَاه
١٢١	١	وأقلعهم	وَأَنْشَطُهُمْ
١٢٣	٩	عن	عِنْدَ
١٢٣	١٠	الاستطراف	الاستغراب، ويحذف الشرح (٢)
١٣٠	٦	منّ	يلاحظ فى شرح رقم ٤ أن من الأولى بمعنى أعطى، ومن الثانية بمعنى لم يكلنا إلى الوعد ويحذف شرح (٤)
١٣١	١١	منشوره	منثوره
١٣٥	٨	دارك	دارىَ
١٣٦	٧	البراعة	ذوى البراعة
١٣٩	٦	قلتُ	قلتَ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أنْ تكون عليه الكلمة
١٥٣	١٤	خطبه	خطه
١٥٤	٢	خطبه	خطه
١٥٨	٣	فرأيته	ورأيته
١٦٠	١٤	طرفِكِ	طرفِكَ
١٦١	١٥	فيقاضى صاحبه الخ	على هذا الغريم فيمطله فيه و يتخلص من غرامه
١٦٢	٩	وكنتَ	وكنتُ
١٦٨	١٢	النحوىُّ	النحوَ
١٧٥	٣	قراة	قراءة
١٧٧	٦	آخذْهما	آخذُهما
١٨٦	١٠	تجيب ولا تصيب	يجيب ولا يصيب
١٨٦	١١	أكلمْكما	أكلمُكما
١٨٨	٨	فإذا مفاجأةٌ	فى إذا مفاجأةً
١٩٣	١٣	أخذهْ	أخذهمُ
٢٠٤	٤	السعر	الشعر
٢٠٧	١٣	لهمُ ألْسُنُ	لهمْ ألْسُنٌ
٢١٠	٨	مَضيِف	مُضِيف
٢٢٨	١	عن	من
٢٢٨	١٦	ثقة	مع ثقة

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٣٦	١٥	شرح [1]	العرقوب : عصب غليظ فوق عقب الانسان
٢٣٨	٩	وأُسكنُ ماءَ	وأَسكنَ ماءً
٢٣٨	١٠	أنقع	أنقع
٢٣٩	١١	علاوة	علامة
٢٤١	٨	نجشِمِ إلَى قدمِهِ	نجشَّم إلَىَّ قدَمَهُ
٢٤٧	٢	الأخفشِ	الأخفشُ
٢٦٦	٣	بمَن	ممّن
٢٦٧	٦	والمروءة	بالمروءة
٢٦٨	٥	وأعقبك	أعقبك
٢٧٩	١٥	أُلْبِسَ الأعيادُ	أَلْبَسَ الأعيادَ
٢٨٤	١٥	أبو الحسن	أبو الحسين
٢٨٩	٤	يُكتب	يَكتبُ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٣	١٥	مكانه	مُكَاتَبَةً
٢٦	١٠	لِمَامُ	كَهَامُ
٢٨	٥	تُكلف	تَكلف
٣٢	٣	للمكارم	للمكاره
٣٢	١٤	تبتدى	تغتدى
٤٠	١٦	ميما	ميم
٤٤	١٣	بدَومة	بدُومة
٥٦	٥	تقادمت	تعارضت
٦٠	٨	تكف	تشف
٦١	٨	للنزال	للرحيل
٦١	٩	راحلٌ	واخدٌ
٦١	١٣	الضريرِ	الضريرُ
٦٢	١٢	ويُقرّبه	ويقرب إليه
٦٩	١١	طومارَ	طومارٍ
٧٠	٦	جلس	عُزِل
٧٥	٥	أستاذ	استثناء
٧٧	١٤	بالوهن	بالهون
٨١	٦	أكأتُ — رددتُه	أكأتَ — رددتَه

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
		ألحق هذه الكلمة بباب أجأ	أى فى المعنى، فرد الربعى بقوله: كيأ الرجل إذا جبن، وفى المادة نفسها: وأكأ: جبن
٨٢	٧	مُرّ	عُدْ
٨٤	١٧	وضع	وضّح
٨٤	١٠	يُر	يَر
٨٥	١٢	أبى الطيب	أبو الطيب
٨٧	٨	حلفت	دلفت. أو رحلت
٨٧	١١	بطِن	بطنَ
٨٨	٣	فُرُوك	فَروك
٩٢	٩	خمس	خمسة
٩٤	٢	التُّمر	التَّمر
٩٦	٢	خالِص	عالمُ
٩٩	١١	والرسائلِ الجيدَةِ والأَشعارِ الرائقةِ	وله الرسائلُ الجيدةُ والأَشعارُ الرائقة، وتنبه هنا أن هذه الجملة ليست مما نقله المؤلف عن اليتيمة.
١٠١	٢	حائز	حافظ
١٠٦	٢	تقشْعُ	تقشَّعُ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
١٣٥	١٦	جبالَ	جبالِ
١٣٩	٤	الجراد	الجهات
١٥٤	٥	يؤتدم	يقتدى
١٦٤	١٦	ورقةً	ورقةَ
١٦٨	٩	نجومه	نجومها
١٦٩	١٢	صدار	مزار
١٨٧	١٤	وهو	وهم
١٩١	٥	وَكَانَ المديرُ	كأَنَّ المديرَ
١٩٥	١١	مجلسه	محبسه
٢١٥	٣	أفنانه	أفنائه
٢٢٣	١٠	وإلينا	تحذف
٢٢٥	١٤	أعرف	لاأعرف
٢٣٠	١١	طاعته	طاقته
٢٣٩	١١	أنشَدت	أُنشِدت

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٨	٥	عشر مجلدات	عشرة مجلدات
١٣	١٣	قصيدةُ	قصيدةَ
٢٢	١٥	واللهُ	واللهِ
٢٣	١٤	واللهُ	واللهِ
٢٤	٥	مجتهدا وفى	ومجتهدا فى
٢٦	٩	وشَنَجَ	وشنجٍ
٣١	١٣	المعمِّرين	المعمَّرين
٣٣	٩	المكان	الكتاب
٣٦	٣	وهذا	وهكذا
٤٢	١٣	بازلين	باذلين
٤٢	١٧	أثبت	أنبت
٤٩	٦	مبارّ	مبارٌّ
٥٤	١٧	شرح (١)	يريد أنه كان يجلس جلسة هادئة ساكنة وكان لوقاره لا يتحرك فلم تظهر ذراعه مرة من تحت عباءته
٦٢	٤	كتوبا	طروبا
٦٤	٨	أزهر	إذهو
٦٩	٧	ذكره	وصله
٧٠	١	كلمستهزىء	كالمستهزىء

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٨٣	٥	جِنَح	جِنْح
٨٦	١١	الوعيد	العبوس
٨٨	٤	مِنْكَبيه	مَنْكِبيه
٩٩	٤	تحيةَ	تحيةٌ : على أنها مبتدأ والخبر عليكم
١٠٢	٢	أكثرَ	أكثرُ
١١٣	٣	قال المؤلف : «أراه المهلبى» الخ	الكلام مضطرب ولتوضيحه أذكر هنا أن المؤلف يراد به أبو القاسم إسماعيل بن عباد مؤلف الروزنامجة ، والكلام الذى ذكر بعد وابتدأ بقوله : كان الخ : نقله ياقوت من كتاب الروزنامجة ، وأصله رسالة من الصاحب إسماعيل بن عباد أرسلها إلى أستاذه ابن العميد . انتهى وبهذا التوضيح يسهل على القارئ أن يتابع الكلام .

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١١٣	٧	خود	فى اليتيمة جؤذر وهو أنسب أن يكون اسما لغلام فإن خود من أوصاف النساء .
١١٣	١١	أبى داود	أبى دؤاد
١١٣	١٥	فإذا بلغ بيتا الخ	فَإِذا بلغ بيتا يعجب به ويتعجب من نفسه فيه قال .
١١٤	٨	وأزل عن جملتها ، إنه الخ	فى اليتيمة : وأدل على جملتها أنه الخ وهو أحسن .
١١٧	٣	مشنفةً مقرْطقةً	مشنفّة مقرطِقة
١١٩	٨	أَيهما	أَيُّهما
١٢٠	٧	وقولُها	وقولَها
١٢٠	٧	قولُ	قولَ
١٣٢	١٢	التضجيع	التضييع
١٣٦	٦	حرمة	حرمّة
١٣٨	١٠	أَمّا	أمّا
١٤١	٢	الْمَرِّيسىُّ	الْمَرِّيسىّ
١٥١	٥	ببقية	بقيمة
١٥٦	١٥	— سقاه — صوب الضائب	— سقاه صوب الصائب —
١٥٧	١٥	وأعرق	وأغرق

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٦١	١٢	يُفيق	يَفْتِقُ
١٧١	١٣	والحظائرِ	والحظائرَ
١٧٧	٤	أحسنَ	أحسنُ
٢٠١	٢	على	عن
٢٠٦	٢	مثلَ	مثلِ
٢١٤	١٥	شرح ٣، ٤	قوله: والحما — جواب القسم إن الكرى. ومعنى لسميه الخ: إن مقلتى لا تعرف من الكرى إلا اسمه لا حقيقته، ولأشكل جواب قسم محذوف، وفاعل أشكل يعود على الحما
٢١٧	٩	أَعاطى	أُعاطى
٢٢٠	٣	هُوَ	هَلِ
٢٢٧	١٢	فيكَ	فيكِ
٢٣١	١٥	يَفُل	يُقِل
٢٣٣	١١	بما	كما، وعذائر فاعل لبست، ومنى متعلق بعذائر، وفاعل لبس ضمير يعود على منزل
٢٣٦	٢	بما	كما

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٣٦	٣	مِنَ	هى
٢٣٦	٤	العرضُ	العرضَ
٢٣٦	٩	العوانى	الحوانى . أى الابل
٢٣٦	١٢	المنوَّر	المنوِّر
٢٣٧	٥	سيوفُك منه	سيوفَك فيه
٢٤٠	١٤	الموت	للموتِ
٢٤٢	٢	مولى السفاح	ثم مولى السفاح
٢٤٧	١٣	ذاتِ	ذاتَ
٢٤٨	١٦	تحدد	تجدد
٢٦١	٦	قلعوا	أقلعوا
٢٦١	٦	لفؤادى	بفؤادى
٢٦٣	١٧	الخطيب	الخصيب
٢٦٤	١٠	ألَا	ألَّا
٢٦٤	١٦	جذل	جزل
٢٦٦	١٥	تعذر	تعنت ، ويحذف الشرح

تنبيه : تنشر استدراكات الجزء السادس عشر هى واستدراكات بقية الأجزاء فى آخر جزء يصدر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ؟